وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الانسانية
الدراسات العليا

مرجعيَّاتُ الفِكْرِ اللغويِّ عِنْدَ سيبويْهِ في الكتاب

(دراسة تأصيلية تحليلية)

أُطروحة تقدَّمت بها الطالبة:

شفاء علي مانع دغر

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل
وهي من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية/اللغة

بإشراف
الأستاذ الدكتور
فالح حسن كاطع

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Presidency of the University of Babylon

College of Education for Human Sciences

the department of Arabic language

References of linguistic thought when Sibawayh in the book

Analytical original study

:Thesis submitted by the student

Shefaa Ali Manea

To the Council of the College of Education for Humanities University of Babylon Which is one of the requirements for obtaining a Doctor of philosophy degree in the Arabic language/language

Supervised by

Prof. Dr: Faleh Hassan Katie

١٤٤٥ AH ٢٠٢٤ AD

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}

صدق الله العلي العظيم

آل عمران: (٧)

الإهداء

إلى من ربّياني صغيراً

أمي وأبي

ربِّ احفظهما .

إلى السند . . . زوجي العزيز.

ربِّ احفظه لي.

إلى كل من شدَّ أزري.

أقدم هذا الجهد المتواضع

الباحثة .

شكر وإقرار بالفضل

ممّا يستوجبه العرفان بالجميل، والإقرار بالفضل، أن أزجي وافر شكري إلى الأستاذ الدكتور (فالح حسن كاطع)، إذ تفضَّل بالإشراف على هذه الاطروحة، وقد أفدتُ من علمه فوائد جمّة، وما كان لهذه الدراسة أن تكتمل على هذه الصورة لولا إرشاداته القيّمة، وتوجيهاته السديدة.

و أسدي خالص شكري إلى الأستاذ الفاضل الدكتور (حمزة خضير أفندي) رئيس قسم اللغة العربية، إذ غمرني بوافر علمه، وفّقه الله وألبسه تاج العافية وأمدّ في عمرِهِ.

ولا أنسى أساتذتي في قسم اللغة العربية في سنوات الدراسة كُلّها، ولستُ أجدُ في الشكر كفاء لما بذلوا، فعسى أن يوفقهم ويطيل في أعمارهم .

وكل الامتنان لمن ساندوني في مرحلتي الدراسة والبحث أمي وأبي وزوجي وإخوتي، والحمد لله على وافر نعمته وجزيل عطائه.

الموضوع	الصفحة
المقدمة	(١-٥)
التمهيد:(المرجعيات، الفكر، علاقة اللغة بالفكر)	(٦-١٤)
الفصل الأول: المرجعية العقلية	(١٧-١٠٨)
توطئة	(١٥-١٦)
المبحث الأول: العقل تعريفه وأنواعه وأثره في كتاب سيبويه	(١٧-٥٨)
اولًا: العقل لغة واصطلاحًا	(١٨-٢١)
ثانيًا: العقل في القرآن الكريم	(٢٢-٢٣)
ثالثًا: العقل عند الفلاسفة	(٢٣-٢٤)
رابعًا: أثر العقل في النظر النحوي	(٢٥-٢٧)
خامسًا: أدلة إعمال العقل عند سيبويه	(٢٧-٥٨)
١- منهجه في ترتيب الكتاب وتبويبه	(٢٧-٣١)
٢- القياس والتعليل	(٣١-٤٦)
٣- الألفاظ التي تعبر عن الاستدلال العقلي(الدليل- الحجة)	(٤٦-٥٢)
٤- مناقشات سيبويه لشيوخه ومعاصريه ودفاع علماء اللغة عنه	(٥٣-٥٨)
المبحث الثاني: المرجعية العقلية في المسائل النحوية عند سيبويه	(٥٩-٨٤)
اولًا: ضوابط الفكر النحوي عند سيبويه	(٦٠-٦٢)
ثانيًا: أثر العقل في الموضوعات النحوية عند سيبويه في كتابه	(٦٢-٦٣)
١-المستقيم والمحال	(٦٣-٦٦)
٢-الحسن والقبيح	(٦٦-٦٧)
٣-الضعيف والقوي	(٦٨-٧٣)
ثالثًا: القصدية بوصفها مرجعًا عقليًا	(٧٣-٧٨)
رابعًا: تعدد جهات الإحالة	(٧٨-٨٤)
المبحث الثالث: المرجعية العقلية في المسائل الصوتية والصرفية	(٨٥-١٠٨)
توطئة:	(٨٦)

اولًا: المخارج والصفات	(٨٦-٩٠)
ثانيًا: موقع الصوت	(٩٠-٩١)
ثالثًا: الجهر والهمس	(٩١-٩٥)
رابعًا: التعليل عند قلب الواو ياء في (ديار) ونحوها	(٩٥-٩٦)
خامسًا: التقاء الساكنين	(٩٦-٩٨)
سادسًا: ظاهرة التخفيف	(٩٨-١٠١)
سابعًا: الترك أو الاستغناء	(١٠١-١٠٣)
ثامنًا: الاشباع الحركي	(١٠٣-١٠٥)
تاسعًا: الرد إلى الأصل	(١٠٥-١٠٨)
الفصل الثاني: المرجعية العقدية	(١٠٩-١٥٥)
توطئة	(١٠٩-١١٠)
المبحث الأول: الأدلة العقدية في كتاب سيبويه	(١١١-١٢٧)
اولًا: عبارات التعظيم والاجلال	(١١٢-١١٣)
ثانيًا: مقدمة كتاب سيبويه	(١١٣-١١٥)
ثالثًا: كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة	(١١٦-١١٧)
رابعًا: استشهاده بالقراءات القرآنية وعدم تخطئتها	(١١٧-١١٨)
خامسًا: عدم نسبة الاحاديث النبوية الشريفة إلى الرسول (ص)	(١١٩-١٢٣)
سادسًا: أمانته العلمية وإخلاصه في عمله	(١٢٣-١٢٥)
سابعًا: اعتماد علماء الفقه والأُصول على آرائه	(١٢٥-١٢٧)
المبحث الثاني: المسائل العقدية في كتاب سيبويه	(١٢٩-١٥٣)
المسألة الاولى: لفظ الجلالة(الله) أعرف المعارف	(١٢٩-١٣١)
المسألة الثانية: في أصل لفظ الجلالة (الله)	(١٣١-١٣٤)
المسألة الثالثة: دلالة (لعل) في القرآن الكريم	(١٣٤-١٣٦)
المسألة الرابعة: دلالة (ويل) في القرآن الكريم	(١٣٦-١٣٨)
المسألة الخامسة: ترجيح سيبويه لقراءة المصحف بالرفع في كلمة (فتصبحُ)	(١٣٨-١٣٩)

المسألة السادسة: قراءة (كل) بالنصب والرفع في قوله تعالى{ كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاه بقَدر}	(١٤٠-١٤٢)
المسألة السابعة: قراءة النصب والرفع في (وامرأته) في قوله تعالى {وامرأته حَمَّالَة الحَطَب}	(١٤٣-١٤٤)
المسألة الثامنة: تأويل النصب في قوله تعالى:{ إن تُضِلَّ إحداهما فَتُذَكِّرَ إحداهما الاخرى}	(١٤٤-١٤٥)
المسألة التاسعة: اختياره اسم (عبد الله) للتمثيل به	(١٤٦)
المسألة العاشرة: الدلالة الزمنية لـ(كان)	(١٤٧)
المسألة الحادية عشرة: نداء أسماء الله تعالى بـ(أيها وهذا)	(١٤٨-١٥٠)
المسألة الثانية عشرة: في تسبيح الله تعالى	(١٥٠-١٥١)
المسألة الثالثة عشرة: في الحمد لله	(١٥١-١٥٢)
المسألة الرابعة عشرة: الأمر والنهي والدعاء من الأدنى إلى الأعلى	(١٥٢-١٥٣)
الفصل الثالث: المرجعية اللغوية	(١٥٧-٢٣٥)
توطئة	(١٥٧)
المبحث الأول: القرآن الكريم والقراءات والحديث النبوي الشريف	(١٥٨-١٨٣)
القرآن الكريم	(١٦٠-١٦٩)
١-جواز العطف بالنصب على المجرور باسم الفاعل إذا كان بينهما فاصلٌ	(١٦٣)
٢-جواز إضافة اسم الفاعل إلى المفعول وعدم جواز الفصل بين المتضايفين به	(١٦٤)
٣-جواز الاكتفاء بذكر أحد مفعولي الفعلين	(١٦٤-١٦٥)
٤-جواز القطع والإبدال	(١٦٥-١٦٦)
٥-جواز دخول نون التوكيد على فعل الشرط	(١٦٦-١٦٧)
٦-المصدر(سواء) بمعنى اسم الفاعل(مستو)	(١٦٧-١٦٨)

٧- معاني(مَنْ) بين النكرة والمعرفة	(١٦٨-١٦٩)
القراءات القرآنية	(١٦٩-١٧٦)
١-ترجيح قراءة رفع الاسم المقدّم في باب الاشتغال	(١٧٢-١٧٣)
٢-جواز رفع الاسم المعطوف على المنادى	(١٧٣-١٧٤)
٣-جواز كسر همزة (إنَّ) على الابتداء	(١٧٤-١٧٥)
٤-جواز العطف بالنصب على المجرور الذي هو في موضع نصب	(١٧٥-١٧٦)
الحديث النبوي الشريف	(١٧٦-١٨٣)
توطئة	(١٧٧-١٧٨)
الحديث الأول: سُبّوحاً قُدُّوساً رَبَّ الملائكةِ والرُّوحِ	(١٧٩-١٨٠)
الحديث الثاني: ما من أيامٍ أحب إلى الله-عز وجل- فيها الصومُ منه في عشرة ذي الحجة	(١٨٠-١٨١)
الحديث الثالث: كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصِّرانه	(١٨١-١٨٢)
الحديث الرابع: لبيك أن الحمد والنعمة لك	(١٨٢-١٨٣)
المبحث الثاني: الشعر العربي، الأمثال	(١٨٤-٢٠١)
الشعر العربي	(١٨٤-١٩٣)
١-الإضمار في (كان) كالإضمار في (ليس)	(١٨٤-١٨٨)
٢-جواز نصب المضارع بـ(أنْ) مضمرة	(١٨٨-١٨٩)
٣-جزم الفعل المضارع إذا كان جوابًا للاستفهام	(١٩٠)
٤-جواز الترخيم في غير الأسماء	(١٩١)
٥-جواز رفع جواب الشرط على تقدير التقديم	(١٩٢-١٩٣)
الأمثال	(١٩٤-٢٠١)
١- اللّهُمَّ ضَبْعاً و ذِئْباً، أمْرَ مُبْكِياتِكَ لَا مُضْحِكَاتِكَ، الظِّبَاءَ عَلَى البَقَرِ	(١٩٥-١٩٧)
٢-شرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ ، أَمْتٌ فِي الحَجَرِ لَا فِيكَ	(١٩٨-١٩٩)
٣- قضيَّةٌ وَ لَا أَبَا حَسَنٍ	(١٩٩-٢٠٠)

٤- مَواعيدَ عُرْقوبٍ أخاه بَيثْرِبِ	(٢٠٠-٢٠١)
٥- مُذ شُبَّ إلى دُبَّ	(٢٠١)
المبحث الثالث: ما سمعه من العلماء والفصحاء، كلام العرب	(٢٠٢-٢٣٤)
توطئة	(٢٠٣-٢٠٧)
اولًا: الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)	(٢٠٤-٢١١)
١- في تركيب (ويكأنَّ)	(٢٠٧-٢٠٨)
٢-وجوب النصب بـ(أن) مضمرة	(٢٠٨-٢٠٩)
٣-قيام (إذا) مقام الفاء في ربط جواب الشرط	(٢٠٩)
٤-تصغير فعل التعجب	(٢١٠-٢١١)
ثانيًا: يونس بن حبيب (١٨٢هـ)	(٢١١-٢١٢)
١- تصغير الأسماء المهموزة	(٢١٢-٢١٣)
٢-التصغير في جموع التكسير	(٢١٣-٢١٤)
٣-حذف أواخر الأسماء عند الوقف	(٢١٤)
ثالثًا: أبو عمرو بن العلاء(١٥٤هـ)	(٢١٥-٢١٨)
١-التنبيه في (يا ويلٌ لك)	(٢١٥-٢١٦)
٢-جواز التوحيد في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة	(٢١٦-٢١٧)
٣-جواز إدغام اللام في الثاء	(٢١٧)
رابعًا: أبو الخطاب الأخفش الأكبر(ت١٧٧هـ)	(٢١٧-٢١٩)
١-جواز جمع فِعَال على فِعَال	(٢١٨-٢١٩)
٢-إقامة(حيهل) مقام اسم الفعل	(٢١٩)
خامسًا: أبو زيد الانصاري(٢١٥هـ)	(٢١٩-٢٢٠)
١- إلزام صفة النكرة نكرة، و إلزام صفة المعرفة معرفة	(٢٢٠-٢٢١)
٢-تأنيث الجملة في قولنا (إذا اجتمعت اليمامة)	(٢٢١-٢٢٢)
سادسًا: عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ)	(٢٢٢-٢٢٤)
١-حرف الجواب إذن	(٢٢٣)

٢-ضمير الفصل (هم)	(٢٢٤)
سابعًا: عبد الله بن اسحاق الحضرمي(١١٧هـ)	(٢٢٥-٢٢٧)
١-نصب الفعل المضارع بعد الواو	(٢٢٥-٢٢٦)
٢-الممنوع من الصرف	(٢٢٧)
كلام العرب	(٢٢٨-٢٣٤)
المسألة الأولى: في إعمال (ربَّ وكمْ)	(٢٢٨-٢٢٩)
المسألة الثانية: في (لهنَّك بمعنى أنَّ)	(٢٢٩-٢٣٠)
المسألة الثالثة: جعل كاف الخطاب بمنزلة الاسم	(٢٣١-٢٣٢)
المسألة الرابعة: النداء في يا إياكَ	(٢٣٢)
المسألة الخامسة: قُبح القياس إذا لم تتكلم به العرب	(٢٣٣-٢٣٤)
الخاتمة	(٢٣٤-٢٣٧)
المصادر والمراجع	(٢٣٨-٢٦٥)
الملخص باللغة الانكليزية	(a-b)

المقدمة:

الحمدُ لله على ما أنْعَم، وله الشُّكرُ على ما ألهمَ، والثّناءُ بِما قَدَّمَ من عُمُومِ نِعَمٍ ابتدَأها، وسُبُوغِ آلاءٍ أسداها، وتمَامِ مِنَنٍ أولاها، جمَّ عن الإحصاءِ عَددُها، ونَأى عن الجزاءِ أمدُها، وتفاوتَ عن الإدراكِ أبَدُها، وندَبَهم لاستزادتِها بالشُّكر لاتِّصالِها، واستَحمَدَ إلى الخلائق بإجزالِها، وثَنَى بالنّدبِ إلى أمثالِها، والصّلاة والسّلام على صفوة خلق الله، وحبيبه أبي الزّهراء مُحمّد الصّادق الأمين الذي ما ساء قطّ، ومَن له الحسنى فقط، أفضل الرُّسُلِ وأعلاهم مقامًا، وأفصح العرب وأحلاهم كلامًا، وعلى آله أئمة الهدى وأعلام التُّقى وسُفُن النَّجاة .

أمّا بعدُ ...

فيُعد كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) من مفاخرِ العربِ، مرجعًا من المراجع الرئيسة في اللغة العربيّة، و هو حجّةُ النُّحاة في كلِّ عصرٍ ومِصرٍ، فقد استطارت شهرتُه في أنحاء العالم العربيّ، والإسلامي، والأوربيّ منذ القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) إلى عصرِنا هذا، وقد وُصِفَ كتابُ سيبويه بـ(قرآن النّحو)؛ لما حواه من علمٍ كبيرٍ لعلماء العربيّة المتقدمين كعيسى بن عُمَر(١٤٩هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، وأبي الخطّاب الأخفش (ت١٧٦هـ)، يُزاد على ما حواه من نظرية متكاملة الأطراف للنّحو بمعناه الشامل الذّي أوضحه ابن جني (ت٣٩٢هـ) قائلًا:((انتحاء سَمْت كلام العرب، في تصرّفِه

من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنّسب، والتركيب وغير ذلك ليلحق مَن ليس مِن أهل اللغة العربية بأهلِها في الفصاحة، فينطقَ بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها)) ، وبذلك فإنَّ الكتاب يحتوي على منظومة مباحث مترابطة الأطراف من الإعراب، والصّرف، والصّوت، فكان الكتاب الأوّل في وضع قوانين العربيّة؛ ولهذا السبب أقبل طلبة العلم في الطبقات جميعها ينهلون قوانينَه ومباحثَه، فعكفُوا على قراءة الكتاب وتدريسِه؛ وجاء دور دراستي هذه التي تَكَفّلت بيان المرجعيات التي اشتغل عليها سيبويه في كتابه، والتي عمل على اكتشافها لأول مرة، الأستاذ الدكتور (فالح حسن كاطع)، واستقر عندي بعد قراءة الكتاب، ومطالعاتي لشروح الكتاب ولاسيما شرحا السيرافي (ت٣٦٨هـ) والرماني(ت٣٨٤هـ)، و بعض الدراسات التي تدور حوله، وقد ذكر السيد المشرف على الأطروحة أ–د–فالح حسن أنَّ كتاب سيبويه قائم على مرجعيات ثلاث، و أنا أحاول في هذا البحث تبيان العلاقة بين لغة سيبويه وهذه المرجعيات الفكرية، وهو موضوع لم يتناوله اللغويون القدماء، أمَّا المحدثون فقد انصرفوا عنه إلَّا على هامش أبحاثهم حتى إنَّ بعضهم تحدَّث بوادٍ منفصلٍ تماما عمَّا يرمي إليه هذا البحث، وبعبارة أوضح أنَّ هذا البحث سيجيبُ عن التساؤل الآتي: هل المرجعية الفكرية أفرزت قراءة جديدة في ترجيحات سيبويه في كتابه؟ والجواب أنَّ الباحثة ستتلمس ذلك من نصوص كتاب سيبويه؛لأنها تؤمن بالتواصل بين آراء الإنسان ومرجعيته

الفكرية، فلا قطيعة معرفية بينهما، ففكر المرء يأوي لمرجعيته، ومرجعيته توحي إلى فكره، فهما صاحبان يشهد لصحبتهما كتاب سيبويه نفسه.

فلم تكن شخصيةُ سيبويه اللغويَّةُ ذاتَ توجهاتٍ افتراضية أو خياليةٍ أو تخمينيَّةٍ، ومن المُسلَّم به أنَّ لغته لم تكن منفصلة عن نشاطه الفكري وحركته الدائبة، فلغته وترجيحاته وآراؤه التي بثَّها في كتابه عبَّرت عن فكره وعلمه المكتسب والمبدع، وهذا يؤكد أنَّ هناك مرجعيات فكرية عدة لسيبويه، وقد حاولت في بحثي قدر الإمكان تعزيز كل حكم وكل مسألة بأمثلة من الكتاب نفسه، لكي تتضح فصول الاطروحة بطريقة علمية، و يتضح عمقها الفكري عند سيبويه، ومن أجل أن يكون البحث على درجة عالية من الدقة جَهِدت الرجوع إلى الكتاب نفسه ومن ثم إلى شُرَّاح الكتاب، وعلى وجه الخصوص، أبو سعيد السيرافي، وعلي ابن عيسى الرمانيّ، فأسعفاني بشرحيهما بما تيسر لي تعقيبًا وتعليقًا على ما استشهدت به من أقوال سيبويه، اعتضد بهما في ذلك، وقد اقتضت خطة البحث الآتي:

بعد المقدمة جاء التمهيد الذي كشفت فيه عن حيثيات عنوان الأطروحة، وفككت مفردات العنوان مع نبذة قصيرة من كل مرجعية منها على حدة، ثم جاء الفصل الأول الذي وسمته بـ(المرجعية العقلية) وكان لهذه المرجعية الحظ الأوفر من بين فصول الأطروحة؛ لأنها احتوت على مسائل متعددة، كشفت عن دور العقل في فِكْرِ سيبويه النحويّ، وقامت هذه المرجعية على ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول

(العقل تعريفه وأنواعه و أثره في كتاب سيبويه)، أمّا المبحث الثاني فكان (المرجعية العقلية في المسائل النحوية) والمبحث الثالث (المرجعية العقلية في المسائل الصرفية والصوتية)، وجاء الفصل الثاني تحت مسمى (المرجعية العقدية)، واقتضت منهجية البحث أنْ يُقَسّم الفصل على مبحثين ضَمَّ المبحث الأول (الأدلة العقدية في كتاب سيبويه)، أمّا المبحث الثاني فقد حَمَل عنوان (المسائل العقدية في كتاب سيبويه)، وأمَّا الفصل الثالث الذي جاء بعنوان (المرجعية اللغوية) قُسِّمت على ثلاثة مباحث، حَمَل المبحث الأول عنوان(القرآن الكريم والقراءات والحديث) وجاء المبحث الثاني بعنوان(الشعر والأمثال)، أمّا المبحث الثالث فقد جاء بعنوان (ما سمعه من العلماء والفصحاء وكلام العرب)، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلتُ إليها وتجدر الإشارة إلى أنني قمت بتخريج الآيات القرآنية في الهامش؛ لكي لا تلتبس مع النص، و أوردت الشواهد في عموم الأطروحة على سبيل التمثيل لا الحصر، وقد تخيرت الشواهد التي وجدت فيها مسألة أو حكمًا نحويًا بارزًا لتتضح المرجعيات السيبويهية جليًّاً، وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في معالجة الموضوع، وحققت من ورائه ما استهدفته قبل كل شيء، وأسألُ الله تعالى أن تكون نتائج هذا البحث واعدة وغير مسبوقة وفاتحة خيرٍ لدراسات قابلة، وأرجو ممن يتجشم عناء قراءة هذه الأطروحة أنْ يتجمل بالصّبر عليها، وأرجو أيضًا أنْ يُجَمِّلَها بتوجيهاته المسدّدة في فهم النُّصوص وتحليلِها، عسى أنْ أُوفّق لاستدراك ما فاتني، فمهما يكن من جهدٍ قد

بذلته، ووقتٍ قد صرفته من أجل إتمامها يبق عملي من صنعِ البشر فما كنت فيه على صواب فبفضل من الله، وبتوفيقٍ منه، وإنْ تسربت الهفوات والهنات فالإنسان خطّاء ما حيي، والعصمة لله ولأنبيائه والأئمة.

وفي الختام أُقدم شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور **(فالح حسن كاطع)** المشرف على هذه الأطروحة، الذي حباني بآرائه القيِّمة وتوجيهاته السديدة، فقد رعى البحث منذ أن كان فكرة، بل هو المؤسس الأول لهذه الفكرة، فله عظيم الشكر وصادق الامتنان، أسال الله أنْ يتولى عني حسن جزائه، و إلى كل من أسدى لي نصحًا أو تفضَّل عليَّ بتوجيه من أساتذة لي كرام على نفسي، أدعو الله أنْ يمنحَنا صوابَ القول وحسنَ العاقبة، وأنْ يتقبلَ عملنا هذا بأحسن قبول، فلكلِّ امرئ ما نوى، ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين.

الباحثة

التمهيد:

(المرجعيات، الفكر، علاقة اللغة بالفكر).

تَحدَّثَ أُستاذي المشرف (أ–د فالح حسن) عن مفردات العنوان في بحثه و أوجز[١]، فعلى الرغم من كثرة الدراسات في كتاب سيبويه على مرِّ العصور وتتابع القرون فقد بقي فيه ما يستحق الدراسة، وكما يقال: – كم ترك الأول للآخر– فلنا أن ندرس كلَّ جزئية صغيرة من هذا الكتاب وكلَّ مصطلحٍ فرعيٍّ محدود دراسةً معمقةً تعطي الفائدة الكبيرة بعد أن أغنى البحثَ في ظواهره العامة والكبيرة وأسلوبه ومنهجه ومناهج البحث فيه علماءُ أعلامٌ وأساتذةٌ كبارٌ وباحثون في أنحاءٍ مختلفةٍ، وأزمنة متتابعة، وهنا نحاول في هذا البحث تبيان العلاقة بين لغة سيبويه ومرجعيته الفكرية، وهو موضوع لم يتناوله اللغويون القدماء، أمَّا المحدثون فقد انصرفوا عنه إلَّا على هامش أبحاثهم وليس القصد من المرجعيات الرفع من شأنها، أو تبجيلها، أو الإعلاء من قيمتها، بل من أجل إظهار الملكة اللغوية لسيبويه ومرجعيتها الفكرية؛ لأنه يؤمن بالتواصل بين آراء الإنسان ومرجعيته الفكرية، فلا قطيعة معرفية بينهما، ففكر المرء

---

[١]() ينظر:مرجعيات الفكر اللغوي عند سيبويه في كتابه: الدكتور فالح الأسدي، بحث منشور في المجلة الدولية للإبتكار والإبداع والتغيير.

International Journal of Innovation, Creativity and change
ISSN: 2201-1315/E-ISSN:2201-1323
Scopus Indexation
URL:https://www.scopus.com/sourceid/21100819610
E-mail:publication.service@ijicc.net(6-5).

يأوي لمرجعيته ومرجعيته توحي إلى فكره، فهما صاحبان يشهد لصحبتهما كتاب سيبويه نفسه، وقد تكون المرجعياتُ للمفكرين مرجعياتٍ مختلفة وليست واحدة وموحدة، وتعددها لا يعني أن المفكر مرتزق، ويستعمل فكر غيره، بل هي سننٌ عقليةٌ أقرها الواقعُ اللغويُّ وسواه.

والقارئ في كتاب سيبويه يجد أن إمامَ النحاةِ درس اللغة وأحسن صحبتها ودراستها، فطاف في سواحلها فكان الطائف العجيب، وأبحر في أعماقها فكان الرُبَّان الخبير، فأصدر كتابه الفريد، وحسنٌ قال المبرد ((هل ركبت البحر؟))، فهو يشير إلى أعماقه، وكتاب سيبويه يعني أعماق البحر، وليس فقط سواحله، والبحث يكشف لنا عن رصانة فكر سيبويه التي تثبت إمامته للنحو ورئاسته له، وغايتنا الاجتهاد في الوصول إلى مرتبة سيبويه لا إلى إثباتها، وإثبات انّ اللغة لا تنفك عن الفكر فكلاهما يهب عطاءَه للآخر، ولعلَّ أول كتاب في التراث العربي حمل كلمة الفكر كتاب (نتائج الفكر في النحو) لأبي القاسم السهيليّ (ت : ٥٨١هـ)؛ لكنه لم يبيِّن معنى الفكر، وانشغل عنه بالعلل والإعراب، وبيَّن أنَّ الإعراب مرقاة إلى علوم الكتاب، ولعلَّ تسمية السهيليّ كتابَه بنتائج الفكر؛ لأنه وجَّه كتابه إلى الناشئين وحثهم على البحث عن أسرار اللغة، فقال: ((فإذا كانت صناعة الإعراب مرقاة إلى علوم الكتاب، لا يتولج فيها إلَّا من أبوابه، ولا يتوصل إلى اقتطاف زهراتها إلَّا بأسبابه، فواجب على الناشئين تحصيل أصولها، وحَتْمٌ على الشادين البحث عن أسرارها وتعليلها، وقد عزم

لي بعد طول مطالبة من الزمان...على جمْعِ نبذٍ من نتائج الفكر أقتنيها في خلس من الدهر))[1]، وتعددت شروح القدماء لكتاب سيبويه، لكنَّهم لم يرصدوا لنا المرجعياتِ الفكريةِ (فمنهم أبو سعيد السيرافي (ت:٣٦٨هـ) الذي فصَّل في شرحه،ومنهم من شرح مشكلاته كأبي علي الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ)، ومنهم من بيَّن الخفيَّ من لفظه وشرح أبياتَهُ وغريبَه كالأعلم الشنتمري (ت: ٤٧٦هـ)، وقد حملت عنوانات كتب وبحوث ومقالات كثيرة كلمة الفكر واللغة معًا من مثل: (اللغة والفكر) لبول شوشار، وحمل كتاب الدكتور نوري جعفر العنوان نفسه، وكتاب (التفكير واللغة) لفيجوتسكي، وحمل كتاب جوديث جرين العنوان نفسه أيضا، والفكر لغةً: اسم التفكُّر،والفكْرةُ والفِكْرُ واحدٌ[2]، والفِكْر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، والجمع أفكار[3]، والفِكْرَ: تَرَدُّدُ الخاطر بالتأمل والتدبر بطلب المعاني[4] وهو عمل عقلي محض مهمته فحص الآراء للوصول إلى النتائج؛ وذلك أنَّ التفكير عمل عقلي يقدم عليه الإنسان للوصول إلى نتائج معينة، والتفكير عملية تتم في

[1]() نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم السهيليّ (ت:٥٨١ هـ) ، حقّقه وعلق عليه: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م: ٢٦.

[2]() ينظر: معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى:١٧٥هـ)،تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام – الجمهورية ،١٩٨٥م،٣٥٨/٥، مادة (عرف)

[3]() ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ،حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، مادة (فكر)، ٦٩٨/٢.

[4]() ينظر: المنجد الأبجدي، علي بن الحسن الهنائي، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور ضاحي عبد الباقي، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، ط٢، ٥٠٨.

المفاهيم والتصورات[١]، وجعل السهيليُّ الفكرَ مرادفًا للعلم في كتابه (نتائج الفكر في النحو)، فقال: ((وأما الفكر فهو كالعلم لقربه منه في معناه، ومشاركته له في محله، وليس باسم عند سيبويه، ولذلك منع من جمعه فقال: لا يجمع الفكر على أفكار، حمله على المصادر التي لا تجمع))[٢]، وذكر ابن جنّي(ت٣٩٢هـ)، كلمة (الفكر) في كتابه (الخصائص) في سبعة عشر موضعاً[٣]، وتبيَّن في استعماله لهذه اللفظة أنَّ الفكرَ يعني الثقافةَ المكتسبة من مصادر شتَّى، فقال: ((بل يجب أن ينعم الفكر فيها ويُكاس في الإجابة عنها))[٤]، وقال: ((وإنما تبسطت في هذا الحديث ليكون باعثًا على إرهاف الفكر واستحضار الخاطر))[٥]، وقال: ((من لطف الحس وصفائه ونصاعة جوهر الفكر ونقائه))[٦]، وقال: ((ولولا معازة الخاطر واعتناقه، ومساورة الفكر وامتداده، لكنت عن هذا الشأن بمعزل وبأمر سواه على شغل))[٧]، وقال: ((وهذا ونحوه إنما الغرض فيه الرياضة به, وتدرب الفكر بتجشمه وإصلاح الطبع لما

---

[١]() ينظر: المنجد في اللغة، لويس معلوف، ط٢، بيروت، ١٩٤٦: ٩٥٣.

[٢]() نتائج الفكر في النحو، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(ت٥٨١هـ): ٢٨٣.

[٣]() ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٤، ٢٠٠٢م: على سبيل التمثيل:١/٤٨، ٥٣، ٥٤، ٢٠٩، ٣/ ١٣٥، ١٩٥، ٣٣٢.

[٤]() الخصائص: ١/٥٤.

[٥]() المصدر نفسه : ١/٢٠٩.

[٦]() المصدر نفسه: ١/٢٤٠.

[٧]() المصدر نفسه: ١/٢٧٨.

يعرض في معناه وعلى سمته))[١]، وقال: ((قد يكون الغرض في مسائل العلم رياضة الفكر لا العمل))[٢]، وقال:((لأن مثلها ليس مما يعرض الشك فيه، ولا يسلم الفكر به ولا توهم الصنعة كون مثله))[٣]، وقال: ((إذا أصلح الفكر،وشحذ البصر، وفتق النظر، كان ذلك عونا لك، وسيفا ماضيا في يدك))[٤] وفرَّق الدكتور (هدسون) بين الثقافة والفكر، فالثقافةُ معرفةٌ مكتسبة اجتماعية، أمَّا الفكر فنشاطٌ عقليٌّ ومجاله علمُ النفس المعرفيُّ[٥]، أمَّا الفكرُ عند أفلاطون فهو تصورٌ ذهنيٌّ، وعنده أنَّ الفكرة تولِّد فِكَرٌ أخرى[٦]، والتَّفْكِير بوزن تفعِيل مصدرُ الفعل (فَكَّر) بتشديد العين مفتوحةً، وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم، قال تعالى: {إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ } {المدثر: ١٨}، أمّا **المرجعية لغةً:** فقد ورد في كتاب العين ((رَجَعَ : رَجَعْتُ رُجُوعًا ورَجَعْتُهُ يستوي فيه اللازم والمجاوز، والرَّجْعَةُ المرّة الواحدة، والتَّرْجِيْع: تقارُبُ ضروب الحركات في الصوت، هو يُرجِّع في قراءته، وهي قراءةُ أصحاب الألحان، والقَينةُ والمغنِّية تُرجّعان في غنائهما، وتَرْجِيْع وشي النقش والوشم والكتابة خطوطها، والرَّجْعُ:

---

[١] () الخصائص: ٢/٩٥.

[٢] () المصدر نفسه: ٢/ ٥٠٢.

[٣] () المصدر نفسه: ٣/٧٢.

[٤] () المصدر نفسه : ٣/٢٣٢.

[٥] () ينظر: علم اللغة الاجتماعي، الدكتور هدسن، ترجمة الدكتور محمود عبد الغني، مراجعة الدكتور عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م، ١٣٤-١٣٥.

[٦] () ينظر: الفلسفة النقدية، ابراهيم زكريا، القاهرة (بدون تاريخ): ٨١، والمعجم الفلسفي : ابراهيم مدكور، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٧م: ١٣٧.

تَرْجِيْع الدَّابَةُ يدها في السَّير[...] ورَجْعُ الجوابِ: ردُّه، وَرَجْعُ الرشق من الرمي: ما يردّ عليه، والمَرْجُوْعَةُ: جواب الرسالة))[1]، قال تعالى: { إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون } { سورة المائدة:١٠٥ }، وجاء في المعجم الوسيط أنَّ معنى المرجِع ما يُرجَعُ إليه في علمٍ أو أدبٍ من عالمٍ أو كتابٍ أو غيره[2]، وهو المعنى المراد في هذا البحث، فالمرجعيَّةُ مصدرٌ صناعيٌّ من (المَرْجِع) وهو اسمٌ لحقتُه ياءُ النِّسبةِ مُردفةً بالتاء، للدلالة على حقيقةِ الصفة المنسوبة إلى الاسم، مثل: العالميَّة، والإنسانيَّة، والحيوانيَّة، والحريَّة والكميَّة، والكيفيَّة.

وقد بَيّنَ الزمخشري (ت٥٣٨هـ) الدلالات الحقيقة والمجازية لهذه اللفظة، فقال: ((رَجَعَ إليّ رُجُوْعًا ورُجْعَى وَمَرْجِعًا، وَرَجعتُهُ أنا رَجْعًا، ورَجَعْتُ الطير القواطع رِجَاعًا، ولها قطاع ورجاع، وتفرقوا في أوّل النهار ثم تراجعوا مع الليل، أي: رجع كلُّ واحدٍ إلى مكانه،ومن المجاز: خالفني ثُمَّ رجع إلى قولي، وصرمني ثم رجع يكلمني، وما رَجَعَ إليه في خطب إلَّا كفيَ، وليس لهذا البيع مَرْجُوْع، أي: لا يُرْجَع فيه، وهذا رَجَع رسالتك ومَرْجُوْعَها ومَرْجُوْعَتها، أي: جوابُها))[3].

---

(١) كتاب العين (مادة عجز، تقليب رجع): ٢٢٥/١.

٢() ينظر: المعجم الوسيط، مادة رجع : ٣٣١/٢.

(٣) أساس البلاغة، جارالله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٤١ هـ (مادة رجع) :٣٣٩/١.

((والمَرجِعية بكسر الجيم مصدر صناعي من(مَرْجِع) لصفة الرجوع لا النزعة المعرفية، أمَّا صيغة استعمالها في تحليل الخِطاب فهي مُحدثة في اللغة العربية المعاصرة ؛ إذ تشير تضاعيف المعجمات اللغوية التراثية إلى أصولِ دلالتِها العائدةِ إلى مادة (رَجَعَ) وجميع اشتقاقاتها))[١].

وجاء في التوصيفات الغربية إنَّ المرجعية ((فعل العودة إلى شيء ما، لبيان كيف يحيل موقع شيء إلى آخر يسبقه، كذلك هو فعل الرجوع أو الإسناد إلى أشياء أو أشخاص في نص أو خطاب حين ترسل، إلى قارئ، أو مستمع))[٢]، وورد في موسوعة اللسانيات أنَّ مصطلح المرجعية ((يستعمل في تحديد ما يأتي: العلاقة بين التعبيرات الإحالة وإلى ما تعود (ترجع) إليه والتعبيرات الإحالة إلى ماذا تشير وفعل الرجوع إلى ما هو خارج اللغة))[٣]، أمَّا (جورج مونان) فقد عَبَّر عن المصطلح قائلاً: ((إنَّ اللغة في ذاتها هي مجموعة من البنى والأشكال يرتبط وجودها بتجربة المُتخاطبين بالعالم))[٤]، ((لذلك فإنَّ لفظة المرجعية في المفهوم الغربي هي بحث في

---

(١) التأصيل النظري لمصطلح (المرجعية)في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة : الاستاذة سلاف بعزيز ،جامعة الشهيد حمة لخضر –الوادي–،بحث منشور في مجلة علوم اللغة وآدابها، بحث :١٢٠

(٢) نظرية النص الأدبي: د. عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٠م: ٢٨٧.

(٣) المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، بوطارت محمد الهادي وآخرون، دار الكتاب الحديث ، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م: ٣٠٩.

(٤) معجم اللسانيات: بإشراف جورج مونان : ترجمة جمال الحضري، المؤسسة الجامعية

عودة الوحدات اللغوية المُبْهمة إلى أخرى سابقةٍ أو لاحقةٍ عليها، بمعنى إرجاع المعاني إلى موضوعاتها، وبهذا لا تبتعد كثيرًا عن المفهوم المعجمي في الثقافة العربية))[١].

ويرى الدكتور عمر بلخير أنَّ ((الرجوع إلى المعاجم المتخصصة يظهر لنا إجماعًا على تحديد المرجعية بأنَّها تلك الوظيفة التي تسمح للأشكال اللغوية أنْ تحيل على عناصر من العالم ، والتخاطب البشري أساسًا يقوم على هذه العلاقة[...] وإنَّ الوظيفة المرجعية للغة هي التي تعطي الخِطاب بعده الحقيقي في التأدية إذ إنَّ تتمةَ الفائدة في الكلام يتوقف على مدى مطابقة العلامات للواقع))[٢]، وهناك من الباحثين مَن يعرَّف (المرجعية) بأنَّها ((القاعدة الأساس لكل اتصال وتواصل، فهي التي تحدد العلاقة بين الملفوظ والموضوع الذي تحيل إليه، وتدل على سيرورة العلاقة بين الملفوظ والمرجع،أي: مجموع الآليات التي تصل بعض الوحدات اللغوية ببعض الوحدات من غير اللغوية))[٣]، فالمرجعية بالمصطلح الحديث لم يستعمله أصحاب المدونات العربية ولاسيما سيبويه استعمالاً صريحاً، بوصفه مفهومًا واضحًا في ذهنه وذهن شيخه الخليل(ت:١٧٥هـ)، وبحسب الدكتور بلخير فإن التخاطب البشري أساسًا يقوم على

للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت – لبنان، ٢٠١٢ م: ٤٠٦-٤٠٧.

(١)يُنظر: التأصيل النظري لمصطلح (المرجعية)في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة(بحث):١٢٤.

(٢) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية د.عُمر بلخير، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط٣، ٢٠٠٣م : ٦٤/١.

(٣) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب :حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو،ط٢، ٢٠١٢م: ٩٤-٩٥.

هذه العلاقة، لذا إنَّ الفرد في داخل المجتمع تقيّده مرجعيات حاكمة، يعتمد عليها، وتخضع للسلوك الجمعي، والدين، وللمعطيات الثقافية، وهذه المعطيات كلها واضحة في كتاب سيبويه، أمَّا سيبويه فهو لا يُعرَّف؛ لأنَّ المُعرَّف لا يُعرَّف، والتعريفُ به تقليلٌ من شأنه، فقد ذكر المبردُ (ت٢٨٥هـ) سيبويه في كتابه (المقتضب) إحدى وستين مرة وذكره ابن السراج (ت٣١٦هـ) في كتابِهِ (الأصول في النحو) ستمئة وإحدى وعشرين مرة، فهو صاحب كتاب العربية الأول في النحو والأهم فيها، وهو الذي أوصل لنا نظرية النحو كاملة، وكلُّ ما أُلِّف بعد هذا الكتاب عائلٌ عليه، ويكفيه شرفًا قولُ أبي عثمان المازني (ت: ٢٤٩هـ): ((مَن أراد أنْ يعملَ كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي))[١]، وقال محمد بن يزيد المبرِّد: ((لم يُعْمَل كتابٌ في علم من العلوم مثلُ كتاب سيبويه، وذلك أن الكتب المصنَّفة في العلوم مُضْطَّرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره))[٢]، أي أن هنالك علاقة وطيدة تربط بين اللغة والفكر ((فلولا اللغة لأصبحت الفكرة شيئا مبهما، غير واضح المعالم، إذاً لا توجد أفكار يسبق اللغةَ وجودُها، ولا تتمّيز هذه الأفكار قبل ظهور اللغة))[٣].

---

[١]() الفهرست، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ) ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت)، تحقيق: محمد عوني، و ايمان السعيد جلال، الهيأة المصرية لقصور الثقافة، د–ط، ٢٠٠٦: ٥٢/١.

[٢]() الكتاب، سيبويه: المقدمة: ٥.

[٣]() علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ت: د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥: ١٣١.

١٣١.

توطئة:

كان سيبويه حاذقًا ذكيًا يستعمل عقله وذهنه في تحليل العلل اللغوية، قال الزياديُّ أبو إسحاق: ((عَمَدت إلى أبي عُمَر الجرميَّ أقرأ عليه كتاب سيبويه ووافيت المازني يقرأ عليه في أثناء" هذا باب ما يرتفع بين الجزأين " فكنَّا نَعجب من حِذقه وجودة ذهنه))[1]، وقال محمد يزيدَ على وجه التعجُّب والإنكار فقال: ((أنا سمعت الجرميَّ يقول هذا- وأومأ بيديه إلى أذنيه- وذلك أن أبا بكر عُمر الجرمي كان صاحبَ حديث، فلما علِم كتاب سيبويه تفقّه في الحديث؛ إذ كان كتاب سيبويه يتعلَّم منه النظر والتَّفتيش))[2]، وقال أبو جعفر: ((وسمعت أبا إسحاق يقول: إذا قال سيبويه بعد قول الخليل: وقال غيره ؛ فإنّما يعنى نفسه، لأنه أجلَّ الخليل عن أن يذكر نفسه معه، وإذا قال: وسألته، فإنما يعنى الخليل، وقال أبو إسحاق: إذا تأمّلتَ الأمثلةَ من كتاب سيبويه تبينتَ أنه أعلمُ الناس باللغة))[3]، لذلك فهو بحق يُتعلَّم منه النظر والتفتيش، وهذا ما سنتبينه إن شاء الله، لذا قد جاء هذا الفصل على مباحث ثلاثة، فوسمت المبحث الأول تحت عنوان (العقلُ، تعريفه، وأنواعه وأثره في كتاب

---

[1]() الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (سيبويه)، أبو بشر، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م : ١٠/١.

[2]() المصدر نفسه: ٦/١.

[3]() المصدر نفسه: ٦/١-٧.

سيبويه) أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان (المرجعية العقلية في المسائل النحوية) وختام الفصل ما يمثله المبحث الثالث وهو بعنوان (المرجعية العقلية في المسائل الصرفية والصوتية).

المبحث الأول

العقل تعريفه وأنواعه و أثره في كتاب سيبويه وفيه:

١- تعريف العقل لغة واصطلاحًا.

٢- أنواع العقل.

٣- أثر المرجعية العقلية عند سيبويه.

أولًا: العقل لغة واصطلاحًا:

أ- العقل لغةً: العَقْل في لغة العرب هو: ((نقيض الجَهْل من عَقَلَ، يَعْقِلُ، عَقْلًا فهو عاقِل، والمَعْقُوْل ما تَعْقِلُهُ في فؤادك، عَقَلْتُ البعير عَقْلًا شددت يدهُ بالعِقَال أي بالرِّباط، والعَقِيْلَةُ المرأة المُخَدَّرَة المَحْبُوْسَة في بيتها))[١]، وذكر الجوهري (ت٣٩٣هـ) أنَّ العقل مصدرٌ[٢].

وذكر ابن منظور أنَّ من معاني العقل، الحِجْر والنُّهَى وهو ضد الحمق ويُجْمع على عُقُول، ورجلٌ عاقِلٌ أي الجامع لأموره و رأيْهِ، وعَقَل الشيءَ أدركه على حقيقته وفهمه وتدبره، ولذا قالوا: سمي العَقْل عَقْلًا؛ لأنَّه يَعْقِلُ صاحبه عن التورط في المهالك، أَي يحبسه، وقيل: هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان[٣].

وقيل هو العِلمُ بصفات الأشياء من حسنِها و قُبحِها، وكمالِها ونقصانِها[٤].

ويطلق العقل في اللغة أيضًا على الفَهْم والعلم، يقال عَقَلَ الشيءَ يعقلِهُ عَقْلاً، إذا فهمهُ وتبيَّنَهُ، ((والعربُ إنّما سمَّتِ الفهمَ عَقْلًا، لأنَّ ما فَهِمْتَه فقد قيدَّتَه بعقلك، وضبطْتَهُ))[١].

١() كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: مادة وتقليب (عقل) ١٥٩/١-١٦٠.

٢() ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م: ٥/ ١٧٦٩، مادة (عقل) .

٣() ينظر: لسان العرب، مادة (عقل): ٤٥٨/١١-٤٥٩.

٤() ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي(محيي الدين أبو الفيض محمد مرتضى)(ت١٢٠٥هـ)، تح: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٥م : ١٨/٣٠، (مادة عقل).

ب-العقل اصطلاحًا:

تعددت حدود (العقل) بمعناه الاصطلاحي، بوصفه منطلقًا للوصول الى جميع أَنواع المعارف والعلوم وهذا يكاد يكون السبب الرئيس في هذا التعدد، يقول (الإمام الجويني٤١٠هـ) بأنه سُئِلَ ذات يوم : ((فإن قيل: ما العقل عندكم؟ قلنا: ليس الكلام فيه بالهّين))[٢]، وممَّا يؤيّد ذلك ما ذكره (الزركشيُّ ت٧٤٥هـ) في العقل فقال:((إنَّ فيه ألفَ قولٍ))[٣]، و أكَّد أبو عبد الله المازري(ت٥٣٦هـ) هذا الاختلاف فقال: ((اختلف الناس في العقل ما هو فقيل: هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية، وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات))[٤]، وذكر الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ): ((إن العقل جوهرٌ روحاني خلقَهُ الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان و قيل: العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: هو جوهر مجرد من المادة يتعلُّقَ بالبدن تعلق التدبير والتصرف)) [٥]، ومنهم من ذَكَر أنَّ العقل ينقسم

---

[١]() شرف العقل وماهيته، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ :٢٤.

[٢]() البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب،ط١،قطر، ١٣٩٩م: ٩٥/٢.

[٣]() البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد القادر العاني، ط٢، ١٩٩٢: ٨٤/١.

[٤]() المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، ط٢ ١٩٩٤: ٦٨/٢.

[٥]() كتاب التعريفات. السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني. الطبعة الأولى. دار إحياء التراث العربي. بيروت- لبنان ٢٠٠٣م.: ١٥١/١-١٥٢.

على أقسام، فقد جاء في كتاب (الحجة في بيان المحجية) أنّ العقل على ثلاثة أوجه عقل مولود مطبوع وعقل التأييد الذي يكون مع الإيمان معاً، وعقل التجارب والعبر[١].

يمكن أن تظهر ملامح التقارب بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، فالعقل هو ما تُعقلُ به حقائقَ الأشياء، وهذا المفهوم يتناسب مع المعنى اللغوي الذي أسفرَ عند أهل اللسان العربي وأبانوه بـ(الفهم).

نستطيع القول إنَّ المرجعية العقلية لسيبويه في كتابه عبارة عن محاولات في تكوين فهم ناضج عميق للأحكام، وترتيبها في سلكها اللغوي، لأن المرجعية العقلية هي مضمون عقلي، مبني على رؤية معرفية قائمة على معايير عقلية تقود إلى معالجة ونتائج[٢]، ومن ثم فهي تقوم على اجتهادات محكمة يستفرغُ فيها المؤلف جهده، لإدراك الأحكام.

ثانيًا: العقل في القرآن الكريم:

لا ينفك القرآن الكريم عن ذكر العقل في مقام التعظيم، والحث على وجوب العمل به والرجوع إليه وهو ما دلَّ على عملية الإدراك والتفكير والفهم لدى

---

[١] () ينظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الاصبهاني(ت٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، ١٤١٩هـ : ٣٢٠/١.

[٢] () ينظر: ضوابط الفكر النحوي: د-محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ٣٣٣/٢ .

الانسان[١]، والملاحظ انَّ كلمة العقل وردت في القرآن الكريم بصيغة الفعل (تعقلون) و(يعقلون) في ستة و أربعين موضعاً[٢]، وإن مجيئها بصيغة الفعل لتأكيدِ على جَعْلِ العقلِ في حالةٍ من التفكيرِ المستمرِ كي يتحصّلَ للإنسان إدراك الموجودات والمتغيرات الحياتية.

ثالثاً: العقل عند الفلاسفة:

العقل عند الفلاسفة المسلمين وغيرهم ذو منزلةٍ سامية فهو نورٌ يهبطُ من المحل الأرفع، فقد عَرَّفه ابن سينا(ت٤٢٧هـ): ((بأنه مخلوق روحاني هبط إلى الإنسان من المحل الأرفع و أنَّ ألقه مجاورة الجسم البشري هو أعلى قوى النفس النظرية وهو أي العقل، لا يترك قوى النفس الدنيا في مكانها، بل هو يرتقي بها، ذلك بتجريد الإحساس من العوارض المشخصة))[٣].

من هنا كان للعقل منزلة سامية، لدوره البارز في إدراك المعاني الكلية والمجردات التامة في تجردها.

واعتمد الفيلسوف (ديكارت)، على العقل الإنساني في تأسيس فلسفته، وجاء بالنظرية العقلانية، وتطلق العقلانية عند الفلاسفة على الذهن المنظم المنسق الذي يستطيع

---

[١]() ينظر: العقل في القرآن الكريم، دكتور فهمي قطب الدين، مقال أُضيف في ٢٠١٤/١/١٥، على الموقع الالكتروني https://www.alukah.net/sharia/0/65235. ١:

[٢]() ينظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م: ٥٧٥.

[٣]() ينظر: النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية. ابن سينا. الطبعة الثانية. مصر ١٩٣٨م: ٢٦٧.

تكوين معطيات منظمة عن التجربة الحسية[١]، وذهب (كانط) إلى أنَّ العقل نور فطري يجمع بطبيعته أفكارًا فطرية، إذ يرى (كانط) أن العقل ملكة في المعرفة تتكون من ثلاث قدرات: الحسية، والفهم، والعقل الخاص[٢].

الذي يعنينا من هذا الشأن هو التساؤل الآتي: إلى أي مدى تأثر النحو وعلماؤه بالعقل واتجاهاته؟ ولاسيما سيبويه، الذي نحن بصدد الكشف عن خبايا عقليتة المتوقدة.

ذكر بعض الباحثين أَنّ سيبويه تأثر بالفلاسفةِ والأَصوليين[٣]، وهذا يدلُّ على أن مجال اشتغالاته كانت عقلية، في النحو وأصوله، لذلك ظهرت الاتجاهات العقلية الاستدلالية عند علماء العربية.

فالاستدلالات العقلية لها أثرٌ كبيرٌ في المباحث النحوية[٤]، ومن البدهي أن يكون التقارب بين الأحكام النحوية وطريقة الاستدلال[٥]، وإعمال العقل هو الرابط بينهما وهذا بدوره انعكس على الدرس النحوي.

---

[١] () ينظر: العقل والمعايير: أندريه لالند، تحقيق: دكتور نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩: ٦.

[٢] () ينظر: العقل والذاتية في فلسفة الحداثة من ديكارت الى كانط: الطيب بوعزة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم العلوم الانسانية والفلسفة، www.mominoun.com ٦-٨.

[٣] () ينظر: سِيْبَوَيْه معتزليًا حفريات في متيافيزيقا النحو العربي: د.ادريس مقبول، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط١، ٢٠١٥م : ٦٥.

[٤] () ينظر: الموافقات في اصول الشريعة، ابراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، ط١ :١٠/ ٧٨، ١٨٧.

[٥] () ينظر: التحليل النحوي، أصوله وأدلته، الدكتور فخر الدين قباوة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ٩-١٠.

رابعًا: أثر العقل في النظر النحوي:

النحو علمٌ من علوم العربية، وحدّه السرّاج(٣١٦هـ) بالقول: ((هو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصدَهُ المبتدئون بهذه اللغة))[١]، وقول ابن السراج (استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب)، يوحي أن النحو نظامٌ لغوي مختزن في الذاكرة الجمعية العربية، أي أنه ليس ملكاً لفردٍ من الأفراد، وإنما تمتلكُهُ الجماعة اللغوية العربية، لهذا عندما يبحث النحوي في لغة الضاد ليؤسس قوانينها المحققة فعلًا، والممكنة التحقق، فإنه بذلك يحاول اكتشاف النظام اللغوي بعقليته المنظمة[٢]، من هنا فإن للعقل أثرًا بارزًا في إدراك اللغة، ومما يؤكد ذلك قول: (أبو الفتح الشهرستاني ت٥٤٨هـ) ((لو قدرنا إنسانًا خاليًا عن العبارات كلها، أبكم لا يقدرُ على النطق لم نشك أن نفسَهُ لا تُحدثُهُ بعربية ولا عجمية، ولا لسان من الألسن، وعقلُهُ يَعقلُ كلَ معقولٍ، و إن كان يعرى عن كل مسموعٍ و مَنقولٍ))[٣] ومما هو معروف أنَّ عَمَل النحويين لم يقتصر على التقعيد فقد قدّموا الشّروح والتّفسيرات المترافقة مع كلَّ قاعدة نحوية أوردوها، وهذا بدوره يقود إلى ظهور الاجتهادات العقلية بينهم، والبحث في العلل والأسباب بوصفه من أساسيات علم النحو[٤]، حتى إذا تمكنوا من المسموع تفرغوا إلى تفسير علله واستنباط أحكامه ((إذا انتهى النحوي من

---

[١]() الأصول في النحو. أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي ت ٣١٦ هـ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي. ط٣، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٩٦م :٣٦/١.

[٢]() ينظر:الأُسس المعرفية للنظرية اللسانية العربية (بحث في الأصول) إعداد الطالب :حيدر سعيد عباس، بإشراف الاستاذ الدكتور مالك يوسف المطلبي ، الجامعة المُستنصرية- كلية التربية ، قسم اللغة العربية العام الجامعي ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٢٣.

[٣]() نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد عبد الكريم الشهرستاني، الناشر، بغداد، مكتبة الثمن، ١٩٦٥م: ٣٢٣.

[٤]() ينظر: الاسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، فؤاد بو علي، الناشر: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١: ٢١٠.

الملاحظة والاستقراء اللذينِ أجراهما على المسموعِ فقد انتهت المرحلةُ الحِسية من عَملِهِ، وبدأ في التجريد، وهو استخراجُ المعقولِ من المحسوس))[1]، والناظر في كتاب سيبويه يُلاحظ أنَّ الكتابة السيبويهية لم تحصر نفسها في ظواهر التركيب وشكليات الإعراب، فكان الكتابُ عبارة عن مدونة لغوية شاملة في استقراء الكلام واستنباط أحكامه، تضبط الملكة اللسانية العربية، وتنقل النصوص المروية، وصيغ الكلام الفصيح[2]، والمتفحص للدرس النحوي يجده لا يخلو من الطابع العقلي، بل هو السمة الأكثر وضوحًا على معظمه، وهذا الانتظام الكلامي لا بد من أن يكون خاضعًا لقوانين عقلية متسقة، وهذا ما نستطيع تلمسه في القواعد التي استخرجها النحاة والتي تمثل إنصاتهم العميق لمعطيات العقل[3]، في هذا الصدد يعقب (نهاد موسى) على هذه الرؤية بقوله: ((كان النحويون الأوائل حين قدروا ما قدروا يستجيبون لبداهة العقل في البحث عن معمول للفعل[...] كما كانوا يستجيبون لما يجدهُ أبناء اللغة في نفوسهم، ويحدسون به حدساً مشتركاً، مهما يكن هذا الحدس في منطق اللغة، أو في منطق السليقة))[4]، والاستدلال العقلي في التقعيد النحوي لدى سيبويه يتمثل في صور عدة ومنها نظرية (العامل)؛ لأنها تستند إلى الرؤية العقلية، وهذه تقتضي بأن يكون لكل أثر مؤثر، ولكل فعل فاعل، ولكل معلول علة[5]، وكلُّ ذلك يُنبئ أنَّ سيبويه قد استقرى اللغة بعقليته

---

[1]() أثر كلام العرب في التوجيه النحوي للأداة: دراسة في كتب حروف المعاني العامة، بكر عبد الله خورشيد، ط١، ٢٠١٤م: ١٧.

[2]() ينظر: الأُسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي:٣٥٩.

[3]() ينظر: استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، هيثم سرحان، الناشر نادي تراث الإمارات، ط١، ٢٠١٢ :١٧٦.

[4]() نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: د. نهاد الموسى، لبنان، بيروت، ١٩٨٠م: ١٠٥.

[5]() ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبّار، تحقيق: طه حسين وإبراهيم مدكور، مصر، ط١٩٦٠،١م: ٨/ ١١-١٢.

الكبيرة فوجدها تسير وفق نظام محكم، إذ لا عبثية في نظام أحكامها وقواعدها، لذلك وقف على أغلب الظواهر اللغوية، بغية تقعيدها ومعرفة القصد والحكمة من وراء ورودها على هذا النحو.

خامساً: أدلة إعمال العقل عند سيبويه في كتابه:

١ – منهجه في ترتيب الكتاب وتبويبه:

امتلك كتاب سيبويه منهجًا واضحًا عَكَسَ عقليته الفَذَّة، في ترتيب مادته وتبويبها، و جعلته مثار إعجاب الباحثين الذين درسوه بعمق، وعلى رأسهم الشيخ محمد الطنطاويّ إذ قال: ((والكتاب مجهود علمي يدل على دقة سيبويه في الإلمام بالقواعد النحويّة فهو صورة لجهوده وجهود من سبقه من العلماء إلّا أنَّ شخصيته فيه واضحة قوية وقد ظهرتْ هذه الشخصيّة في ترتيب الكتاب وتبويبه، وحُسن تعليل القواعد وجَودة الترجيح عند الاختلاف واستخراج الفروع من القياس الذي زخر به الكتاب))[١].

وذكر الدكتور شوقي ضيف، أنَّ منهج كتاب سيبويه يعدُّ منهجًا سديدًا في التصنيف فقد نسَّق أبوابه وأحكمها إحكامًا دقيقًا ولاسيما وأنه أول كتابٍ جامعٍ لقواعد

---

[١]() نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة: الشيخ محمد الطنطاوي، ط٣، دار المعارف ، ٢٠٠٥م ، ٨٢-٨٣.

النحو والصرف[١]، وتذكر الدكتورة خديجة الحديثي أن للكتاب منهجًا واضحًا بناه سيبويه وحدَّده ونظَّمه ورتب عليه العلوم التي ضمّها هذا الكتاب، فهو جارٍ على أسلوب منطقي رتب فيه مواد الكتاب وأبوابه وقدم فيها ما يستحق التقديم من الأبواب التي تعد مدخلًا لأبواب الكتاب الأخر[٢]، وثبَّت الدكتور محمد كاظم البكاء وجود منهج اعتمده سيبويه في كتابه [٣]، أما ترتيبه الكتاب، فنجده يجمع الأشياء الكثيرة تحت أبواب خاصة بل يستحدث لها مسميات معينة ليميزها من غيرها[٤]، فالمسائل النحوية تختلط بغيرها، لذا إنّ سيبويه قام بتخليص الدرس النحويّ ممّا شابه من دراسات أخر علقت به؛ فقد كان العلماء قبل سيبويه يخلطون في مباحثهم أشياء كثيرة من مباحث التفسير القرآنيّ بالمباحث النحويّة أو اللغويّة، بل حتّى الأدبيّة وخير دليل قول الدكتور حسن عون: ((وليس من شكّ في أنّ سيبويه قد عزل عن

---

[١]() ينظر: المدارس النحوية: د. شوقي ضيف، دار المعارف ،١٩٦٨م: ٦٠.

[٢]() ينظر:المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي، ط٢، مطبعة جامعة بغداد، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ٨٢

[٣]() ينظر: منهج كتاب سِيْبَوَيْه في التقويم النَّحوي: د. محمد كاظم البَكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط١، ١٩٨٩م: ٤٥٠.

[٤]() ينظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، ١٩٨٢م: ٢٦٧ .

النحو كثيرًا من القضايا البعيدة عن ميدانه بشكل واضح ومهّد بذلك الطريق للمباحث النحوية الخالصة ؛ وهذا أمر لم نعهده من قبل))[1].

ثمّ يضيف قائلاً: ((العمل اللغويّ في هذا الكتاب كان ماثلًا بوضوح في ذهن المؤلّف، وأنّ معالم منهج واضح كانت تفرض عليه السير بيقظة وحذر في طريق التأليف، وحسبهُ أنْ يضع النحو وقضاياه في جانب من كتابه، ويضع الصرف وقضاياه في جانب آخر))[2]، ثمّ يقرّر الدكتور حسن عون رأيه باطمئنان بالمنهج عند سيبويه بقوله:((ورغم ما قيل عن اضطراب المنهج لدى سيبويه أو انعدامه واعتمادًا على قراءتنا المتأنية لهذا الكتاب خلال ما يزيد على خمسة عشر عاماً نقرّر في طمأنينة أنّ سيبويه كان متمثّلًا لما يضعه في هذا الكتاب، واعيًا لما يكتبه فيه مخططًا لقضايا الدرس النحويّ تخطيطًا يكشف عن رؤية واضحة وينبئ عن إدراك وإلمام لصورة الموضوع الذي وقف نفسه لأجله من ناحية الشكل، ومن ناحية المضمون، بالرغم من سعة المادّة التي كانت بين يديه وامتداد أبعادها))[3].

إنَّ فِكْر سيبويه وعقليته كانت واضحة في كتابه، قال الشيخ محمّد الطنطاويّ: ((لم يكُ سيبويه في كتابه جمّاعاً لآراء السابقين فحسب، بل له شخصيّة قويّة

([1]) تطور الدرس النحوي: الدكتور حسن عون، ط١، مصر، معهد البحوث ولدراسات العربية، ١٩٧٠: ٣١ .

([2]) تطور الدرس النحوي: الدكتور حسن عون: ٣٤ .

([3]) المصدر نفسه:٤٠ .

ظهرت في ابتداع بعض القواعد، وفي ترتيب الكتاب حاويًا عناصر الفنّ كلّها وتبويبه، واضعًا كلّ شيء وما يتّصل به معه، وحُسن التعليل للقواعد، وجودة الترجيح عند الاختلاف واستخراج الفروع من القياس الذي امتلأ به الكتاب))[١]، وذهب الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة، بوجود منهج في كتاب سيبويه يقول: ((ومبنى منهجه على الأخذ بالأكثر الشائع في كلام العرب، والقياس عليه واعتبار المخالف له قليلًا شاذًا لا يقاس عليه))[٢].

ويزيد الدكتور حسن عون واصفًا الكتاب بأنّ: ((كتاب سيبويه يعتبر أوّل كتاب في النحو العربيّ يصل إلينا في صورة تكاد تكون متكاملة ، وعلى درجة كبيرة من الثقة والاطمئنان؛ فهو يصوّر نقلة للنحو العربيّ ومظهرًا من مظاهر تطوّر درسه؛ إذ أصبح طلاب الدرس النحويّ يبتغون في هذا الكتاب؛ قراءةً ومنهجًا واستيعابًا بعد أنْ كانوا يبتغونه أو يتلقّونه سماعًا من أفواه العلماء))[٣]، ونصوص هؤلاء العلماء المحدثين تُعدُّ ردّاً على مَنْ ذهب إلى أنَّ الكتاب يخلو من الترتيب والتبويب[٤]، أو مَن إدَّعَى أنَّ الكتاب فيه منهج يشوبه الاضطراب[١].

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ٦٩ .

(٢) النحو وكتب التفسير، ابراهيم عبد الله رفيدة، الناشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٩٠ : ١٠٧٢/٢ .

(٣) تطوّر الدرس النحوي : ٣٢ . ٣٣ .

٤() ينظر: من ملامح المنهج العلمي عند علماء العربية، الأستاذ، ماهر عبد القادر محمد علي، الناشر، بحث أُلقي في ندوة الثقافة والعلوم، دبي:٨١ .

و ترى الباحثة أنَّ هناك رؤية تنظيمية واضحة من المؤلف في الكتاب هذه الرؤية متأتية من العقلية الكبيرة التي تمتع بها سيبويه، في وقت لم يكن هناك منهج معين للتأليف، ولو أطال الله الأجل لسيبويه لكتب لنا مؤلفات أُخر نستطيع أن نقف على منهجه، وعقليته الفَذَّة فيها بصورة أوضح .

٢- (القياس، التعليل):

القياس لغة: التقدير، يقال: قاسَ الشيء يَقيسُه قَيْسًا وقِيَاسًا[...] إذا قدَّره على مثاله قِسْتُ الشيءَ بغيره وعلى غيره [٢]، أما في الاصطلاح، فله تعريفات عدة، فقد جاء في التكملة:((إنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب))[٣]، وحَدّه (الرّماني ت٣٨٤):(الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني، وفي فساد الثاني فساد الأول)[٤]، أما (أبو البركات الأنباري ت٥٥٧هـ) فقد عَرّفَهُ

---

[١]() ينظر: منهج سيبويه في ترتيب الأبواب النحوية في الكتاب، نوفل إسماعيل صالح جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية، مجلة ديالى ٢٠١٥، العدد الثامن والستون: ٤-٨.

[٢]() ينظر: لسان العرب، مادة: قيس، وينظر: الصحاح، مادة (ق-ي-س)

[٣]() التكملة، محمد بن عبد الله البلنسي ابن الأبّار، تحقيق: عبد السلام الهراس، الناشر، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٩٩٥: ٨١-٨٢.

[٤]() رسالة الحدود في النحو: أبو الحسن الرماني، بحث منشور في مجلة المورد، مجلد ٢، عدد١، ١٩٩٥م: ٦٦.

بأنَّهُ((حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه))[١]، وحدُّه (ابن جني) بقوله:((ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب))[٢]، ويرى الاستاذ عباس حسن أنَّ القياس هو:((محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية، وحملُ كلامنا على كلامهم، في صوغ أصول المادة وفروعها))[٣]، نستطيع القول إنَّ القياس عملية عقلية، وهو ثمرة التفكير المنطقي .

وتَحَدّثَ (نصير الدين الطوسي ت٦٧٢هـ) عن عملية القياس ووصفها بأنَّها ثمرة التفكير المنطقي[٤]، ويتَّضح معنى القياس في قول الخليل: ((وقالوا: الأدْمَة في الناس شُربةٌ من سواد، وفي الإبل والظباء بياض، يقال: ظبية آدْماء، ولم أسمع أحدًا يقول للذَكَر من الظباء آدَم، و إن كان قياسًا))[٥]، لذلك فالعربي له حق القياس و إن كان غير مسموع بين ظاهرتين لغويتين على اشتراط وجود شبه بينهما.

تَرَكَّزَ اعتماد سيبويه عند تحليله للظواهر اللغوية على الموازنة، بين الظاهرة الأصيلة وما ينتج عنها، على صعيد المفردات والتراكيب التي تؤديها الكلمات داخل العبارات، وهذا النهج ليس بغريب، فقد تَرَسَّمَتْ ملامحه عند شيوخ سيبويه، لذلك كان

---

[١]() الإغراب في جدل الإعراب: أبو البركات الأنباري (المتوفى ٥٧٧هـ) تحقيق: سعيد الأفغاني، منشورات الجامعة السورية ، ط١، ١٩٥٨م: ٤٥.

[٢]()الخصائص: ٣٨٥/١.

[٣]() اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م: ٢٢.

[٤]() ينظر: أساس الاقتباس في المنطق، نصير الدين الطوسي ت ٦٧٢هـ. تحقيق: حسن الشافعي ومحمد سعيد جمال الدين، نشر المجلس الأعلى للثقافة، مصر: ١١ ٣١ .

[٥]() كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٨٨/٨، مادة(دمأ) تقليب (أدم).

لهذا المنهج أثره الطارئ من حذف أو زيادة أو ترتيب على الظواهر اللغوية، والقياس النحوي ((حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه))[١]، لذا فهو عمل نحوي خالص، ويقَّسم هذا النوع من القياس على ثلاثة أقسام((قياس العلة، قياس الشّبه،قياس الطرد))[٢].

١-قياس العلة: ((هو أنْ يُحمل الفرع على الأصل بالعلة التي علق عليها الحكم في الأصل))[٣]، مثاله حمل نائب الفاعل على الفاعل بعلة الإسناد.

٢-قياس الشبه: ((هو أنْ يُحمل الفرع على الأصل بضرب من الشبه غير العلة التي علق عليها الحكم في الأصل))[٤]، ومَثَّلُه إعراب المضارع؛ لأنه أشبه الاسم من عدة أوجه.

٣-قياس الطّرد: هو الذي يوجد معه الحكم وتفقد الإحالة في العلة[٥].

ومن أمثلة القياس في كتاب سيبويه هو (قياس الغائب على الشاهد)، في إثبات التحسين والتقبيح العقليين قياسًا على الإنسان العاقل الحكيم، إنَّ قياسَ الغائب على الشاهد يشمل جميع الاستدلالات العقلية، فالغائب ليس فقط هو الغائب عن الحواس

---

[١]() لمع الادلة في اصول النحو: ابو البركات بن الانباري ، تحقيق: سعيد الافغاني، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت، ١٩٧١م: ٤٥.

[٢]() لمع الادلة: ١٠٥.

[٣]() المصدر نفسه: ١٠٥.

[٤]() المصدر نفسه: ١٠٧.

[٥]() ينظر: المصدر نفسه: ١١٠.

بل الغائب هو ما ليس بمعلوم مطلقًا من غير حدِّه بالحواس، والشاهد هو المعلوم مطلقًا، وفي هذا الشاهد من الكتاب نستطيع تلمس الإشارات إلى هذا النوع من القياس: قال سيبويه: ((وإنَّما كان المُخاطَب أَوْلى بأَنْ يُبدأَ به من قبلِ أنَّ المُخاطَب أقربُ إلى المُتكلِّم من الغائبِ، فكما كان المُتكلِّم أوْلى بأنْ يبدأَ بنفسِه قبل المُخاطَب، كان المُخاطَب الذي هو أقربُ من الغائبِ أوْلى بأنْ يُبدأَ به من الغائب))[1].

ومما يدعم جودة هذا القياس عرض سيبويه للاستعمال اليومي مستفيدًا من القبح العقلي في تثبيت هذه المقدمات، قال سيبويه: ((فإنْ بدأْتَ بالغائبِ فقلْتَ: أعطاهوكَ، فهو في القُبْح وأنَّه لا يجوز، بمنزلة الغائب لمخاطَب إذا بُدئَ بهما قبل المُتكلِّم، ولكنك إذا بدأت بالغائب قلْتَ قد أعطاه إياك. وأمَّا قول النَّحويين: قد أعطاهوك وأعطاهوني، فإنَّما هو شيء قاسوه[...] وكان قياس هذا لو تُكلِّمَ به كان هيِّنًا))[2].

وقد علل ذلك استنادًا إلى النص القرآني؛ لأن النص القرآني يحمل سلطة معرفية لها القدرة على التأثير في المخاطب، ومن ثُم إيضاح ما ذهب إليه سيبويه وما قصده لذلك أورد قوله تعالى معززًا تنظيره بقوله تعالى:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ

---

(1) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م: ٢/٣٦٤.

(2) كتاب سيبويه:٢/ ٣٦٤ .

﴿٣٨﴾[١] ((فهذا كهذا إذا بدأْتَ بالمُخاطَب قبل الغائبِ))[٢]، فسيبويه يرى أنّ البدء بالغائب قبل المخاطب قُبْحٌ عقليٌّ، وهو على طول الكتاب يقيس الحُسْن والقُبْح في تركيب الكلام على العقل فما يعتمده العقل بأنَّه حسن، يمكن أنْ يطبقَ على الحُسنِ في استعمال التركيب، وبذلك ينعتها بالقُبح .

ويتراءى لي أنّ في فِكِر سيبويه آصرةً للقياس بما قالت العرب في كلامها ، وأنْ يكون القياس يؤدّي إلى مثيله في استعمالها .

وبالقياس يُميّز صواب الكلام من غلطه؛ فيجب على المتكلّم بالعربية أنْ يحذو سمْت العرب في كلامها؛ وذلك بالقياس الصحيح، وعليه فقد اعتمده سيبويه قاعدةً و سندًا وعمادًا، يقول الدكتور عبود جاسم: ((إنّ قياس الخليل وسيبويه لم يكن فطريًّا كلّه كما لم يكن مصطنعًا كلّه، فقد كان يجمع بين النوعين تبعًا لما يتطلّبه المنهج الدراسيّ التعليميّ من توضيح بأمثلة، قد يوجد بينهما التشابه، قريبًا أو بعيدًا، ومن شرح عقليّ قد يبنيه على مشابهة مبسّطة أو معقّدة))[٣].

أما التعليل فهو الآخر له حضور في كتاب سيبويه؛ وذلك لأنَّ الإنسان مجبول بطبعه أن يسأل عن السبب ويستقصي العلة، ومن طبيعة العقل الإنساني، أنّه عقل تعليلي، يؤمن بأن كلَّ شيء في الوجود خاضع لعلة وسبب وحكمة؛ لذا وظيفة العقل

---

[١] () سورة هود: ٢٨.

(٢) كتاب سيبويه :٢/ ٣٦٤ .

[٣]() الدراسات النحوية واللغوية ومنهجها التعليمي في البصرة الى القرن الثالث الهجري، المؤلف: عبود جاسم محسن، مطبعة النعمان، ١٩٧٣: ٢٧٤ .

تتبع الجزئيات وجمع ما تشابه منها للوصول بالظاهرة النحوية إلى القاعدة العلمية، لذلك كان التعليل مرافقًا للحكم النحوي، وغرض التعليل هو أن يظهر خضوع الظواهر لقواعد العلم وأحكامه، و مصدر العلل في عصرها المبكر هو كتاب سيبويه؛ لأنه أَقدم أثرٍ نحويّ مسجَّلٍ وصل إلينا، ويعد أول مدونةٍ جامعة للعلل النحوية، وقد سبقه إلى ذلك عبد الله بن اسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ)، مُمَثِّلًا بذلك المرحلة الاولى، حتى وصل الأمر الى الخليل، الذي بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله،[1]، فكتاب سيبويه زاخر بالعلل، وهي شبيهة بعلل الخليل والذين روى عنهم سيبويه من حيث عنايتها بالمعنى، واعتمادها ذوق العرب العقلي، حتى بات كتابه يُعَلَّمُ البحثَ والنظرَ والقياسَ والنحوَ، ساعده على ذلك مهارة في تطبيق القياس، وذكاء في استخراج العلل، ونظرٌ خِضْبٌ في توليد الفروع وتفريعها.

ويُلاحظ أنَّ نظرية العامل لها مصاديق عقلية متنوعة تتجسد في نصوص سيبويه كما سيتضح بقوله: ((واعلم أن الاسم أولُ أحوالِهِ الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء، والجار على المبتدأ، ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الاشياءُ حتى يكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرتُ لك، إلا أن تدعه، وذلك أنك إذا قلت : (عبدُ اللهِ منطلقٌ)، و إن شئتَ أدخلت

[1]() ينظر: نزهة الألباء في طبقات الادباء، أبو البركات الأنباري ، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م:. ٥٥

(رأيت) عليه فقلت: (رأيتُ عبدَ اللهِ منطلقاً)، أو قلت : (كان عبدُ الله منطلقاً) أو (مررت بعبدِ الله منطلقاً)، فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العددِ، والنكرة قبل المعرفة))[١].

ويلاحظ أنَّ سيبويه يذكر الأحكام النحوية، ثم يشرح علّة الحكم و أسبابه، والعلة العقلية: ((هي كل أمر يصدر عنه أمر آخر، بالاستقلال أو بواسطة انضمام الغير إليه فهو علة لذلك الأمر))[٢]، وعند النحويين تعني النظر في الأحكام النحوية على اختلافاتها، مع معرفة الأسباب التي استدعت تلك الأحكام، والتعليل عند سيبويه: إلحاق الحكم النحوي بعلّة يلقيها صاحبها بأسلوب الأُستاذ المقرر أو العالم الواثق، فلا يتخيل ردًّا عليه ولا يفترض نقضًا له .فإذا لجأ إلى التعليل فهو بذلك يثبت الحكم النحوي ويؤيده. وقد أدرك الباحثون المحدثون، أهمية العلل عند سيبويه، فقد ذهب الأُستاذ علي النجدي، إلى أنّ تعليلات سيبويه كان قد استمدها ((من كل ما يمكن أن تستمد منه التعليلات إلَّا حقائق الفلسفة وقضايا العلوم))[٣]. وخير من تابع هذه القضية، الدكتورة خديجة الحديثي تقول:((ولهذا نجد الكتاب مليئًا بالتعليلات المتتابعة الأصيلة بحيث لا تمر مسألة أو يذكر حكمًا إلّا ويعلل، غير أننا في معظم

---

[١]() كتاب سيبويه١/٢٤.

[٢]() التعليل في الدرس النحوي (نظرة في اصول اللغة)، د-حسن عبد الغني الأسدي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد السابع، العدد الرابع، ٢٠٠٩م: ٢٠.

(٣) سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر ١٩٥٣م: ١٦٣.

الأحيان لا نجد سيبويه يصرح بأن هذا علة للمسألة أو للحكم، ويكتفي بأن يقول:(لأي شيء) أو (لأنه) أو (لأن) أو (ذلك لأنك) إلى غير ذلك من الألفاظ والعبارات التي تدل على كون ما بعدها علة لما قبلها من حكم أو نحوه ، وقد صرَّحَ في بعض المواضع بلفظ العلة و بما في معناها كالسبب ونحوه))[1]، والعلة محور التفكير القياسي، لذا ترتبط بالأصل ارتباطًا وثيقًا، وعرّفَ الدكتور مازن المبارك العلة بأنها((الوصف الذي يكون مظنّة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم))[2]، وقد يراد بالعلة النحوية:((تفسير الظاهرة اللغوية والنفوذ الى ما ورائها وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه، وكثيرًا ما يتجاوز الأمر الحقائق اللغوية، ويصل الى المحاكمة الذهنية))[3]، وقد تَحَدَّث الدكتور مازن المبارك عن العلة عند سيبويه، إذ وجدها عنده وعند شيخه الخليل بعيدةً عن الفلسفة، قريبةً من روح الُّلغة ومن حسِّها الذي ينفر من القبح، ويراعي المعنى، ويطلب الخفَّةَ، ويفرُّ من الثقل، فالتعليل ((عند سيبويه ليس أكثر من إلحاق الحكم النَّحوي بعلة يلقيها صاحبها بأسلوب الأستاذ

---

[1]() الشاهد و أصول النحو في كتاب سيبويه: د- خديجة الحديثي ، مطبعة مقهوي، الكويت، ١٩٧٤، ٣٥٦.

[2]() العلة النحوية، نشأتها وتطورها، د-مازن المبارك، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٤م: ٩٠.

[3]() أصول النحو العربي، محمد خير الحلواني، الناشر الأطلسي، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٢: ١٠٨.

المقرر أو العالم الواثق، فلا يتخيل ردًّا ولا يفترض نقضًا له ولا هو يحاول إضعاف العلة وتوهينها ليعودَ فيثبتها أو يؤكّدها شأن المتأخرين من أهل صنعته))[١].

ومن أَمثلته في كتاب سيبويه التَّعليل بالمشابهة، حيث زخَرت به كتبُ النُّحاة المتقدمين منهم والمتأخرين، فهي ملجأ النُّحاة حين يجدون ما يخرِقُ أُصولهم في كثيرٍ من الأحيان؛ إذ إنَّهم قسَّموا الكلام على ثلاثةِ أقسام، وأعطوا كلَّ قسمٍ حدَّهُ وأُصولَهُ، وحين يخرجُ الاستعمالُ اللُّغوي إلى غيرِ ما بنوا، تكونُ المشابهةُ هي المُتَّكَأ للخروج من هذا الإشكال اللُّغوي[٢]، وقد استعمل سيبويه هذه العِلَّة في تعليل الكثير من المسائل النَّحوية عن طريق تشبيهها بمسائلَ أُخر، أو حملها على غيرها، فكان يسعى إلى جمع شتات الموضوعات المختلفة التي تناولها في كتابه لينظمها في عِقْدٍ واحد، حتى تكون بمثابةِ القانونِ العام الذي يُنظّم تعليم اللُّغة، لذا وضع النَّحويون العلل اللُّغوية ليقرّبوا بين هذه الأشياء المتباعدة، حتى تبدو اللُّغة أقرب ما تكونُ إلى التجانس والاطّراد، وسأتحدَّث عن بعض هذه العلل التي يتجلّى فيها الأثر العقلي واضحًا.

---

(١) العلة النحوية نشأتها وتطورها: ٦٤.

(٢) ينظر: المشابهة في النحو العربي، نعمان عنبر الابراهيمي ، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، ٢٠٠٢م : ٨٨.

١- علة المشابهة:

نجد عند سيبويه إشارات إلى أنَّ ما يُشَبَّه بالشيءِ في كلامِ العربِ وليسَ مِثْلُهُ في جميعِ أحوالهِ كَثيرٌ[١]، ويرى السِّيرافيّ أنَّ ما شُبِّه بالشيء لا يجب أن يُساوى في جميع أحواله المُشَبَّهة[٢]، وكلمَّا ازداد وجه الشبه قوةً قوي حَمْلُ المشبه على المشبه به في العمل، وفي ذلك يقول ابن يعيش(ت٦٤٣هـ): ((الشيء إذ أشبه الشيء أُعطي حكمًا من أحكامه على حسب قوة الشبه، وليس كلُّ شبهٍ بين شيئين يوجب لأحدهما حكمًا هو في الأصل للآخر، ولكنّ الشبه إذا قوي أوجب الحكم وإذا ضعُف لم يُوجبْ، فكلَّما كان الشبه أخصُّ كان أقوى، وكلَّما كانَ أعمَّ كانَ أضعفَ))[٣].

ومن هذه العلل، هي عِلَّة نَصْبِ الفعل المضارع بـ(كي) هي مشابهتها (أنْ) في وقوعِ ما بعدها مستقبلًا[٤]، ونُقِلَ عن النَّحويين في (كي) ثلاثة مذاهب، والذي يهمنا هو مذهب سيبويه إذ ذكَر أنَّها حرفُ جرٍّ تارةً، وناصبة للفعل تارةً أخرى[٥]، وإنَّما نصبتْ المضارع؛ لشبهها بـ(أنْ) في كونها مصدرية مختصَّة بالمستقبل، أما مذهب

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ١٨٢/١.

(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيّد علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ٣٧/٢.

(٣) شرح المفصّل، موفق الدين ابن يعيش النحوي(ت٦٤٣هـ)، ادارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت: ١/ ٦٦.

(٤) ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السِّيرافيّ ٨٣/١ .

(٥) يُنظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٦-٧، و ينظر: شرح الرضي على الكافية ،رضي الدين ابن محمد بن الحسن الأستراباذي (ت٦٨٦م) ،تحقيق: يوسف حسن عمر ،منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي-ليبيا ،١٣٩٨م - ١٩٧٨م : ٤/ ٥٠- ٥١،

الأَخفش وجماعة من النَّحويين، أنها حرف جر دائماً، ولا فرقَ عندهم بين أن تتقدَّم اللام في (كي) أو تتأخر أو عدم وجودها[1].

والرأي الراجح هو ما ذهب إليه سيبويه والجمهور، ولعلَّ هذه التعليلات التي ذكرها النُّحاة لا تُسْعِفُ في الكشف عن المعنى الذي تُحدثه (كي) مع المضارع المنصوب في التركيب النَّحوي، بل تُخفي حقيقة هذا التركيب؛ لأنَّهم يفترضون مصدرًا مؤولًا لكي يفي بحاجة اللام –عندهم– إلى مجرورٍ، ولأنَّهم يقدَّرون أدواتٍ لو اقتضاها المعنى لظهرت، وهذا كلُّه حراكٌ عقلي في تفسير الظاهرة اللغوية.

٢-*علة الحملُ على اللَّفظ والمعنى:* وهي من أعلى مستويات التّعليل[2]، إذ إنَّ النَّحويين لا يلجؤون إلى الحملِ على المعنى إلاَّ إذا تعذّر الحملُ على اللَّفظ والمعنى معًا؛ وذلك لطلب المشاكلة وحصول الاتفاق بين اللَّفظ والمعنى، قال السِّيرافيّ: ((إذا

(١) ينظر: معاني القرآن لأبي الحسنْ سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) قدّم لهُ وعلّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين: ١٢٧/١، وشرح الرضيّ على الكافية ٤/ ٤٨.

(٢) ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د. حسن خميس الملخ ، دار الشروق، عمان ـ الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٠م: ١١٢.

تطابق اللَّفظان مع تساوي المعنيين كان أفصح من تخالف اللَّفظين))[1]، فهم يرون أنّ الحمل على اللَّفظ والمعنى أولى من الحمل على المعنى دون اللَّفظ[2].

وقد صاحبتْ هذه العِلَّة خطوات النحو الأولى في كتاب سيبويه، وكان يُعَلِّلُ بها الكثير من المسائل النَّحوية[3]، ولا تكاد تخلو أبواب النحو في مصنفات النَّحويين من التعليل بها، ومن أمثلةِ هذه العلة هي علة إعمال اسم الفاعل إذا كان دالاً على الحالِ والاستقبال؛ حملاً على الفعلِ المضارعِ[4].

فسيبويه يرى أنَّ عِلَّة إعمالِ اسم الفاعل؛ لأنَّه أُجري مجرى الفعل المضارع في المعنى، وهو الحال والاستقبال، وحمل الأسماء على الأفعالِ إذا كانت بينهما مشاكلة، وحمل الأفعال على الأسماء جائز، فمن ذلك أنَّ الأفعال المضارعة قد حُمِلَتْ على الأسماء فأُعربت للمضارعة التي بينها وبين الأسماء، ولم تكن في الأصل معربة ولا مستحقة للإعراب، فبالمضارعة التي حُملت بها الأفعالِ على الأسماء وأُعربت، و حُملت الأسماء على الأفعالِ فأُعملتْ؛ لأنَّ العملَ في الأصل

---

(1) شرح كتاب سيبويه، السِّيرافيّ٣/٥٢.

(2) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ) ،تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة ،الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م: ١/٧٨١.

(3) يُنظر: كتاب سيبويه: ١/ ٣١٠، ١/ ١٧١– ١٧٢، ١/٢٨٨، ٢/ ١٨٠.

(4) ينظر: شرح السِّيرافيّ: ٣/ ٢٠٣.

للأفعالِ[١]، وبذلك يتّضحُ أنَّ عِلَّة إعمالِ اسم الفاعل الدَّال على الحالِ والاستقبال هي الحملُ على اللَّفظ والمعنى، وباستقراءِ هذه العِلةِ في مظانِّ النَّحوِ ثبتَ أنَّ مُعْظمَ النُّحاة اعتمدوا على هذه العِلَّة، ومنهم المبرّد[٢]، وابن السراج (ت٣١٦هـ)[٣] والزجّاجيّ (ت٣٣٧هـ)[٤]، وابن الوراق(ت٣٨هـ)[٥]، والجرجانيّ(ت٤٧١هـ)[٦]، والراجح مذهب سيبويه والجمهور، لأنَّ العبرة بالدلالةِ على الزمنِ، لا بالحركات والسكنات، ويُلاحظ أن علَّة الحمل بُنِيَت على معيار الدّلالة الزمنية وهذا استقراء عقلي راجح في استنباط النتائج.

٣- علة الاستغناء.

ومن العِلَل النَّحوية التي استعملها سيبويه و النُّحاة بكثرة، هي علة الاستغناء، ومعناها الإغناء و الكفاية، فالإغناء مصدر أغنى عنك، أي كفاك، قال تعالى: ﴿

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٢٠٣.

(٢) ينظر: المقتضب: ١١٩/٢.

(٣) يُنظر:الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ) ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م:١٤٤/١.

. ١٤٤/١

(٤) يُنظر: الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق: مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٣م :١٣٥ .

(٥) يُنظر: علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله ابن الوراق(ت٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، بيت الحكمة، بغداد ،٢٠٠٢م: ٣٠١-٣٠٢.

(٦) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح ،عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان ،المطبعة الوطنية ،عمّان ،نشر دار الرشيد ،بغداد ،١٩٨٢م: ٥٠٥/١.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1]، أي: يَكُفُّهَ وَيَكْفِيهِ[٢]، وغنى القوم في دارهم: أقاموا كأنَّهم استغنوا، أي اكتفوا بدارهم عن سواها[٣]، والعرب كثيرًا ما تستغني بالشيء عن غيره فيقوم مقامه، ويؤدي مؤداه، ذكر سيبويه إنَّ بعض العرب قد تستغني بالشيء عن الشيء حتى يصير المستغنى عنه مسقطًا في كلامهم البتة[٤]، والاستغناء من العِلَل التي وردت كثيرًا في كتاب سيبويه[٥]، فقد أوردها لتعليل استعمال ما من استعمالات العرب من دون غيره، فعِلَّة الاستغناء عند سيبويه تقوم على الموازنة العقلية بين الاستعمالات اللغوية، إنَّ في ذكر العلل النحوية تعزيزًا للحكم النَّحويّ، وتفسيرًا عقليًا للواقع اللُّغويّ، وقد آمن علماؤنا الأجلاء بأنَّ العرب لم ينطقوا بكلامهم اعتباطًا، بل راعوا في عقولهم عللًا له وإنْ لم يصرحوا بها.

وما عرضناه ليس سوى غيض من فيض، فالعللُ كثيرةٌ جدًا ومتنوعةً عند سيبويه، ولا سبيل إلى حصرها وبسط القولِ فيها، وهي لا تخلو من التفسير العقلي لذا سأكتفي بذكرها من دون الخوض فيها وهي كالآتي:

---

[1]() سورة عبس:٣٧

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (غنى) ١٠٢/٥.

(٣) ينظر: مادة (غنى) في العين ٤٥٠/٨.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٥/١.

(٥) يُنظر: دراسات في كتاب سيبويه، الدكتورة: خديجة الحديثي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت: ١٩٩.

(علَّة التعويض[١]، وعلَّة عدم الشَّبَه[٢]، وعلَّة التّساوي[٣]، وعلَّة أمن اللبس[٤]، وعلَّة عدم الإطِّراد[٥]،وعلَّة احْتِياج الحركة[٦]، وعلَّة الإجراء على الأصل[٧]، وعلَّة الزيادة[٨]، وعلَّة الرَّد إلى الأصل[٩]، وعلَّة الخروج على الأصل[١٠]، وعلَّة خوف الإلتباس[١١]،وعلَّة الخِفَّة[١٢]، وعلَّة الثقل[١٣]، وعلَّة توالي الأمثال[١٤]، وعلَّة الفرق[١٥]، وعلّة كثرة الاستعمال[١٦]، وعلَّة الضعف أو الجهد[١٧]، وعلَّة النَّظير[١٨]،

---

[١]() ينظر: كتاب سيبويه: ٣/٨٣، ٤/٨٥.

[٢]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٤٠٧، ٣/٥٢٣.

[٣]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٦٣٨، ٦٤٠.

[٤]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٦١٤، ٤/ ١٥٦.

[٥]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٦١٧، ٤/٢٧٩.

[٦]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٤٥، ٣/٤٣٩.

[٧]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٩٢، ٣/٤١٠.

[٨]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٥٢، ٣/٤٤٦.

[٩]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٨٦، ٣/٤٤٩.

[١٠]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٤٥٦، ٤/٣٤٨.

[١١]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٧٦، ٣/٤٨٨.

[١٢]() ينظر: المصدر نفسه ٤/٣٣٥ ، ٣٣٨، ٣٥١.

[١٣]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٩١، ٣/٤٥٨.

[١٤]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٤٥، ٣/٤٣٢.

[١٥]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٤١١، ٣/٥٢٣.

[١٦]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٤١٣، ٣/٤٨٦.

[١٧]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٥٨، ٣/٤٧٠.

[١٨]() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٥٣٨، ٣/٥٩١.

وعلَّة المجيء على الأصل[١]،وعلَّة المجانسة[٢]، وعلَّة مشاركة[٣])، ونجد أغلب علماء العربية الذين جاءوا بعد سيبويه، نجدهم يميلون الى تحليلات سيبويه النحوية العقلية في المسائل التي خاض فيها جميعاً، ويرجحون المذهب الذي ذهب إليه، وهذا يدل على أنه لم يطلق أَحكامه جزافًا، بل كان يستقري كلامَ العربِ فيعلِّلُ المسألة ويقيد الحكم النحوي، وكذا الحال في أقيسته العقلية.

٣- الألفاظ التي تُعبّرِ عن الاستدلال العقلي(الدليل، الحجة):

إنَّ ممّا يعضد مرجعيته العقلية، اعتماده على إقامة الدليل العقلي، الذي هو ما يتوصل إليه الناظر بنظر صحيح إلى العلم، وللعقل أثرٌ كبيرٌ، لاعتماده على عنصري الاجتهاد والنظر، فسيبويهِ يُقِيم الدليل لتقوية ما ذَهَب إليه من رأي، في المسألة اللغوية، وقد يعلل بالقبول أو الرفض وهذا يعمق رأيه في إيجاد ما يصح، في ترجيح المسألة.

ولو عدنا إلى لفظ ((الدليل في اللغة نجده يعني المرشد و الارشاد، وفي الاصطلاح: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر))[٤]، فالدليل يحتاج إلى قاعدة يستند إليها أو مرتكز أولي لينتج عنه فيما بعد نتيجة يمكن أن يقال عنها بأنها حُجّة، تُلقى على الشاك، أو لإثبات ما نحن بصدده من فِكَرْ، لذا فالاستدلال هو

---

[١]() ينظر: كتاب سيبويه: ٣٣٤/٤، ٣٨٧/٤.

[٢]() ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٦/٣، ٣٨٧/٣.

[٣]() ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٢/٣، ٥٨٩/٣.

[٤]() التعريفات، الجرجاني: ٤-١.

((تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر أو العكس، ومن أحد الأثرين إلى الآخر))[١].

ومنهج الاستدلال في إقامة الأدلة، مع تعزيزها بالحجج والشواهد، لإثبات الأحكام اللغوية، نجده واضحًا في كتاب سيبويه، فنجد لفظة (يدلك) وردت في كتابهِ ستاً وتسعين مرة و (يدل) عشر مرات (دلَّ) مرة واحدة و(دليل) وردت سبعاً وعشرين مرة ولفظة (استدل) مرة واحدة و(يستدل) ثلاث مرات، واستعمل لفظة حجة ثلاث مرات[٢]،ومنه قول سيبويه: ((فإذا قال ذَهَبَ فهو دليل على أنَّ الحدث فيما مضَى من الزمان، وإذا قال سَيذْهَبُ فإنه دليل على أنه يكون فيما يُستقبَل من الزَّمان، ففيه بيانُ ما مضَى وما لم يمضِ منه، كما أنّ فيه استدلالاً على وقوع الحدث))[٣]، ونفى سيبويه أن يكون في الفعل (ذهب) تحديد لجهة الذهاب وإنما نستدل من الفعل على المكان والمذهب، فقال معللاً: ((وقد قال بعضهم ذهبت الشام، يشبهه بالمبهم، إذ كان مكاناً يقع عليه المكانُ والمذهب، وهذا شاذ لأنّه ليس في ذهبَ دليلً على الشام، وفيه دليلٌ على المذهبِ والمكانِ، ومثلُ ذهبت الشامَ: دخلتُ البيت))[٤]، واستعمال سيبويه لكلمة (يدلك) يدل على أنه كان يخاطب القارئ الكفء أو القارئ

---

[١] () التعريفات، الجرجاني:٦١/١٧.

[٢] () ينظر: مرجعيات الفكر اللغوي عند سيبويه في كتابه: الدكتور فالح الأسدي: ٨.

[٣] () كتاب سيبويه:٣٥/١.

[٤] () المصدر نفسه:٣٥/١.

المثالي وليس القارئ الافتراضي ونجد لفظتي(دليل و يدلك) في نص لسيبويه تكلّمِ به على كفاية المُتكلّمِ مراعيًا ما يدور في خلده من مقاصد في أثناء إنشاء الحديث، قارًّا في ذهنه بالظروف الحافة بالقول عند اطلاقه الى الوجهة التي يريدها، منبّهًا الى معرفة المُخاطَب في أساليب العربية التي يتحاور المتخاطبان فيها، يقول في النص: ((وتقول: ما ضربْتُ أحدًا يقولُ ذاك إلَّا زيدًا، لا يكونُ في ذا إلَّا النَّصب؛ وذلك لأَّنك أردْتَ في هذا المَوضِع أنْ تُخْبِرَ بموقوع فِعْلِك، ولم تردْ أنْ تُخْبِرَ أنَّه ليس يقول ذاك إلَّا زيدٌ، ولكنَّك أَخْبرْتَ أنَّك ضربْتَ ممَّنْ يقولُ ذاك زيدًا، والمعنى في الأول أنَّك أردْتَ أنَّه ليس يقول ذاك إلَّا زيدٌ، ولكنَّك قُلْتَ رأيْتُ أو ظننْتُ أو نحوهما لتجعلَ ذلك فيما رأيْتَ وفيما ظننْتَ[...] فهذا يدلُّك على أنَّك إنَّما انتحيْتَ على القول ولم تردْ أنْ تجعلَ عبد الله مَوضِع فعل كضربْتُ وقتلْتُ، ولكنَّه فعلٌ بمنزلة ليس يجيء لمعنى، وإنَّما يدل على ما في علمك))[1]، يحاول سيبويه في هذا النَّص أن يحدد الإعراب على البدل مع توافر الشروط الشكلية للرَّفعِ على الحال فهو يذكر في باب يكون المستثنى فيه بدلًا ممَّا نُفِيَ عنه ما أُدخِلَ فيه، قوله: ((وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلَّا زيدٌ، وما مرَرْتُ بأحدٍ إلَّا عمرو، وما رأيْتُ أَحدًا إلَّا عمرًا))[2]، وقد تنبَّه السِّيرافي لأمثلة سِيْبَويْه وعلل له ذلك بقوله: ((الذي جعله سِيْبَويْه بدلًا في أوّل هذا الكتاب من قوله: ما أتاني أحدٌ إلَّا زيدٌ، وما مرَرْتُ بأحدٍ إلَّا عمرو جعله الكسائي والفرَّاء

(١) كتاب سيبويه:٢/٣١٣-٣١٤. .

(٢) المصدر نفسه:٢/ ٣١١ .

عطفًا، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فكيف يكون بدلًا والأول منفي وما بعده إلَّا موجب؟))[1]، وقد ردَّ السِّيرافي على اعتراض ثعلب وانتصاره لشيخه الفرَّاء مدافعًا عن رأي سِيْبَوَيْه ((ما أتاني أحد، فالرَّافع (لأحد) هو (أتاني) أيضا فكل واحد من (أحد)و (زيد) يرتفع بـ (أتاني) إذا أفرد به، فإذا ذكرناهما جميعا فلا بدَّ من أنْ يكون الأول منهما يرتفع بالفعل؛ لأنَّه يتصل به، ويكون الثاني تابعًا له، كما يتبعه إذا قلنا: جاءني أخوك زيد، لا يقال: زيد فاعل؛ لأنَّ (أخوك) باتصاله بالفعل صار فاعلًا، وزيد بدل منه، وأمَّا اختلافهما في النفي والإيجاب فلا يخرجهما عن البدل؛لأنَّ مذهب البدل في ذلك أنْ تقدرَ الأول في تقدير ما لم يذكر))[2]،وتحليل السِّيرافي لما قصده سِيْبَوَيْه دليل على أن سيبويه قد عادَلَ بين المخاطب والمتكلم، وإنَّ كفاية المُخاطَب تعدل كفاية المُتكلِّم، وهذا الفهم والدفاع من السِّيرافي لسيبويه دليل على أنّ سيبويه راعى ظروف كلا الطرفين (المتكلم والمخاطب) فهو يسوق الدليل مع مراعاة سياق الحال والظروف المحيطة عند إنتاج النص وهو شيء لا يغفله سِيْبَوَيْه عند قصديته الخطابية، كما سنرى في المبحث الثاني، لذلك فرَّق بين المَوضِع الذي أراد المُتكلِّم به موقوع فعله، فهو كأنه يقول للمخاطب إنَّ المعنى هو مَنْ يُجبر المُتكلِّم عدم الرَّفع، وفسّر اختلاف المعنى على وفق مراد المُتكلِّم، وقصده مما يريد إيصاله، ففي المعنى الأول كان قصد المُتكلِّم إنَّه

(1) شرح كتاب سيبويه: السِّيرافي: ٣/٥٠.

(2) المصدر نفسه: ٣/٥١.

ضَرْبُ زيدٍ فقط وليس يخبر عن قول زيد، وقد صدق مَن ذهب إلى أنَّ علماء النحو العرب كانوا الأجدر في إرساء الأحكام اللغوية، وذلك بأن ((علماء النَّحو أرسوا دعائم معنوية عبّرت عن مقاصد المُتكلِّمين في الميادين المختلفة، ومنها التي يدّعي المحدثون أنَّهم قد أبتكرها أو خاضوا فيها للمرة الأولى))[١] .

ومن الأدلة العقلية التي تنبّه لها سيبويه هي التفريق الدقيق في المعنى، وذلك عندما فرّق بين القولين: ((إذا قُلْتَ: هل تضرب زيدًا، فلا يكون أنْ تدَّعي أنَّ الضربَ واقعٌ، وقد تقول: أتضرب زيدًا وأنت تدَّعي أنَّ الضرب واقعٌ))[٢]، وهنا يُفرِّق سيبويه بين الاستفهام بـ(هل) والاستفهام بالهمزة، فالأول هو سؤال عن شيء لم يستقر عند السائل من علم، فهو غير واقع، ويوصف هذا الاستفهام بأنَّه غيرُ واجبٍ لهذا السبب، أما الثاني الأخير ففيه معنى التوبيخ وليس استفهامًا في المعنى ولهذا عُدَّ واجبًا[٣]، وقد علَّل ذلك بقوله: ((ومما يدلك على أنَّ ألف الاستفهام ليست بمنزلة هل أنَّك تقول للرجل: أطربًا! وأنت تعلم أنَّه قد طرب؛ لتوبِّخه وتقِّرره ولا تقول هذا بعد هل))[٤]، ويحلل السِّيرافي كلام سِيْبَوَيْه، فيقول: ((وذلك أنَّك تستفهم عن أمرٍ يجوز

---

(١) مراعاة المُخاطَب في الأحكام النَّحوية في كتاب سيبويه: د. كريم حسين ناصح ، مجلة المورد ، العدد٣٠، العدد الثالث ،٢٠٠٢م:١٨ .

(٢) كتاب سيبويه :٣/ ١٧٦ .

(٣) يُنظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية : د . عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة علوم اللسان عند العرب ، الجزائر،٢٠١٢م، ١٦٦.

(٤) كتاب سيبويه: ٣/١٧٦.

أنْ يكون عندك موجودًا، ويجوز أنْ يكون معدومًا، وتأمر بشيء يجوز أنْ يفعل، ويجوز ألَّا يفعل))[١]، وكلام سِيْبَوَيْه وتفسير السِّيرافي يدور في فلك الاستدلال والنظر العقلي؛ وكأنه يُشير إلى مُراد سِيْبَوَيْه، وإنَّ الواجب هو حصول علم المُتكلِّم؛ لأنَّه وَقَعَ، أو لم يقعْ، أي: إنَّ وقوع الحدث، أو عدم وقوعه غير معلوم هكذا تَحَصّل الفهم عند سيبويه من شيخه الخليل[٢].

أما لفظ (الحجة) فقد استعمله سِيْبَوَيْه في ثلاثة مواضع من كتابه، من ذلك يقول:((هذا حجةٌ لقوله: (رُبَّ رجلٍ وأخيه)، فهذا الاسم الذي لمْ يكنْ ليكونَ نَكِرةً وحدَه، ولا يُوصفُ به نَكِرةٌ، ولمْ يَحتمِلْ عندهم أنْ يكون نَكِرةً، ولا يقع في موضع لا يكون فيه إلَّا نَكِرةً حتى يكون أوَّلَ ما يَشغلُ به (العاملَ) نَكِرةً))[٣]، فعلى وفق معطيات هذا النص، يتضح أنَّ سِيْبَوَيْه أراد القول أنَّ المَوضِع الذي شغله ملفوظ (أخيه) مَوضِع للنَّكرة، وهنا سيبويه يعرض خطابه بأَسلوب المحاججة لإقناع المخاطَب المُعترض على مجيء المُعطوف معرفة مع أنَّ المُعطوف عليه نكرة؛ بأنَّ هذه المَعرفة يقصد بها النَّكرة ((والمَعنى إنَّما هو (وأخٍ له)))[٤]، لأنه يرى أنَّ عطف المَعرفة على المَجرور بـ(رُبَّ) قبيح، لكنَّه يجيزه، ويفسِّره في معنى النَّكرة

---

(١) شرح كتاب سيبويه، السيرافي :١/٤٠٧.

(٢) يُنظر: الخطاب والتخاطب في النظرية الوضع والاستعمال العربية :١٦٦.

(٣) كتاب سيبويه: ٢ /٥٦.

(٤) كتاب سيبويه: ٢/٥٤.

ولتدعيم ما جاء به من حجة، فهو يصطنع لذلك سؤالًا افتراضيًا مِن مُخاطَب يقول فيه: ((فإنْ قيلَ: أمُضافةٌ إلى معرفةٍ أو نكرة؟ فإنَّكَ قائِلٌ: إلى مَعرفةٍ ولكنَّها أُجْرِيَتْ مُجرى النَّكرة، كما أنَّ (مِثْلَكَ) مُضافةٌ إلى معرفةٍ وهي تُوصَفُ بها النَّكرة، وتقع مواقعَها))[1]، فهو هنا يقيس على النظير وهي بصمة واضحة له في كتابه وأنه يستحضر المُحاجج عند خطابه، مما له أهمية قصوى نظرًا إلى أنَّ إيراد الحجة تحتاج الى طرفين، طرف محتج معترض، وطرف آخر يبذل جهده بواسطة آلياته بهدف الإقناع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظ الحجة وَرَدَ بشكل صريح في ثلاثة مواضع وهو ما أشرت إليه سابقًا، ولكن هناك بعض الدراسات الحديثة ذهبت إلى أنَّ هذا المفهوم المنضوي تحت لفظ الحجة، مبثوث في أروقة الكتاب بكثرة، وأطلقوا عليه اسم الحجاج، أو مفهوم الحجاج، فقد يحتوي الخطاب على مفهوم حجاجي، لكنه غير ظاهر، إلّا بعد الولوج إلى البنية العميقة للنص لاستحضار كوامن النصوص.

وفي هذه الدراسة يلتزم المصطلحات الظاهرة ومنها لفظ (الحجَّة)؛ لأنَّها من الأدلة العقلية التي تُفْصِح عن فكر سيبويه العميق وحنكته النحوية، وهذا يُضاف إلى سجله الفكري اللغوي الزاخر بمسائل لا تزال مخبأة في خطابه اللغوي.

---

(1) كتاب سيبويه: ٢/٥٥.

رابعًا: مناقشات سيبويه لشيوخه ومعاصريه ودفاع علماء النحو عنه:

كان لحدّة ذكاء سيبويه وفطنته، ودقّة ملاحظته الأثر الكبير في الردود عليه؛ لأنّه كان كثيرًا ما يُناقش أساتذته، فهذا هو خط المُتَعلِّم، وسجية المتأدّب في السؤال، وفي هذا الصدد قال أبو الفتح في الخصائص: ((وحَسْبُنا من هذا حديث سيبويه وقد حَطَب بكتابه–وهو ألف ورقة– عِلْمًا مبتكَرًا، ووضعًا مُتجاوزًا لما يسمع ويرى))[1]، وأثنى العلماء على علمية سيبويه في كتابه، فقد قال محمد بن يزيد المبرد:((لم يُعمل كتابٌ في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها وكتاب سيبويه لا يحتاج مَن فَهمَه إلى غيره))[2]، وقال أبو حيان النحوي الأندلسي في معرض حديثه عن سيبويه وكتابه:((ومما برعوا فيه علْمُ الكتاب: انفردوا بإقرائه منذ اعصار دُونَ غيرهم من ذوي الألباب أثاروا كنوزه، وفكّوا رموزه، وقربوا قاصيه، وراضوا عاصيه، وفتحوا مُغلقه، و أوضحوا مُشكله، وأنهجوا شعابَه، وذللو صعابه[...] فالكتاب هو المرْقاةُ إلى فهم

[1]() الخصائص، ابن جَنِي: ٣، ٣١٢.

[2]() خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٤: ١/١٧٩.

الكتاب، إذ هو المطلع على علم الإعراب، والمبدي من معالمه ما درس، والمنطق من لسانه ما خرس))[1].

وتذكر الدكتورة خديجة الحديثيّ أنَّ سيبويه : ((لم يكتفِ بما يكتبه عن طريق السماع ولم يكن دوره دور المتفرّج والمدوّن، وإنّما شارك في المناقشات التي كانت تجري في هذه الحلقات، وكان مثال التلميذ الواعي يسأل عن كلّ ما لم يفهمه ممّا يجري البحث فيه، ويستفسر عن أمور لم يكن الخليل قد تنبه عليها، أو اهتمّ بشرحها أو توضيحها، ويفترض ظواهر لم ترد في الكلام متوقّعًا ورودها طالبًا معرفة الحكم فيه))[2]، وحدّة الذكاء والفطنة ودقّة الملاحظة لديه، جلبت المخالفة عليه؛ رَدّ عليه بعض من معاصريه النحويّن، وناظروه حبّاً في المخالفة عليه، وإبرازًا لما يحمل كلّ مناظر له من علم؛ لأنّ زمن سيبويه كان زمن المناقشات والاتجاهات العقلية والاشكالات الفقهيّة.

---

[1]() البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠هـ: ١ /٣.

[2]() المدارس النحوية، الدكتورة: خديجة الحديثي : ١٠٠ .

وكانت لسيبويه مناقشات ومناظرات، يقول المبرّد: ((الأخفش أكبر سنًّا من سيبويه، وكانا جميعًا يطلبان، وقال: فجاء الأخفش يناظره بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنّما ناظرتك لأستفيد لا لغيره ، فقال سيبويه أتراني أشكّ في هذا))[١]

أمّا الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، فقد أخذ هذا الجانب منه كلّ مأخذ، وربّما كان يرغب في أنْ يؤلّف كتاباً يشتهر به كما شُهِر سيبويه، مع أنّه كان عالماً بلغة العرب وآدابها والقراءات القرآنيّة، والدليل على ذلك كما نُقِل لنا أنّه كان يقرأ الكتاب سرّاً، وأنّه لمّا مات وجد تحت وسادته التي مات عليها، يقول أبو الطيّب اللغويّ: ((وهذا الفرّاء يقرأ كتاب سيبويه سرّاً، لئلا يعلم به أحد فيعيّره بذلك، ويقال إنّه مات فوجد الكتاب تحت وسادته بعد وفاته))[٢]، وقيل إنَّ الفرّاء كان يتعمَّد خلاف سيبويه في ألقاب الإعراب وتسمية الحروف[٣]، يقول ابن يعيش في أمر مخالفة الكوفيّين لسيبويه : ((وقد خالفه الكوفيّون وسمّوا الضمّة اللازمة رفعاً والفتحة والكسرة نصباً وجرّاً والصواب مذهب سيبويه لما فيه من الفائدة))[٤] .

---

[١]() أخبار النحويين البصريين: أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، نشر فرنسيس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،١٩٣٦م: ٢٨، والفهرست، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ) ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت)، تحقيق: محمد عوني، و ايمان السعيد جلال، الهيأة المصرية لقصور الثقافة، د–ط،: ٧٦-٧٧.

[٢]() مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ت: ٨٧.

[٣]() ينظر: المصدر نفسه : ٨٨ .

[٤]() شرح المفصل : ٧٢/١ . ٧٣ .

وسيبويه جعل الرفع والنصب والجرّ والجزم ألقاب الإعراب، والضمّ والفتح والكسر والوقف ألقاب البناء للفصل بين النوعين والفرق بينهما، والجرّ من مصطلحات البصريّين والخفض من مصطلحات الكوفيّين كما يذكر ابن الخبّاز[١].

ويتحدث الدكتور شوقي ضيف عن الفرّاء فيقول: ((وأكثرَ من التبديل والتغيير في المصطلحات النحويّة التي وضعها الخليل وسيبويه، وأضاف إليها بعض المصطلحات الجديدة[...] لم يكن يعرب الجملة على هذا النحو الذي ذكرناه، أو بعبارة أخرى على نحو ما كان يعربها سيبويه))[٢]، والفرّاء ناقل من كتاب سيبويه وبانٍ عليه كتابه، وقد بَيّن ذلك الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة حين قال: ((لقد حرصت في إيراد ما أوردته من كلام سيبويه على الكلمات نفسها التي وردت في كلام الفرّاء نفسه ليكون الردّ أكثر وضوحاً والحقّ أنصع ظهوراً، وليبدو كلام الفرّاء في الأمثلة وكأنّه من كلام سيبويه، ثمّ إنّ ما أوردته بينه من الفروق في تعدّد الأبواب ما يضيق المقام عن تفصيله ومرتبط بقواعد وعشرات الأمثلة الأخرى))[٣]، ثمّ يُوَضّح في موضع آخر، أنّ الفرّاء كان معتمداً على كتاب سيبويه والخليل، ولكنّه لم يصرّح باسم أحدهما: ((فيكون التعبير بـ(بعض النحويّين) مثل قوله: وقد قال بعض النحويّين: إنّما نصبت اللهمّ، إذ زيدت فيها الميمان لأنّها لا تنادى بـ(يا)، وهو

---

[١]() ينظر : شرح المفصل : ٨٩/٢ ، والأشباه والنظائر : ٧٤/٢ .

[٢]() المدارس النحوية، شوقي ضيف : ١٩٨ .

[٣]() النحو وكتب التفسير : ٦٤/١ .

مذهب الخليل يقول سيبويه: وقال الخليل: اللهمّ نداء والميم هاهنا بدل من يا))[1]،وقد كان الكوفيّون لا يجدون محيصاً من الاعتماد على كتاب إمام البصريّين سيبويه،يقول الدكتور حسن عون: ((إنّ عظمة كتاب سيبويه، والهالة التي أحيط بها، والشهرة التي كان يتمتّع بها صاحبه في حياته وبعد مماته هي المسؤولة أوّلاً وأخيراً عن استكناه هؤلاء العلماء وقناعتهم بما خلّفه لهم إمام النحو))[2]، وقد نقرأ بعض الردود والانتقادات لِكتاب سيبويه من سابقين ومعاصرين، وهذه الردود يعزوها الدكتور حسن عون الى نقطتين[3]:

أولاً: ضخامة الكتاب وغزارة مادّته في عهد مبكّر لنشأة النحو .

ثانياً: فيه المئات من الآراء اللغويّة والنحويّة، ومئات الآيات القرآنيّة، والأبيات الشعريّة .

والحقُّ إنَّ الكتاب لم يسبق بكتاب، أو تسلسل زمنيّ طبيعيّ لنشأة علم النحو مثلما كانوا يرون في نشأة أيّ علم وصل إليهم، كعلوم القرآن وعلوم الحديث، يذكر الدكتور حسن عون: ((هذه القصّة وأمثالها قد فتحت الباب أمام النقاد والمتشككّين وخلقت لوناً من التردّد في قبول ما يضمّه هذا الكتاب الفخم من المعارف اللغويّة، والآراء النحويّة والنصوص العربيّة، ولقد غذّى هذا الشكّ وزاد من تقوية جانب النقد

---

[1]() النحو وكتب التفسير: ٢٢٢/١، وقد أشار الدكتور إلى موضعي النقل في الكتابين ، والكتاب : ٣١٠/١، ١٩٦/٢، و معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء(ت٢٠٧هـ): ٢٠٣/١.

[2]() تطور الدرس النحوي : ٥٨ .

[3]() ينظر: المصدر نفسه :٣١.

ضخامة الكتاب وغزارة مادّته في وقت مبكّر جدّاً ؛ بحيث لا تقدّم المعطيات الأولى للدرس اللغويّ الدليل الواضح على أنّ ظهور الكتاب يُعَدُّ تطوّراً طبيعياً لنشأة الدرس اللغويّ وأخذه سبيل النموّ والاتّساع ، كما غذّى الشكّ أيضاً وقوّى جانب النقد لدى بعض المحدثين ما نراه في الكتاب من مئات الآراء اللغويّة والنحويّة لأئمّة سابقين، ومئات الآيات القرآنيّة والأبيات الشعريّة المستشهد بها لإثبات قاعدة أو لاستخلاص ضابط للتدليل على ظاهرة من الظواهر اللغويّة ، ذلك أوحى إلى بعض المحدثين أن يتصوّروا ضآلة العمل الذي يمكن أن يكون بذله سيبويه في هذا الكتاب))[1].

وهذه الآراء المادحة في كتاب سيبويه تدل على حدّة ذكاء مؤلفهِ وفطنته ودقّة ملاحظته، و أنَّها تدل على عظمة الكتاب ، وغزارة مادّته العلمية المتنوعة في جميع المسائل النحوية، فقد تلاقفه العلماء على مختلف مذاهبهم، بالشرح والتعليل والمخالفة والتعليق عليه، و هذه الشواهد إنْ دلَّت على شيء فهي تنبئ عن مدى تأثير كتاب سيبويه في مَنْ جاء بعده وإلى يومنا هذا .

[1]() تطور الدرس النحوي: ٤٧ – ٤٨ .

المبحث الثاني

المرجعية العقلية في المسائل النحوية عند سيبويه

أولًا: ضوابط الفكر النحوي عند سيبويه

ثانيًا: أثر العقل في الموضوعات النحوية عند سيبويه في كتابه

١-المستقيم والمحال

٢- الحسن والقبيح

٣-الضعيف والقوي

ثالثًا: القصدية بوصفها مرجعاً عقليًا

رابعًا: تعدد جهات الإحالة في النص

أولًا: ضوابط الفكر النحوي عند سيبويه:

إنَّ الفكر النحوي العربي أنتج نظامًا متماسكًا قائمًا على النظر والتأمل والتدبر والاستدلال، وصدرت عنه قواعد تحكم بناءه، لأنه لا ينهض علم من دون قواعد[١]؛ لأن هذه القواعد تُعَبِّر عن رصد الظواهر اللغوية وتجميعها و تحليلها ثم تفسير هذه الظواهر والربط بينها ووضع مجموعة من المفاهيم والتعريفات ثم استنباط القوانين أو الحقائق الكلِيَّة منها[٢].

وأهم ما يُميِّز الفكر النحوي عند سيبويه هو منهجه في عرض المسائل النحوية، وهذا أمرٌ ليس غريبًا على عالمٍ مثل سيبويه؛ فالعقل الإنساني لا يستطيع أن يُنتج ما لم تكن له منهجية معينة يقوم عليها فكره وحركته، وللمنهج عناصر رئيسة يُعتمد عليها في تحليل بنية التركيب اللغوي، ووصف العربية ثم التقعيد لها، والنّاظر في كتاب سيبويه يلحظُ أن التَّأليف عند سيبويه انطلق من الاستقراء مرورًا بالاستنباط ثم تقعيد القواعد فكانت هناك مرتكزاتٌ ثلاثة:

الركيزة الأُولى: الاستقراء وهي المرحلة المادية في العمل النحوي؛ لأنَّ المؤلف يحتك بالمباشر مع النصوص اللغوية وفي مقدمتها القرآن الكريم والشعر العربي، وكلام

---

[١]() ينظر: ضوابط الفكر النحوي، د-محمد عبد الفتاح الخطيب، الناشر: دار البصائر، مصر، ط١، ٢٠٠٦م : ١٩٥/١.

[٢]() ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م: ٢٤-٢٥.

العرب، ثم بعد ذلك يبحثُ عن قواعد كليةً جامعة تسري على عدد كبير من المسائل اللغوية الجزئية[١].

الركيزة الثانية: وهي مرحلة الاستنباط، و تقوم على العقل لتعيين العلاقات وأنواعها بين أجزاء الظاهرة اللغوية وجمع تصورات ذهنية للقواعد، على شكل فروض قابلة للتحقق[٢].

الركيزة الثالثة: تتمثل في التجريد العلمي وهو ما يعرف بـ(التقعيد)، وجميع هذه الركائز تُبنى على الاستدلال العقلي، وهذا هو محور الحديث في هذا الفصل وهو الاستدلال العقلي عند سيبويه أو المرجعية العقلية التي انبنى عليها الكتاب.

لذا نجد أنَّ الأحكام النحوية المرتبطة في المسائل النحوية عند سيبويه، لم تُطلق جُزافاً، فهو لا يتبنى الحكم النحوي إلَّا بعد دراسته وتدقيقه أن يَخْبِره، ويجد له ركائز مبنية على الاستدلال العقلي.

وتبيَّن للباحثة أنَّ أغلب معالجات سيبويه للمسائل التي خاض فيها، تنحصر في ثلاثة طرائق:

الأولى: الرد والترجيح المباشران، وذلك بأنْ يذكر اسم القائل ويردفه بأنه هو الأسهل أو الوجه أو هو القياس أو الصواب أو هو حسن ، ليكون الرأي الثاني هو المردود ،أو يرد الرأي بعد ذكر قائله بأنه مذهب لا يقول به أحد من العرب أو

---

[١]() ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٢٤-٢٦.

[٢]() ينظر: الاسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي:٤٦.

هو رديء أو ضعيف أو خطأ أو قبيح وهكذا، ثم يسوق الحجج منسوبة بقوله : ((واحتج فلان))[١]، أو ((وحجته))[٢].

الثانية: أن يذكر الرأي الأول ويدلي بحجته ويسوق الشواهد التي تعضده ويقويه بأمثلة من السماع ثم يذكر الرأي المخالف ليرد عليه أو يناقشه .

الثالثة: أن يذكر الرأيين وحجية كل منهما، ثم يظهر قبوله للرأيين بقوله بعد الرأي المخالف المشهور: ((والذي قال مذهب))[٣]، أو ((وله وجه من القياس))[٤]، وليس أدلّ من ذلك على توظيف العقل في كل مسألة من مسائل النحو المتنوعة .

ثانياً: أثر العقل في الموضوعات النحوية عند سيبويه:

انَّ عملية التواصل لا تفي بها القدرة اللغوية فحسب، بل تسهم معها قدرات منطقية وعقلية، فنجد مستعمل اللغة يستعمل كل هذه القدرات مع القدرة اللغوية لكي تُسْهِم جميعها في إنجاح عملية التواصل[٥]، معتمدًا على فكرة التصنيف فيما يتعلق ببناء الجملة، وهذا ما نجده عند سيبويه فهو يضع تصنيفات تُجانس الدلالة مع التركيب والمنطق العقلي، وسنتحدث عن بعض مصطلحات سيبويه النحوية التي يتجلى فيها الأثر العقلي واضحًا:

١() كتاب سيبويه: ٢: ٢٨١.
٢() المصدر نفسه: ٤: ٤٦٤.
٣() المصدر نفسه:٢، ٣٠٩.
٤() المصدر نفسه: ٢: ٢٠٣.
٥() ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط ٢٠٠٣م: ١١٩.

١-(المستقيم والمحال):

عقد سيبويه بابًا في كتابه سمَّاهُ ((هذا بابُ الاستقامةِ مِنْ الكلامِ والإحالةِ))[١]، والاستقامة في الكلامِ وصفٌ عامٌ وإطاٌر شاملٌ يندرجُ فيه كلُّ تركيبٍ اجتمعت فيه صحة التراكيب ومقبولية المعنى، أما المحال فهي مفهوم عام يدخل تحته كلُّ تركيبٍ تناقضت دلالته وإنْ صح تركيبه نحويًا، والمُستقِيم الحسن عند سيبويه، هو ما استقام نحويًا ودلاليًا مثل ((سآتيك غداً))[٢]، والمُستقِيم القبيح هو ما صَحَّ دلاليًا ولكنّهَ قَبُحَ من جهة الإخلال بشرط الورود النَّحوي في التركيب فخولف بين التركيب نحو ((قد زيدًا رأيْتُ))[٣]، فكلُّ ملفوظٍ صحيح نحويًا يعد الكلام مُستقيمًا ولكنَّ الحكمَ على هذه الاستقامة بالحُسْن أو الكذب يتعلق بالمعنى الذي تقيده عناصر الكلام عندما تترابط نحويًا[٤].

ويقابل مفهوم الاستقامة مفهوم المحال ويكون على ضربين، الأول: المحال، وقد عرَّفه سِيْبَوَيْه بقوله: ((وأمَّا المُحالُ فأن تنقضَ أول كلامك بآخره فتقولك: أتيتك

---

(١) كتاب سيبويه : ١/٢٥ .

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٥ .

(٣) المصدر نفسه : ١/٢٥.

(٤) يُنظر: من قضايا الدلالة والنحو في كتاب سيبويه: د.عدنان آجانة، بحث منشور في مركزية سِيبَوَيْهِ في الثقافة العربية، إشراف د. عبد الرحمن بودرع ، محمد الحافظ الروسي، مطبعة الهداية، تطوان ، ط١، ١٤٣٨هـ -٢٠١٧م:٧٧٢.

غدًا وسآتيك أمسِ))[١]، والثاني المُحال الكذب ((وسوف أشرب ماء البحر أمس))[٢] والمحال عند سِيْبَوَيْه يجمعها جامع واحد هو اختلال في المعنى يخرجه من دائرة الكلام المقبول الذي يعقله ابن اللغة[٣]، ونلاحظ ذلك في مصطلحاته، المُستقيم الحسن والمُستقيم القبيح أو المُستقيم الكذب أو الحسن وغير الحسن أو القبيح وغير القبيح، في قوله: ((وقدْ يكونُ في الأمر والنهي أنْ يُبْنَى الفعل على الاسم وذلك قولك: عبدُ الله اضربْهُ، ابتدأْتَ عبدُ الله فرفعته بالابتداءِ، ونبَّهتَ المُخاطَب له لتُعرَفَه باسمه، ثم بنيْتَ الفعلَ عليه كما فعلْتَ ذلك في الخبر ومثل ذلك: أمَّا زيدٌ فاقتلهُ فإذا قُلْتَ: زيدٌ فاضربْهُ لم يستقم أنْ تحمله على الابتداء ألا ترى أنَّك لو قُلْتَ:زيدٌ فمنطلقٌ لم يستقم))[٤]، هنا يُبيّن سِيْبَوَيْه أنه يجوز أنْ يكون الكلام مستقيمًا حسنًا شَرط أن يُبنى الفعل على المبتدأ وتحلَّ الجملة الفعلية محل الخبر، وخصّ الجملة التي فعلها أمر في موضع الخبر الذي يُبنى على المبتدأ، ويكون هذا الكلام على هذه الصورة حسنٌ لا خلاف فيه، فهو هنا يقيس التراكيب النَّحوية على السلوك الحسن، وفي الوقت نفسه، يدلك على أنّ العرب تكلَّمت بهذا الأسلوب، وسيبويه هنا يضع شرطًا لهذا الاستعمال، وهو ألَّا يتصل فعل الأمر بالفاء فملفوظ (زيدٌ فاضربْهُ) ليس

---

(١) كتاب سيبويه : ٢٥/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٥/١.

(٣) يُنظر: من قضايا الدلالة والنحو في كتاب سِيبَوَيْه:٧٧٤.

(٤) كتاب سيبويه : ١٣٨/١.

مستقيمًا كما أنَّ الخبر المفرد إذا اتصلت بالفاء ليس مستقيمًا؛ وهذا هو جوهر التفكير العقلي؛ لأن العقل هو المسؤول عن تشكيل التراكيب النحوية على وفق سنن لغة المخاطِب، واستحضار الأسباب التي أدت الى إيراد النسق الكلامي على هذه الشاكلة، وما يؤيد التحليل الذي ذهب اليه سيبويه هو تفسير السِّيرافي في قوله ((وذلك؛ لأنَّ الأمر فعل ومعه فاعله، فهو جملة، فجئْتَ بالاسم مبتدأ وجعلت الجملة في موضع خبره، وأدخلت الفاء بعد، أمَّا (ولم تدخلْها) إذا بدأت بالاسم؛ لأنَّك جعلت الأمر في موضع الخبر، فإذا قلْتَ (زيدًا اضربْه) كان كقولك(زيدٌ منطلق) ولو قلْتَ زيدٌ فاضربْه صار بمنزلة قولك (زيدٌ فمنطلق) وهذا لا يجوز كما لا يجوز (فمنطلقٌ)))[1]، أي: يصبح الملفوظ مستقيمًا قبيحًا؛ وهذا الاستنتاج عقلي؛ لأنه مبني على قاعدة عقلية نحوية، وذلك أنَّه من غير الممكن أن يأتي الخبر المفرد متصلاً (بالفاء) وقد مثل له (زيدٌ فمنطلقٌ) فالملفوظات الصحيحة نحويًا هي ما يحسن السكوت عليها بشرط صحتها دلاليًا، ومن ثم فإن معرفَة الحُسْنِ والقُبْحِ مصدرهما العقل، لذا سِيْبَوَيْه يبني الكلام على حُسْنِ استعمال العرب له ويقبح ما استقبحه بقياس عقلي فريد، وقد أشار المُستشرق (كارتر) إلى هذا المعنى، إذ ذَكر بأنَّ سِيْبَوَيْه بفكرِهِ أعاد تطبيق المصطلحات وتعريفها مثل: (محال) و(مستقيم) و(حسن) و(قبيح) فقال: ((فبعدما كان المصطلحان الأولان مرتبطين بالسلوك الإنساني (أي قبيح

(1) شرح كتاب سيبويه: السِّيرافي :١٢٦/٤.

وجميل) طبقهما سِيْبَوَيْه على الصيغة اللغوية، ويمكن ترجمتهما بـ (صحيح ومخطوء بنيويًا صحيح اجتماعيًا أما محال فيُفْهمُ على أنَّه عند سِيْبَوَيْه بمعنى مخطوء ويشير إلى الملفوظ))[١] وهذا التحليل ينسجم مع ما عرضه سِيْبَوَيْه، فضلًا عن ذلك أنَّ كثيرًا من تحليلاته التي بنى عليها قواعده النَّحوية أقرّها بعد جهد ونظر وهذا بحد ذاته يُعد دليلاً على الانتقاء العقلي للمفردة الدالة على حكم معين.

٢- (الحَسِن والقبيح):

ومن الأمثلة التي نقف عندها في كتاب سِيْبَوَيْه، وترديده لمفهوم الحُسْن والقُبْح عند تحليله لكلام العرب واضعًا في حسابه، مفهومي التحسين والتقبيح العقليين قوله: ((وذلك قولك: أخذتُهُ بدرهمٍ فصاعِدًا، وأخذتُه بدرهمٍ فزائدًا، حذفوا الفعَل لكثرة استعمالهم إيّاه؛ ولأنَّهم أمِنوا أنْ يكونَ على الباء، لو قلتَ: أَخذتُه بصاعٍ كان قبيحًا؛ لأنَّه صفةٌ ولا تكون في موضع الاسم، كأنَّه قال: اخذتُه بدرهمٍ فزاد الثمنُ صاعداً، أو فذهَبَ صاعِداً، ولا يجوز أنْ تقولَ: وصاعدٍ؛ لأنَّك لا تريد أن تُخْبِرَ أنّ الدرهم مع صاعدٍ ثمنٌ لشيء، كقولك: بدرهمٍ وزيادةٍ، ولكنَّك أخبرت بأَدنى الثمن فجعلته أولاً، ثُمَّ قدَّرْتَ شيئًا بعد شيء لأَثمانٍ شتَّى، فالواوُ لم تُرِدْ فيها هذا المعنى ولم تلزم الواو الشيئين أَنْ يكون أحدُهما بعد الآخر))[٢]، أوضح السيرافي مُراد سِيْبَوَيْه في

---

(١) المستشرقون في التراث النحو العربي: د. عبد المنعم السيد أحمد، كنوز المعرفة،ط١، ٢٠١٦م :١٨٣.

(٢) كتاب سيبويه :١/ ٢٩٠ .

هذا النص فقال: ((لا يَحْسُن أنْ تقولَ: أخذته بدرهم فصاعدٍ من جهتين، (إحداهما) أنَّ صاعدًا: نعت ولا يحسن أنَّ تعطفَ على الدرهم إلَّا المنعوت، و(الجهة الأخرى) أنَّ الثمن لا يعطف بعضه على بعض بالفاء، ولا تقول: أخذْتَ الثوبَ بدرهمٍ فدانقٍ ولا اشتريْتَ الدارَ بمئةِ درهمٍ فخمسةِ دراهمَ؛ لأنَّ الثمن تقع جملته عوضًا عن المبيع فليس يتقدم بعضه على بعض، وإنَّما يعطف بالواو؛ لأنَّها للجمع))[1]، وهذا يعني أنّ السيرافي علَّل عدم الجواز بالقُبح العقلي، واتضح ذلك بتعليله، فالسيرافي يرى أنّه لا يجوز عطف الصفة على الموصوف؛ لأن الصفة غير الموصوف، لأنَّ الموصوف اسم، والاسم جوهر والصفات عَرَضْ؛ لذا نعت هذا الملفوظ على العطف بالقُبح العقلي ، واستطاع أنْ يُفَرِّق بين حرف العطف (الواو) ،وحرف العطف (الفاء)على الرغم من أن عملهما واحد، إلَّا أنَّ المعنى غير الشكل، وبذلك يَتَبيَّن أنّ الفكر الذي نادى به سيبويه فيما يختص في عطف الصفة على الموصوف، لا تخلو من التداخل العقلي عند موازنة المسائل النحوية، واطلاق حكم نهائي عليها، فهو يميل إلى تحليل ملفوظاته تحليلًا يعتمد على مرجعية عقلية تحددها عوامل كثيرة أهمها الأصول العامة التي ينبني عليها، النظام اللغوي كأصل التوافق وعدم التناقض، مُقَدِّماً في استنتاجاته العقل قبل النقل[2].

---

(1) شرح كتاب سِيبَوَيْهِ : السِّيرافي : ١٣٦/٥.

(2) يُنظر: مفهوم الإحالة عند سيبويه أبعاده وضوابطه : د.لطيفة إبراهيم النجار، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ،المجلد(٣)، العدد(١)،١٤٣٧هـ -٢٠٠٧م:٩١.

٣-***(القوي والضعيف):***

ذكر سيبويه مصطلح (القوي) في مواطن كثيرة من كتابه، وعَدَّهُ، حكمًا يطلق في مواطن الترجيح على وفق المعنى اللغويّ له، والترجيح والشك هما من المبادئ العقلية المبنية على الفِكِر، وهو نقيض الضعف وبعد سيبويه أصبح سائدًا بين النحاة، استعملوه في مواضع بيان قوَّة الرأي وترجيحه على رأي آخر، فضلاً عن استعماله في الاستدلال[١]، ومن المواضع التي حملت هذا الحكم في كتاب سيبويه هو الحكم على اسم الفاعل؛ لبيان استحقاق المرتبة، قال سيبويه: ((فلمّا جاءت مضارعة للأسماء الّتي لا تكون صفة، وقويت في الابتداء كان الوجه فيها عندهم الرفع))[٢]، واستعمل منه صيغة أخرى هي (يقويك) لغرض إسناد دليل مسبق على إجراء الأسماء الّتي تكون صفة مجرى الأسماء الّتي لا تكون صفة، قال سيبويه :((وزعم يونس أنَّ ناسًا من العرب يَجُرُّون هذا؛ كما يّجُرُّون مررت برجلٍ خَزٍّ صُفَّتُهُ ،ومما يقويك في رفع هذا أنَّك لا تقول مررت بخيرٍ منه أبوه ، ولا بسواء عليه الخير والشر، كما تقول بحسن أبوه))[٣] .

---

[١] () ينظر: الأحكام التقويمية في النحو العربي، دراسة تحليلية، نزار بنيان، ط١، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م: ١٠٢.

(٢) كتاب سيبويه : ٢/ ٢٦.

(٣) كتاب سيبويه: ٢٧/٢.

نستخلص من أنّ الصيغ الفعلية والاسمية لمادة (قوي) استعملها سيبويه بمعنى القدرة والتّمكُن حينما أطلق حكم (الأقوى) لبيانِ القدرة والاستطاعة، فضلاً عن التمكن إلاّ أنَّها لم تخلُ من دلالة ترجيحية عقلية توضِّحها الصيغة الّتي يرد عليها الحكم وهي صيغة (أفعل) الّتي تستعمل للتفضيل بين شيئين قد اشتركا في صيغة معينة ، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة، وجاء لفظ (الأقوى) عند سيبويه في مواضع عديدة من كتابه، منها : في مسألة إلغاء عمل أفعال القلوب إذا تأخَّرت، أو توسَّطت قال :((فإن ألغَيْتَ قُلْتَ: عبد الله أظنُّ ذاهبٌ، وهذا إِخالُ أخوك، وفيها أرَى أبوك وكلَّما أردت الإلغاء؛ فالتأخير أقوى وكلٌّ عربيٌّ جيّد))[1].

وقد ورد لفظ (الأقوى) أيضاً في باب الفاعل الذي يتعدَّاه فعله إلى مفعول[2]، أي في تعدِّي الفعل اللازم إلى المكان والزمان قوله: ((وإنَّما جعل في الزمان أقوى؛ لأنَّ الفعل بُنِي لما مضى منه وما لم يمضِ؛ ففيه بيان متى وقع، كما أنَّ فيه بيان أنّه قد وقع المصدر وهو الحدث، والأماكن لم يبن لها فعل))[3]، ويظهر أنَّ دلالة الفعل على الزمان كانت المسوغ لتقويته على الأمكنة، فهو يطلق حكم الأقوى بناءً على قاعدة علمية مسبقة قادت الى هذا الاستنتاج العقلي؛ لأنه عالم بالأزمنة، وما يمكن أن يحتويه اللفظ الدال على الزمان من بيان، وسيبويه اختار الزمان دون المكان،

(١) كتاب سيبويه: ١/١١٩.

(٢) المصدر نفسه: ١/٣٤.

(٣) المصدر نفسه : ١/٣٦.

فهو يرجح بين شيئين، وهما (الزمان والمكان)، والترجيح عملية عقلية بحتة، لها جذورها الفكرية، وليس أدلَّ من ذلك على فِكِر سيبويه الوقّاد وعقليته المُبْهِرة.

وفي مقابل مصطلح القويَّ ومشتقاته، يأتي مصطلح الضعيف، ذكر الشريف الجرجاني أنَّ الضعيف ((هو ما يكون في ثبوته كلام))[1]، وَحَدَّهُ الكَفَوي (ت١٦٨٣هـ) بقوله: ((والضعيف هو الذي يصل حكمه إلى الثّبوت))[2]، أمَّا سيبويه كعادته نجده دقيقًا في كل مرة استعمل فيها هذا المصطلح واصفًا طبيعته الاستعمالية عند العرب في أمثلته المختلفة، فالذي وصفه بالضعف، لم يكن ضعيفًا في مفهومه هو، بل كان ضعيفًا عند العرب، فوصفه كما هو عندهم، كما أنَّه يلتمس تسويغًا لأكثر وجوه الضعيف لكي يُدْخله في دائرة الصواب من كلام العرب، وكانت غايته أن ينبه على عدم جوازه حتى يتجنبها ناطق العربية ومتعلمها في زمن تأليف كتب العربية، وهذا يدل على أنَّ سيبويه أَلَمَّ إلمامًا واسعًا باللغة، وسَبَرَ أغوارها، محاولًا تخليصها مما يشوبها، ليصل بناطق العربية إلى أعلى درجات الفصاحة، ومن أمثلة الضعيف المخالف للقوي عند سيبويه، هو حديثه عن ضعف إعمال العامل المتأخر، فنجد سيبويه أسّسَ لقاعدة نحوية مفادها أن العامل يضعف في حال تأخره حتى يصل به الأمر إلى أن يُلغى عمله، فقد عَقَد سيبويه بابًا سَمَّاهُ((هذا باب

---

[1]() كتاب التعريفات: الجرجاني: ٩٨.

[2]() الكليات: معجم في المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨: ٥٢٩.

الأفعال التي تُستَعمل وتُلغى))[1]،قاصدًا أفعال (الظَّن و اليقين) التي شاعت فيها ظاهرة إلغاء العمل النحوي بإزاء الأصل، وهو كون هذه الأفعال تعمل وتنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وكان عمل هذه الأفعال و إلغاؤه تتجاذبه القوة والضعف، ومدار القوة والضعف هو التقديم والتأخير لهذه الأفعال، فهو جاء بالأفعال المتوسطة بين معموليها، وقد أُلغي عملها، ثمّ ذكر أن إلغاء هذه الأفعال أقوى عند التأخير، وقد تنقلب القوة ضعفًا في حال التأخير نفسه، وذلك إذا كان المتأخر عاملًا فيما قبله كما يرى سيبويه بقوله:((وكلما طال الكلامُ ضَعُفَ التأخيرُ إذا أعملتَ وذلك قولك: زيداً أخاك أظنُّ، فهذا ضعيفٌ كما يضعُفُ: زيداً قائمًا ضربتُ؛ لأنَّ الحدَّ أن يكونَ الفعل مبتدأ إذا عَمِلَ))[2]، ومما سبق يتضح أنَّ الابتداء له أثر في تقوية عمل الأفعال فإذا فقد قوة التقديم فتأخّر عاد ضعيفًا، وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه القاعدة لا تُعَمم على كل فعل تأخر، فليس كلّ فعل تأخّر صار ضعيفاً؛ لأنّ المعروف أَنَّ الفعل عامل قوي يعمل متأخرًا كما يعمل متقدمًا[3]، وإنَّما كانت أفعال القلوب في

---

[1]() كتاب سيبويه ١١٨/١.

[2]() المصدر نفسه: ١٢٠/١.

[3]() ينظر: حاشية الصَّبان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك، محمد بن علي العرفان الصّبان، تحقيق: محمد بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١: ٨/٢.

أصلها ضعيفة[1]، فزادها التأخير ضعفًا على ضعف، لذلك ضعف أن تعمل وهي متأخِّرة،((وأمّا إذا تأخرت عن المفعولين فالإلغاء أقوى عند الجميع؛ لأنَّ المبتدأ قد وليه الخبر وازداد الفعل ضعفًا بالتّأخير))[2].

فهنا في هذه الأفعال اجتمع ضعفان، فالضعف الأول أوجب الثاني، فضعيف أفعال القلوب في نفسها أوجب ضعفها وهي متأخرة، ولو لم تكن ضعيفة لم يُبالَ بتأخيرها؛ لأنَّ غيرها من الأفعال تعمل متأخرة، وضعفها متأتٍ من كونها لا تدخل على المفرد، وانّما تدخل على جملة، ودلالة الجملة ليست ذاتية كالمفرد، و إنّما دلالة إسنادية فهي تمثل كلامًا مفيدًا بمفردها، فإذا لم يعمل فيها الفعل عادت لأصل دلالتها التي جاء فعل القلب للدلالة على ظنيتها أو يقينها، فوجود دلالة للجملة في نفسها أضْعَفَ أهمية الفعل الداخل عليها، فيمكن أنْ يُلغى وفي الاستعمال دلالة أُخرى في حال إضعاف الفعل بتأخيره، وهي أنَّ المعنى المقصود هو ما دلّت عليه الجملة، ومما تقدَّم نجد أنَّ سيبويه يتحدث عن ثنائية الضعف والقوة في قضية واحدة، وهي إلغاء العامل المتأخر، فجعل تأخير العامل الملغى أقوى؛ لأنَّه: ((إذا

---

[1]() ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، عبد الله بن الحسين أبو البقاء العكبري(ت٦١٦)، تحقيق: غازي مختار، والدكتور عبد الاله نبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، (د–ت) ١٩٩٥: ٢٤٩/١.

[2]() المصدر نفسه: ٢٤٩/١.

تصدَّر الفعل فلا يجوز فيه الإلغاء عند البصريين، وجوَّزه الكوفيون والأخفش))[1] غير أنَّ تأخير الفعل يجعله ضعيفًا لا يعمل، بخلاف تقدمه؛ فإنَّ الفعل حيثما يكون متقدمًا يكون قويًا، و زادَ التأخر هذه الأفعال ضعفًا على ضعفها؛ وذلك لأنّها من أفعال القلوب التي تُصنَّف أنَّها أفعال ضعيفة بخلاف سائر الأفعال، هذه الموازنة بين القرائن اللغوية، واستقراء أساليب التوظيف اللغوي، تدل على أنَّ سيبويه كان يستعمل عقله في تحليل العلل اللغوية، و يدل على أنَّه استقرى اللغة واتَّخَذ من الواقع اللغوي المعتمد ميدانًا لدراسته والمراد بهذا الواقع اللغوي هو ما تعارف العلماء الأوائل على الاستشهاد به لاستنباط القواعد الخاصة باللغة[2].

ثالثًا: القصدية بوصفها مرجعًا عقليًا :

القصدية لغةً: يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ): ((القَصدُ استقامة الطريق))[3]، وقال الجوهري: ((إتيان الشيء، تقول: قَصَدْتُهُ، وقَصَدتُ له، وقَصَدْتُ إليه))[4]، وذكر في لسان العرب:((سمّي الشعر التام قَصِيدًا؛ لأنَّ قائله جَعَلهُ من

---

[1]() همع الهوامع في شرح جكع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر(د–ت): ٥٥٢/١.

[2]() ينظر: أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٥: ١٤٨.

[3]() العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، (مادة وتقليب قصد)، ٣٥٤/٣.

[4]() تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، (مادة قصد)، ٤٤٢/١.

بالِهِ، فَقَصَدَ له قصدًا، ولم يحتسه حسيًا على ما خَطر بباله، وجرى على لِسانه، بل روى فيه خاطره، واجتهد في تجويده، ولم يقتضبه اقتضابًا))[١].

وبهذا فـ(القصدية) تعني الطرق والأدوات التي يستغلها المؤلف لتحقيق غاياته ومقاصده[٢]؛ ذلك أنَّها من المقومات النصية الأساسية لكل منتج مقصود بنص أو خطاب[٣].

القصدية في الاصطلاح: هي مصطلح أوجده الفلاسفة في العصر الوسيط، والقصدية مشتقة من اللفظ اللاتيني(INTENDO)[٤]، وهو ترجمة لمصطلحين عربيين هما (المعقول، والمعنى)، أي الشيء الموجود أمام العقل في التفكير، لذا فالقصد عند الفلاسفة هو:((الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع لكي يُدْرِكَهُ وهي خاصية الشعور حينما يتجه نحو الشيء ليدركه))[٥]، أي أنَّها وحدة التفكير(الوعي)، والمُفكَّر فيه (الموضوع)[٦].

١() لسان العرب :جمال الدين ابن منظور، (مادة قصد): ٣/٣٥٤.

٢() ينظر: نظرية علم النص(رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د- حسام أحمد فرج، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٧م، ٤٧.

٣() ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ط١. الدار العربية للعلوم. بيروت- لبنان ٢٠٠٨م: ٩٦.

٤() ينظر: فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م : ١٦٩.

٥() الفينومينولوجيا عند هوسرل، سماح رافع، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م: ٤٧.

٦() ينظر: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، انطوان خوري، دار التنوير، ط، ١٩٨٤م: ٤١.

و القصد والقصدية تكشف عن جهة عقلية خفية من اعتقادات المتكلمين؛ وإنَّ هذين المفهومين من المفاهيم التي نجدها عند علماء النفس وفلاسفة اللغة، فالقصدية تبحث فلسفة الفكر، وتختص في كلّ ألوان النشاط العلميّ؛ لأنَّها تسعى لاكتشاف بواعث الكلام وآلياته العقلية(١)، ويرى أبو الهلال العسكري(ت٤٠٠)، أنَّ القصد مختص بفعله دون غيره، والقصد أيضًا إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، ألا ترى أنه لا يصحّ أن تقول في الكلام (قصدتُ أنْ أزورَكَ غداً)(٢)، وتُعَرَّف القصدية فلسفيًا بأنها الإرادة الموجهة نحو الفعل، وهي سمة تختص بالعقل، وترتبط بموضوعات فعلية خارج ذاتها، لذا فهي تقترب من المفهوم اللغوي للقصد الذي يعني النية والعزم على التوجه إلى تحقيق الفعل و إيجاده(٣)، لذلك فهي تحمل سمة عقلية، و بما أن قصدية العقل تعتمد في الأساس على قصدية اللغة الاستعمالية، لذلك فهي جزءٌ منها، ولا يمكن تفسيرها إلّا عن طريق الاستعمال اللغوي، يدلنا على ذلك معناها اللغوي بوصفها الغاية التي يريد المخاطب أو المتكلم تحقيقها من الخطاب المُوجَّه إلى المتلقي، ولو أنعمنا النَّظر في بعض نصوص كتاب سيبويه، لرأينا أنَّ القصدية أساسٌ في إنشاء الخطاب عند سيبويه، وهذا ما سوف نتبينه بوساطة نصوص من

(١) يُنظر: تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الدكتور محمد العمري، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٠ م: ١٦٣.

(٢) يُنظر: الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تحقيق: أبي عمرو عماد زكي البارون،المكتبة التوفيقية، مصر: ١٢٠.

٣() ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٣٥٣/٣ (مادة قصد).

الكتاب نفسه، ومن ذلك قوله: ((وكذلك مررتُ برجل صالح بل طالحٍ، ولكنه يجيء على النِّسيان أو الغلَطِ، فَيتدارك كلامَهِ لأنَّه ابتدأ بواجب))[1]، يلاحظ أنَّ سيبويه يحكم على بعض التراكيب اللغوية بأنَّها غلط وغير صحيحة، لأنها خليت من القصد بسبب السهو أو النسيان، فربما يحتاج المتكلم أن يقول شيئًا فيخالفه لسانه، فيقول شيئاً آخر، وهذا ما أكَّده السيرافي بقوله: ((أما (بل) فإنَّها إذا أتت بعد كلام موجب، فالأغلب عليها تحقيق الثاني، والإضراب عن الأول، ويكون الكلام غلطًا من المتكلم به، سبق إليه لسانه، أو رأى ذكره، ثم رأى ذكر غيره كما يذكر الذاكر الشيء على غير وجه الإبطال له، ولكن يرى أنه مضى وتقضَّى وقته، والحاجة إلى ذكره أن ما بعده أولى بالتذكير، فيقول كان كذا وكذا بل كذا))[2]، وعند تحليل كلام السيرافي نلحظ أنّ سيبويه عرضَ لِجُمْلَة من الاحتمالات القصدية التي تكمن وراء ملفوظ المتكلم، وهي كونه سهوًا من المتكلم سبقه إليه لسانه أو تغيير الرأي، فقد يذكر رأيًا ثُمَّ يُعْرض عنه لانقضاء زمنه، أو انتفاء الحاجة إليه، وهذا يؤكد أن سيبويه والسيرافيّ في هذه التعددات الاحتمالية لقصد المتكلم من الإتيان بـ(بل)[3]، يقْرُبان ما يُعرف بفكرة المعاني الضمنية أو متضمنات القول التي أثرها الدرس اللسانيّ التداوليّ للغة؛إذ تنماز هذه الفكرة بقدرتها على تقديم سلسلة من المعاني الاحتمالية للتركيب

(١) كتاب سيبويه: ١ / ٤٣٤.

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٦ / ٦٥.

٣() ينظر: كتاب سيبويه: ١/٤٣٤، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي:٦/٦٥.

اللغويّ، التي تختزل إلى معنى واحد يكون رهينًا بقصد المتكلم[١]، وهذا ما حرص عليه سيبويه، فالمعاني المتعددة تكتسب القصدية عن طريق التركيب، وبعقلية سيبويه التنظيمية نستطيع أنْ نحكم على بعض نصوص سيبويه، بأنَّها منظمة بطريقة عقلية، وأنَّه أجاد في تآلف النصوص عند بناء الخطاب رغم تنوعه[٢]، وخير دليل ما دلَّ عليه النص السابق.

ونتلمس ملامح القصدية عند سيبويه عندما ((ربط بين عمل العامل أو إهماله، وما يدور في نفس المتكلم من هواجس وخواطر، فإهمال العامل ليس مجردًا من الإرادة والقصد، بل تثوي وراءه غاية نفسية معنوية))[٣]، فقد لجأ سيبويه إلى تفسير ما يعرض لعناية المتكلم واهتمامه بالمخاطب، وتجدر الإشارة إلى أنّ نظرية العامل تُعدُّ عصب النحو العربيّ؛ لأنَّها متضمنة في كلِّ باب من أبوابه؛ فنجد سيبويه قد ربطها أحيانًا بجملة الأغراض التي يريد المتكلم إيصالها إلى السامع، فهذا الغرض يدعو إلى الرفع، وذاك إلى النصب، وثالث إلى الجر وتارةً يدعو للإهمال وأخرى إلى الإعمال، وهذا ما أكَّده بعض النحاة: في أنَّ العامل الحقيقيّ هو المتكلم فهو الذي يحدث الرفع والنصب وغيرهما، بالنظر إلى ما يُعرف بالأغراض والمقاصد

(١) يُنظر: التداولية من أوستن إلى غولدمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، الطبعة الأولى، دار الحوار، سوريا ٢٠٠٧م: ١٥٠.

٢() ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الاسلامي، هشام عبد الله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، ط١ ،٢٠٠٧م: ١١٥.

(٣) أصول النحو العربي: ١٨٦.

على اعتبار الأصل؛ لأنَّ الأصل هو أنَّ الكلام يتعلق بمن يتلفظ به، والمتكلم يختار من الألفاظ والعبارات ما يوصله إلى المعنى المطلوب، وسيلته في ذلك الإعمال بالرفع أو الجر أو النصب أو غيرها(١).

رابعاً: تعدد جهات الإحالة في النص الواحد:

يرتبط هذا المفهوم في موضوع تعدد المداخلات في النص، و تختلف هذه المداخلات عن الذي جاء به المتكلم، وقد سَمّاهُ بعض المحدثين (تعدد الأصوات)(٢)، أُستعير هذا المصطلح–أعني تعدد الأصوات– من الموسيقا، ثم رُحِّل إلى الدراسات الأدبية ثم اللغوية، ليحيل على تصور مفاده حمل النصوص في كثير من الأَحيان على وجهات النظر المختلفة، لذا فالكاتب حر في أن ينطق أصواتًا، أو أنْ يعطي آراء متعددة في النص وانتاجه(٣)، ظهر هذا المصطلح في العشرينات علي يد العالم الفرنسي (ديكرو)، ساعيًا بوساطته الى التمييز بين الناطق التجريبي للملفوظ الذي يتلفظ فيزيائيًا بملفوظه، والمُتكلِّم (منتج النص) الذي تُنْسَب إليه مسؤولية الملفوظ والمُتلفِّظ، فالناطق التجريبي للملفوظ هو منتجه الحقيقي، لذا نجده قد ميّز بين المُتكلِّم (منتج النص) وهو الذي يستطيع قول (أنا) وهو منشأ الأفعال الحقيقية، و الكائن التجريبي الذي هو الفاعل المادي للجملة المنطوقة، وقد عرّفُ (ديكرو) المُتكلِّم (منتج

(١) يُنظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى: ٩٧.

٢ () ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية : رشيد الراضي ، المركز الثقافي العربي، ط١،٢٠١٤م: ١٧٣.

٣ () ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج: ١٥٨

الخطاب) بأنَّه: ((الشخص الذي يَرِدُ في الخِطاب بوصفه المسؤول عن الملفوظ، مع التأكيد أنَّ الأمر يظهرُ في معنى الملفوظ نفسه أي: بوصفه شخصاً ينبغي أنْ تُنسب إليه مسؤولية هذا الملفوظ، فإليه يحيل الضمير (أنا) وسائر العلامات الأخرى المرتبطة به))[1]، ومن المسائل التي تَعَرَّض لها سيبويه في تعدد جهات الخطاب قوله: ((هذا بابُ ما يَنتَصِبُ على التعظيم والمَدْحِ وإنْ شِئْتَ جعلْتَهُ صِفةً فجرى على الأول، وإنْ شِئْتَ قَطعْتَهُ فابتدأْتَهُ [...] وزَعَمَ عيسى أنَّهُ سَمِعَ ذا الرُّمّة يُنْشِدُ هذا البيت نَصْبًا))[2]:

لقد حَمَلَتْ قَيسُ بن عَيلانَ حَربَها على مُستَقِلّ للنَوائبِ والحربِ

أخاها إذا كانتْ عِضاضًا سما لها على كلَّ حالٍ من ذَلولٍ ومِنْ صَعْبِ[3].

يُلاحظ أنَّ سيبويه عَرَضَ رأيين في نصب (أخاها) الأول: سَماع شيخه عيسى نقله كما نطقه الشاعر، وهو المُتكلِّم الفعلي، وقولُهُ حُجَّةٌ وقف عندها سِيْبَويه، وهو قولٌ مُتردِّدٌ في تَقَبُلِه؛ لأنَّه قولٌ ينفرد عيسى بروايته، ومع هذا عدَّه صوتًا مُطابِقًا لصَوتِ المُتكلِّم الفعلي على شرط الأخذ بهذه الرواية، ويظهر مِنْ مُضمَرِ الكلام أنَّ روايته بالرَّفع هي الأشهر.

---

(1) المظاهر اللغوية للحجاج: ١٥٨.

2 () كتاب سيبويه :٢/٦٥،٦٢.

3 () يُنظر: هامش كتاب سيبويه :٢/١٣٦ نقلًا عن ملحقات ديوان ذي الرمة:٦٦٢ .

الواضح أنَّ المُتكلِّم الأول سِيْبَويه يضع في خطابه مُتكلِّمين آخرين هما الشاعر:المُتكلِّم الفعلي، وعيسى المُتكلِّم الثاني، وسِيْبَويه يتفق مع المُتكلِّم الثاني الذي يتطابق مع المُتكلِّم الفعلي؛ لأنَّه لمْ يسمعِ الشاعرَ؛ لذا قال: زَعَمَ عيسى، ويمكن أنْ نقول على هذا النوع من التعدد الصوتي (تعدد جهات الإحالة في النَّص)، ويُنبئ هذا الرأي على مدارك عقلية في عملية تحليل النص، وتحكيم العقل والفِكر عند ترجيح الآراء، وهذا دليل قاطع على إحكام المرجعية العقلية لفهم النصوص.

وعاد سِيْبَويه لينقل لنا إحالة أُخرَى نصب (هذا) لشيخه الخليل فيقول: ((زَعَمَ الخليل أنَّ نَصْبَ (أخاها) على أنَّك لمْ تُرِدْ أنْ تُحَدِّثَ الناسَ ولا مَنْ تُخاطِبُ بأمرٍ جَهِلوهُ، ولكنَّهم قد عَلِموا من ذلك ما قد عَلمْتَ، فَجَعلَه تعظيمًا وثناءً ،ونَصَبَهُ على الفعلِ، كأنَّه، ولكنَّهُ فِعْلٌ لا يستعمل إظهارُه))[1]، يرى سيبويه انَّ توظيف الخليل لصوتٍ ثالثٍ يُعَضِّد الصوت الثاني، وهو استنتاج يراه مَقبولًا و يطابق سماع عيسى، وبذلك تتساند هذه الأصوات التي يمتزج معها قول سِيْبَويه بوصفه صوت المُتكلِّم[2]، ينم هذا التحليل على انسجام توجهات سيبويه العقلية في حضور العقل بوصفه مرجعية للحكم عند النصوص.

---

(1) كتاب سيبويه :٦٦/٢ .

(2) ينظر: في تحليل الخطاب: د-حاتم عبيد، دار ورد الأردنية للنشر و التوزيع، ط١، ٢٠١٣م:٢٦.

وعند الرجوع إلى ملفوظ سِيْبَويه يظهر أنَّ الصوت الثالث هو للخليل في هذا التحليل؛ لتعليل ظاهرة النَّصب بناءً على فهمٍ للظروف الحافة بالقول، ويريد إيصاله الشيخ لتلميذه النبيه، ليضع هذا الرأي من ابتكارات الخليل، ويضعه حجةً لمن يوجه له الخِطاب، موظِّفًا قول الخليل لما له من سلطةٍ معرفيةٍ، تصغي لها العقول وتتقبلها من غير استئذان، وقد حقق سِيْبَويه مقصدهُ نحو النتيجة التي أراد أنْ تتضح، إذ يصحُ القول: إنَّ هذا الملفوظ يتضمن أصواتًا، أوَّلهُ لسِيْبَويه، والثاني لعيسى والثالث للخليل، وهذه الأصوات متساندة تتجه نحو نتيجة النَّصب على المدح أو الذم، بحسب السَّياق الذي ورد فيه الملفوظ، هذه الآراء المتمثلة بالأصوات بحد ذاتها تُشَكِّل تعددًا لجهات الإحالة داخل النص، والمسكوت عنها في هذه الإحالات هي السلطة العقلية الحاكمة بوصفها مرجعية عند سيبويه.

ومن الأمثلة الاخرى التي وردت في كتاب سيبويه وتتضح فيها ملامح تعدد جهات الإحالة، إذ يقول: ((إنْ شِئْتَ قُلْتَ: دارِي خلفَ دارِك فرسخانِ، تُلْغِي خلفَ كما تُلغِي فيها إذا قُلْتَ: فيها زيدٌ قائمٌ، وزَعَمَ يونسُ أنَّ أبا عمرٍو كان يقولُ: دارِي مِنْ خَلْفِ دارِك فرسخانِ، فشبَّهَهُ بقولك: دارُك منِّي فرسخانِ؛ لأنَّ خلفَ ههنا اسمٌ، وجَعَل مِنْ فيها بمنزلتِها في الاسم، وهذا مذهبٌ قويٌّ))[1]، إنَّ الملفوظ(دارِي مِنْ خَلْفِ دارِك فرسخانِ) يشابه ملفوظ سِيْبَويه (دارِي خلفَ دارِك فرسخانِ) صاحب الخِطاب الأول

(1) كتاب سيبويه :١/٤١٧ .

ويُلاحظ أنَّ صوت سِيْبَويه جاء على لسان مخاطَب افتراضي؛ ليقول على لسانه ما يريد قوله، والرأي الثاني هو لشيخه يونس(ت١٨٤هـ) يتمثل في الملفوظ (دارِي مِنْ خَلْفِ دارِك فرسخانِ) الذي يأتلف مع رأي أبي عمرٍو بن العلاء الذي يمثل الموقع الثالث داخل المنظومة الحوارية، الذي ينقل عنه سِيْبَويه عن طريق يونس، ونعته قول يونس بالزَّعم؛ لأنَّه لم يسمعه إلَّا عن طريقه؛ لذا هو ينسبه اليه كما نجده قد نعته بأنه مذهب قوي، وقد أوضح سِيْبَويه أنَّ أبا عمرٍو يريد بـ(مِنْ خلف) في ملفوظ (دارِي مِنْ خَلْفِ دارِك فرسخانِ) اسم مجرور بـ(من) وهو ليس خبرًا وإنَّما الخبر فرسخان فرفعه، وتقبَّل سِيْبَويه لهذا الزَّعم؛ لوجود نظير له في اللغة (فيها زيدٌ قائمٌ) وكأنَّ (فيها) هنا ملغاة، أي: ليس خبرًا مقدمًا وإنَّما الخبر قائمٌ، هذان المثالان الوارد ذكرهما على لسان سيبويه، وبأكثر من تَوَجُّه، تعد انتصارًا للفِكِر عند سيبويه بوصفه حاكمًا في أغلب حواراته العلمية.

وفي مثال آخر تتضح فيه تعدد جهات الإحالة قوله: ((ويونسُ يقولُ: هذا مِثْلُكَ مُقبِلًا، وهذا زيدٌ مِثْلَك، إذا قدَّمه جعله معرفة وإذا أخَّره جَعَلَهُ نكرةً، ومِنْ العرب مَنْ يوافِقُه على ذلك))[1]، الملفوظ (هذا مِثْلُكَ مُقبِلًا) الصوت الأول صوت سِيْبَويه والصوت الثاني صوت شيخه يونس، والصوت الثالث جماعيٌّ، وهو قوله: (ومِنْ العرب مَنْ يوافِقُه على ذلك)، فلدينا ثلاثةُ أصواتٍ: الأول ينسجم مع الصوت الثاني

(١) كتاب سيبويه :١/٤٢٣ .

والصوت الثالث ينسجم مع الصوت الثاني، ومن المفترض أنْ ينسجم الثاني مع الثالث إلَّا أنَّ سِيْبَويه أراد أنْ يؤيد قول شيخه؛ لأنَّ ما يقوله يونس يعارضه غيره من النَّحاة؛ لذا عزَّزه بالصوت الثالث الذي رُبَّما كان سِيْبَويه سمعه بنفسه، أو عن طريق شيخه الذي يسأله دائمًا عن اللغة واختلاف اللهجات وتعدد أوجه الخِطاب دليلٌ على أنَّ سيبويه استَحضر الحُجَّة عند إصدارِ الأحكام، والحجة هي من المخرجات الفكرية التَّامة.

ومن ملامح تعدد جهات الإحالة ما نجده عند سيبويه، في قوله: ((وأمّا قولُهم: نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله، فهو بمنزلة: ذهبَ أخوه عبدُ الله، عَمِلَ نِعْمَ في الرجلِ ولم يعمل في (عبدُ الله)، وإذا قال: عبد الله نِعْمَ الرجلُ، فهو بمنزلة: عبد الله ذهب أخوه؛ كأنَّه قال نِعْمَ الرجلُ فقيل له مَنْ هو؟ فقال: عبدُ الله، وإذا قال عبدُ الله فكأنَّه قيل له: ما شأنُه؟ فقال: نِعْمَ الرجلُ))[1].

هذا النص يمثل تعدد جهات الإحالة المتفاعلة بصورة حوارية، فيوجد مُتكلِّمون عَبَّر عنهم سِيْبَويه بـ(قالوا) وهي ذات جمعية لمجموعة من الذوات المُتكلِّمة، وهناك أصوات أخرى (مَن قال، وإذا قال، فقال)، هذه الذوات غير معروفة المَرجِع، لمْ يوضحْها سِيْبَويه، فهي لا تتضمن علامات صريحة، ولا إشارة تلميحية إلى الذات

(1) كتاب سيبويه: ٢/١٧٦-١٧٧.

المتكلمة، لذا لا تُنسب مسؤولية التكلّم بها إلى أي متكلم[١]. فسِيْبَويه يُنشئ بلا انقطاع صور جميع الشخوص ذات الإحالات المتعددة الممكنة التي قد يحملها خطابه، كما يريد هو أنْ يعرضَها (مَن قال، وإذا قال، فقال)[٢]، وإنَّ هذه الجهات المتعددة الخطاب التي يتَّفق معها سِيْبَويه، تهدف إلى الوصول إلى نتيجة واحدة هي:أنَّ (نِعْم) لا تعمل في المخصوص بالمدح، وإنَّ هناك عاملًا غيرها هو المسؤول عن رفع عبد الله، سواء تقدم أم تأخر، لذا أجاز النَّحاة إعراب المخصوص خبر لمبتدأ محذوف إذا كان متأخرًا، إنَّ الإحالات المتعددة في هذا النص تُنشئ فيما بينها حوارًا قائمًا على أساس الحجة العقلية، في تبيان الأُسس المنطقية في إمكان تحكيم العقل من الوقوف على أكثر من دليل وهذا يشمل نمطًا من التفكير العقلي في فهم النص هاهنا.

(١) ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج :١٦٠.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه:١٨٠.

المبحث الثالث

المرجعية العقلية في المسائل الصوتية والصرفية

١-المخارج والصفات

٢-موقع الصوت

٣-الجهر والهمس

٤-التعليل عند قلب الواو ياء في (ديار) ونحوها

٥-إلتقاء الساكنين

٦-التخفيف

٧-الترك أو الاستغناء

٨- الاشباع الحركي

٩-الرّد إلى الأصل

توطئة:

اهتمَّ النحاة الأوائل بالقضايا الصوتية والصرفية, وشغلت الدراسات الصوتية أمَّات الكتب النحوية ولاسيما(الكتاب)، فقد ضمّ أبوابًا قيّمة في الدراسات الصرفية فضلًا عن الصوتية, ولم يجعل سيبويه الأبواب الصرفية والصوتية في أول الكتاب كما يفعل المحدثون، وإنَّما جعل الدراسة الصوتية في آخر أبواب الدراسة الصرفية .

ولاحظ سيبويه صيغًا صرفية كثيرة لا يمكن تفسيرها إلَّا في ضوء المعايير الصوتية(١)، وظلّ البحث الصوتي عند كبار النحاة العرب جزءًا مكملّا للبحث الصرفي.

و يُعَد البحث الصوتي أصلًا في التراث العربي و يمكن سريان الأمر على المعجمات وكُتُب القراءات القرآنية، بوصفها مصدرًا مهمًا من مصادرِ البحث الصوتي(٢).

١ -المخارج والصفات:

إنَّ مجمل ما جاء به سيبويه في تقسيمه للأصوات على مستوى الإخراج والصفات ينسجم ومعطيات علم الأصوات النطقي الحديث، الذي يُعنى بتركيب جهاز النطق وطبيعة عملياته وما يترتب على ذلك من تقسيم للأصوات من حيث المخارج

(١) ينظر: البحث اللغوي، د-محمد فهمي حجازي، الناشر، دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٤، (د-ت) : ١٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٦ .

والصفات وتآلفها, وما يُصيبُها من تغير بسبب هذا التآلف والاجتماع[١]، فما جاء به سيبويه ينسجم وطبيعة علم الأصوات النطقي؛ إذ يُعدُّ علم الأصوات السمعي من أقدم الدراسات الصوتية؛ وذلك لاعتماده الملاحظة الذاتية للأعضاء المرئية من جهاز النطق والتذوق الشخصي لعمليات النطق[٢]، لذلك نجد سيبويه اعتمد على الأداء الصوتي بوصفه دليلًا للوصول إلى الظاهرة الصوتية، ومن ثم تفسيرها، فيقول سيبويه:((والفاءُ لا تدغم في الباء؛ لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى وانحدرت إلى الفم وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء؛ وإنما أَصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين))[٣]، و بهذا نتبين دقة ملاحظة سيبويه، للظاهرة الصوتية، بوساطة الأداء الصوتي، الذي اتَّخذه العلماء دليلًا في تعليل كثير من المظاهر الصوتية ومن ثم تفسيرها في هدْيٍ من ذلك، فأحكامه الصوتية مبنية على الملاحظة العلمية المتأتية من مراقبة حركة اللسان وما يستخف منها وما يستثقل، فإذا أُدِّيَ الصوت المضعَّف برفعة لسانٍ واحدة لاشك في أنَّهُ أخف من الأداء للمضعَّف برفعتين (يرفع لسانه ثم يعيده) وهكذا.

---

[١]() ينظر: وجوه من الدرس الصوتي في كتاب سيبويه،(رسالة ماجستير)، أحمد طالب علي الخلوف، جامعة مؤتة، الأردن، كلية الآداب، قسم اللغة العربية و آدابها، ٢٠٠١م : ٥١.

[٢]() ينظر: المصدر نفسه: ٥١-٥٥.

[٣]() كتاب سيبويه: ٤/ ٤٤٨.

وفي هذا المضمار نستعرض مسألة أُخرى لسيبويه، تُظهر مدى براعته في المسائل الصوتية، كما عهدناه في ما عرضناه من مسائل عقلية، ومن ذلك قوله:((والراء لا تدغم مع اللام ولا في النون؛ لأنها مكررة، وهي تفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أنْ يجحفوا بها فتُدغم مع ما ليس يتفشَّى في الفم مثلها ولا يكرر))[1]، بَيّنَ سيبويه أنَّ الراء لا تدغم مع اللام والنون؛ لا لأنها مكررة وحسب, وانما؛ لأنَّها تفشى إذا كان معها غيرها فسيبويه هنا لم يكتفِ بالدلالة على عدم الإدغام في كون الراء مكررة واللام والنون ليسا كذلك, وإنَّما شرح ذلك في أنَّ عدم الانسجام في الأداء الصوتي قَادَ لِأنْ يَنفِر من الإدغام بين متناقضين في الصفة، ولم يكتفِ سيبويه بهذا القدر من الإيضاح والشرح، إذ لم يلبث أنْ قوّى ما ذهب إليه، بما يناظر تلك الأصوات قائلًا:((ويقوَّي هذا أنَّ الطاء وهي مطبقةٌ لا تجعل مع التاء تاءً خالصة؛ لأنها أفضل منها بالإطباق فهذه أجدر أنْ لا تدغم إذ كانت مكررة))[2]، وحديثه عن صوت التاء الخالصة تُعَبِّر عن معالجة علمية عقلية خالصة، والدليل هو ما ذهب إليه من انتداب الاسباب للقول بهذه الظاهرة وبثها في كتابه.

لذا أستطيع القول إنَّ مسميات الصفات الصوتية كلَّها إنما سميت في ضوء معطيات الأداء الصوتي لتلك الأصوات مفردات ومجموعات، وهذه المسميات شاعت

---

[1]() كتاب سيبويه: ٤/٤٤٨.

[2]() المصدر نفسه: ٤/٤٤٨.

وذاع صيتها، بواسطة نباهة سيبويه، ودقة ملاحظته للظواهر الصوتية وتوثيقها، حتى صارت مدار بحث العلماء في المجال الصوتي.

وفي موضع آخر يكشف سيبويه عن الأسباب الصوتية عبر استشعار أثر بعض الأصوات في كثير من الظّواهر الصوتية وأحكامها، ففي باب الإضافة إلى كل اسم كان آخره ألفًا وكان على خمسة أحرف يرى سيبويه أنَّ الاسم الممدود سواء كان مصروفًا أو غير مصروف؛ فإنَّه لا يحذف منه شيء نحو خنفساء خنفساوي بقوله:((وذلك أنَّ آخرَ الاسم لمَّا تحرَّك وكان حيَّاً يدخله الجرُّ والرفعُ والنصبُ صار بمنزلة سَلامان وزعفران وكالأواخر التي من نفس الحرف نحو: احْرِنْجَام واشْهِيْبَاب فصارت هكذا كما صار آخرُ معزَى حين نُوِّنَ بمنزلة آخِر مَرْمى، وإنَّما جسروا على حذف الألف؛ لأنها ميِّتةُ لا يدخلها جرٌّ ولا رفع ولا نصب فحذفوها كما حذفوا ياءَ ربيعة وحنيفة، ولو كانت الياءان متحركتين لم تُحذفا لقوَّةِ المتحرك وكما حذفوا الياء الساكنة من (ثمانٍ) حيث أَضيَفْتَ إليه، فإنما جعلوا ياءي الإضافة عوضا، وهذه الألف أضعف, تذهب مع كلِّ حرفٍ ساكنٍ, فإنَّما هذه معاقِبَةٌ, كما عاقبت هاءُ الجحاجحةِ ياءَ الجحاجيح ,فإنما يجسرون بهذا على هذهِ الحروف الميتة))[1]، تتضح قدرة سيبويه العقلية في هذا النص كما في غيره، فنراه قد سَبَر أغوار اللغة المنطوقة، وكشف عمَّا تتمتع به تلك الأصوات من خواصَّ صوتيةٍ، ومن ثم ربط تلك الخواص

(١) كتاب سيبويه: ٣/٣٥٦

عند تعليل الظاهرة الصوتية، والحقُّ أنَّ تضمين نصوصه بالثنائيات(الحي، الميت) و(القوة، الضعف) و (المتحرك، الساكن) ساعدت على الإتيان بأحكام صوتية عقلية تأسست في ضوء هذه الثنائيات والتي أسهمت في ظهور الأحكام، وهي: (التجاسر, والحذف, والعوض, والمعاقبة) وهذا يدلُّ على تمكنّه من المسائل عند إيرادها، واستحضار السبب والمسبب عند تعليل الظواهر الصوتية، وفي ذلك دلالةٌ على قدرته العلمية وتمكنه من المسائل اللغوية على كثرتها.

٢ – موقع الصوت:

تَنَبَّه سيبويه لتأثير موقع الصوت في الكلمة، ففي باب (ما كانت الياء والواو فيه لامات)، قال سيبويه: ((اعلم أنهنَّ لامات أشد اعتلالاً وأضعف لأنهنَّ حروف إعراب وعليهن يقع التنوين، والإضافة إلى نفسك بالياء، والتثنية، والإضافة نحو: هنِيٍّ ، فإنما ضعفت؛ لأنَّها اعتُمِدَ عليها بهذه الأشياء، وكلما بعدتا من آخر الحرف كان أقوى لهما، فهما عيناتٍ أقوى، وهما فاءاتٍ أقوى منهما عيناتٍ و لاماتٍ ، وذلك نحو : غَزَوْتُ ، وَ رَمَيْتُ))[١].

يُبَيِّن سيبويه في هذا النص ما يجري للأصوات بفعل الموقع الإعرابي الذي تشغله المفردات الحاملة للياء والواو، فهذه الأصوات بفعل موضعها وموقع مفرداتها تكون أكثر اعتلالاً، ثم يكشف النص عن أنَّ هذه الأصوات كلما ابتعدت من موضع

---

[١]() كتاب سيبويه: ٣٨١/٤.

اللام إلى العين، أو الفاء كانت بمنأى عن التأثيرات الصوتية الناجمة من الموقع الإعرابي، ونستعرض مثالاً آخر في باب الندبة، يقول سيبويه: ((إذا وافقت ياء الإضافة ألفًا لم تحرك الألف، لأنها إن حُرِّكَت صارت ياءً، والياء لا تدخلها كسرة في هذا الموضع، فلما كان تغييرهم إياها يدعوهم إلى ياء أخرى وكسرة تركوها على حالها كما تُرِكت ياءُ (قاضي)، إذ لم يخافوا التباسًا وكانت أخف، وأثبتوا ياء الإضافة ونصبوها؛ لأنه لا ينجزم حرفان، فإذا ندبت فأنت بالخيار إن شئت ألحقت الألف كما ألحقتها في الأول، وإن شئت لم تلحقها، وذلك قولك: وامثنّاياه وامثنّاي))[1]، ويُلاحظ أنّ سيبويه يعرض بفكره العميق الخيارات الصوتية المتأثرة بالأثر النحوي على وفق تعليلٍ صوتيٍ ينسجم مع الرأي العلمي.

٣-الجهر والهمس .

عرّف سيبويه الجهر والهمس بقوله:((فالمجهور: حرف أُشبعَ الاعتمادُ في موضعه، ومنع النفَسَ أنْ يجريَ معه حتى ينقضيَ الاعتماد عليه ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أنَّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنَّة، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثمّ تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلَّ بهما وأما المهموس فحرف أُضعِفَ الاعتمادُ في موضعه حتى جرى النَفَسُ معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرتَ فردَّدْتَ الحرفَ مع جَرْيٍ

[1] () كتاب سيبويه: ٢/٢٢٣.

النَفَسِ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدرْ عليه، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمدِّ، أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت))[1]، سعى المحدثون إلى معرفة دقائق ما جاء به سيبويه بهذا الخصوص لذا بَيَّنَ الدكتور ابراهيم أنيس مُراد سيبويه في كلامه عن الجهر والهمس وذكر أمرين

الأول: إشباع الاعتماد.

الثاني: مَنْعُ النَّفَسِ أن يجريَ معه حتى ينقضيَ الاعتمادُ عليه في المجهور .

وَ ذَكَر أَنَّ المراد من الأول(إشباع الاعتماد)، هو قوة الوضوح السمعي[2]، وهذا هو معنى الجزء الأول من قول سيبويه، ثمَّ قال: ((عملية إصدار الصوت تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي [...] ولأمر ما عبّر سيبويه بقوله أشبع الاعتماد في موضعه ولم يقل في مخرجه؛ لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج))[3]، ثم ذكر المراد من الأمر الثاني وهو استشعار سيبويه لاقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى يكادا يسدان طريق التنفس، وهنا نشير إلى أنَّ الحنجرة التي تضم الوترين الصوتيين لم تكن معروفة في

---

[1]() كتاب سيبويه: ٤/٤٣٤.

[2]() ينظر: الأصوات اللغوية : د- ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٤م: ١٦٩.

[3]() الأصوات اللغوية، د- سمير شريف: ١٢٥.

عصر سيبويه، ولا أثر لها غير ما يمكن القول: إنَّها جزء من الصدر في كلام سيبويه عن الأصوات بصورة عامة ، لذلك إنَّ قراءة الدكتور إبراهيم أنيس تدلّ، على أنَّ عبارات سيبويه ودقته عند وصف الأصوات هي آخِر ما توصل إليه علم اللغة الحديث من تعريف لمسألة الجهر الذي يعني اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت ((فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان))[١].

وسأنتخب صوت الهمزة وصفتها عند سيبويه، ومعرفة السبب العقلي والعلمي الثاوي وراء الحكم عليها بأنَّها مجهورة عنده، عرَّف سيبويه الهمزة بأنها: ((نبرةٌ في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم ذلك، لأنَّه كالتهوع))[٢]، وقد عرَّفها المبرد بأنها: ((حرف يتباعد مَخْرَجهُ عن مخارج الحروف ولا يشرِكه في مخرجه ولا يُدانيه إلَّا الهاء والألف))[٣]، وحظي صوت الهمزة بمرتبة خاصة عند النحويين كونها تعد صوتًا أساسيًا في الكثير من اللغات، وليست اللغة العربية وحدها[٤]، ولم تزلْ الهمزة عند المحدثين عصيّةً على التصنيف بين الجهر والهمس، أو الشدة والرخاوة ((وفي الحقيقة أن الهمزة تبدو غير ثابتة، ولا تشكّل نمطًا

---

[١]() اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمّام حسّان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩ م : ٤٠.

[٢]() كتاب سيبويه: ٥٤٨/٣.

[٣]() المقتضب: المبرد: ١٥٥/١.

[٤]() ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٩-٩٠.

محددًا))[١] وذلك؛ لأنها قائمة على صوت مختلف ومتباعد عن كل الحروف من حيث الصفة و المخرج، لا أن الهمزة من الحروف المجهورة وإلى ذلك ذهب الرافعي[٢]، والدكتور علي عبد الواحد وافي[٣]، والدكتور صبحي الصالح[٤]، وبحسب تعريف سيبويه للهمزة فهي تُعد من أبعد الأصوات العربية وأدقّها مخرجًا، صار لزامًا أن تتصف بالجهر وليس الهمس، والدليل هو الشعور بقوة هذا الحرف عند النطق به، و أثبتت المختبرات الصوتية ما يَظهر من قوة وعدم ثبات للهمزة عند نطقها، لكونها لا تشكّل نمطًا محددًا[٥]، وعدم تشكيلها لنمطٍ محدد قد يعزى إلى قوة النبر فيها ومن ثم اهتزاز الأوتار الصوتية بقوة، وهذا يدل على ما اِتَّصَفَ به سيبويه من دقة الملاحظة، والعقلية الناضجة، فهو يحلل الظاهرة الصوتية بعد تجريبها بأدواته البسيطة وهو النطق بها فقط، والاعتماد على حاسته الذوقية العالية إلى جانب فِكْرِهِ العميق، لِيُظهِر لنا نتائج أبهرت القدامى والمحدثين، و هذه النتائج احتاجت إلى المختبرات الصوتية لإظهارها في وقتنا الحاضر، فسيبويه لديه قدرة عقلية عالية

---

[١] () التشكيل الصوتي في اللغة العربية، الدكتور سلمان العاني، ترجمة ياسر الملاح، جدّة ،١٩٨٣م: ٩٥.

(٢) ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، مصر، ط ٢، ١٩٤٠ م :٨٢/١.

(٣) ينظر: فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، الناشر، نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤ م: ١٦٦ – ١٦٧.

[٤] () ينظر: دراسات في فقه اللغة ، الدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ٧ ، ١٩٧٨ م : ٣٨١.

[٥] () ينظر: التشكيل الصوتي: ٩٠.

على استشعار طبيعة الأداء الصوتي تمكنه من الإحساس بما يجري في الرئة والحنجرة من غير أن يعرف لتلك الأعضاء اسمًا.

٤-التعليل عند قلب الواو ياء إذا سبقت الياء بكسرة وجاء بعدها ألف:

ذَكَر سيبويه تعليلاً في قلب الواو ياءً فقال: ((هذا باب تقلب الواو فيه ياء لا لياء قبلها ساكنة، ولا لسكونها وبعدها ياء، وذلك قولك: حالت حِيالًا، وإنما قلبوها حيث كانت معتلة في الفعل، فأرادوا أن تعتل إذا كانت قبلها كسرة وبعدها حرف يشبه الياء ، فلما كان ذلك فيها من الاعتلال لم يُقِّروها؛ وكان العمل من وجه واحد أخفَّ عليهم وجسروا على ذلك للاعتلال ومثل ذلك: سَوْطٌ وسِياطٌ، وثَوْبٌ وثِيابٌ، و روضةٌ و رِياضٌ[...] و أما ما كان قد قُلِبَ في الواحد فإنَّه لا يثبت في الجمع إذا كان قبله الكسر؛ لأنهم قد يكرهون الواو بعد الكسرة حتى يقلبوها فيما قد ثبتت في واحدِهِ، فلما كان ذلك من كلامهم ألزموا البدل ما قُلِبَ في الواحد، وذلك قولهم: دِيَمةٌ و دِيَمٌ، وقامةٌ و قِيَمٌ، وتارةٌ وتِيَرٌ، ودارُ و دِيارٌ، وهذا أجدر أن يكون إذ كانت بعدها ألف، فلما كانت أخفَّ عليهم، والعمل من وجه واحد، جسروا عليه في الجمع؛ إذ كان في الواحد محوَّلًا واستثقلت الواو بعد الكسرة، كما تستثقل بعد الياء))[1]، وتابَعَ أبو علي الفارسي(٣٧٧هـ) ما ذهب إليه سيبويه من تعليل لهذه الظاهرة الصرفية إذ قال:

[1]() كتاب سيبويه: ٤/٣٦٠-٣٦١.

((ومما قلبت فيه الواو ياء قولهم: عُذْت عِياذًا، وقِمْتُ قِيامًا أعلّوها بالقلب كما أعلوها في الفعل، ومثل ذلك: حَوْض وحَياض، وثَوْب وثِياب؛لأنها أشبهت بالسكون (دارًا) فكما قالوا (دِيار)، كذلك قالوا: حَياض، ومثل ذلك قولهم: اجتزت اجْتِيازًا، وانقدت انقيادًا، قلبت لاعتلالها في الفعل، ولم تحذف كما حذفت في الاستجادة لسكون ما قبل حرف العلة، وتحركه في الانقياد، فأما (الجِوار) و (اللِّواذ) فصحت لصحتها في الفعل))[1].

والظاهر أنَّ سيبويه كان يقصد في كلامه: أن تقع الواو عينًا لجمع صحيح اللام وقبلها كسرة، وهي في الواحد إما معلَّة أو شبيهه بالمعلَّة، وبهذا يتبين أنَّ الكسرة لا توجب الإعلال وحدها إلَّا إذا اقترنت بها ضمائم أخرى تعينها عليه في إثبات تأثيرها، وهذا ما تَنَبَّه إليه سيبويه بعقليته الكبيرة، عندما علل هذه الظاهرة بطريقة علمية تُنبئ عن فِكر عميق، وإجادة مع تمكن تام من كل ما يخوض فيه من مسائل.

٥-التقاء الساكنين.

لجأ سيبويه إلى الحذف في هذه المسألة الصوتية خوفًا من التقاء الساكنين قائلاً: ((باب ما شذّ من المضاعف فشُبّه بباب أقَمْتُ وليس بمتلئِبّ [...] وإذا كان في موضع يحتملون فيه التضعيف لكراهية التحريك، حذفوا؛ لأنه لا يلتقي

[1]() التكملة، الفارسي: ٥٩٢.

ساكنان))[1]، وضرب مثلًا بالفعل (أحسّ) عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة؛فالعرب عندما تقول: في أحسَسْتُ: أحَسْتُ وأحَسْنَ في أَحْسَسْنَ تشبّه بباب أَقَمْتُ؛ لأنهم أسكنوا الأولى فلم تكن لتثبت والثانية ساكنة[2]، فتكون الصورة المرفوضة: أحَسْسْتُ ولا يلتقي ساكنان في كلمة فلذلك عمدوا إلى حذف الثانية تشبيهًا بباب أَقَمْتُ فالفعل (أحسَّ) الساكن الأول منه حرف صحيح اجتمع مع حرف من جنسه فأُدغما فصار الفعل بهما مضاعفًا، ونستطيع التخلص من التقاء الساكنين فيه عند إسناده بطريقتين الأولى فكّ الإدغام، والثانية حذف الساكن الأول، والطريقة الثانية هي التي يلتقي فيها الفعلان (أقام وأحسّ) فالفعل (أقام) عند إسناده لتاء الفاعل نقول: (أَقَامْتُ)؛ لأنّ الميم لا بدّ من إسكانها لأجل الضمير، فالتقى ساكنان، وهذا لا يجوز فيجب الحذف لذلك[3]، فلا وسيلة للتخلص من التقاء الساكنين إلَّا الحذف، والساكن الأول الذي أصله التحريك أولى بالحذف؛ لأنّ الإدغام في هذا الفعل ممتنع؛ ولأنّ ثاني المتجانسين ساكن، وشرط الإدغام أن يكون الثاني

---

(1) كتاب سيبويه : ٤/٤٢١. ٤٢٢ .

(2) ينظر: المصدر نفسه : ٤/٤٢٢ .

(3) ينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه ، يوسف بن الحجاج المعروف بالأعلم الشنتمري (ت٤٧١هـ) ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٧م : ٢/١٢٣٤، والممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ)، د. فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط٥ ، ١٩٨٣م : ٦٦١.

متحركًا[١]، فيكون الإدغام في المضاعف واجبًا، إذا كان الحرفان المتشابهان المتجاوران متحركين، فعند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة يجب فكّ الإدغام لتحرّك أول الحرفين المتشابهين وسكون الثاني[٢]، نجد سيبويه أنَّه يلتمس للظاهرة الصوتية والصرفية تفسيرات مختلفة، ومسوغات فكرية تنم عن دراسة مستفيضة لمعالم اللغة على جميع مستوياتها، ومنها ظاهرة التقاء الساكنين، فإذا التقى ساكنان في كلمة واحدة، أو في كلمتين وجب التخلص من التقائهما إما بحذف أولهما أو تحريكه، فيحذف الأول صوتًا وخطًا إن كان حرف مدٍّ نحو : قُلْ وبِعْ وخَفْ ، حيث وقع الحذف على أحرف المدّ : الواو والياء والألف[٣] .

٦ –ظاهرة التخفيف:

يُقصد بالتخفيف أو الخِفَّة في اللغة: أن يكون اللفظ خفيفًا على لسان الناطق فيبقيه على حاله من دون تغيير، وهي ثابتة في اللفظ لا طارئة عليه، وقد دعا إلى وجودها اتّساق حروف اللفظ، وابتعادها عن الثقل والتنافر في البناء والخفّة، وعند

---

(١) ينظر: ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح للعيني ، القسم الثالث : بحث منشور في مجلة المورد : مج : ٥، ع ٢ ، ١٩٧٦م : ١٧٧ .

(٢) ينظر: الصرف الواضح، د. عبد الجبار علوان النايلة، بغداد ، (د– ط)، ١٩٨٨م: ٥٣.

(٣) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة ، الاسكندرية (د–ت): ٦٥، والتقاء الساكنين والتخلص منه في ضوء الدرس الصوتي الحديث، د– صباح عطيوي عبود، دار الكتب والوثائق العراقية، ط١، ١٩٩٨م: ٢٠–٢٤.

سيبويه تظهر في أحرف المد واللين والحركات التي هي أبعاضها، وتتعلق هذه المسألة تقسيم سيبويه للحركات حسب خفّتها وثقلها ، وكذلك الحروف ، فإذا جاءت هذه الحركات والحروف مُتّسِقَة في اللفظ تكون خفيفة فمثال خفة هذه الحركات قوله في باب المصادر: ((وقالوا: شَحِيْح والشُّح كالبَخِيْل والبُخل، وقالوا: شَحّ يَشِحُّ، وقالوا: شَحِحْت كما قالوا: بَخِلتَ؛ وذلك لأنّ الكسرة أخفّ عليهم من الضمة، ألا ترى أنّ فَعِل أكثر في الكلام من فَعُل والياء أخفّ عليهم من الواو وأكثر))[1].

في هذا النص ذكر سيبويه أنّ العرب قالوا: شَحِحْتُ بالكسر ولم يقولوا: شَحُحتُ بالضم؛ لخفة الكسرة وثقل الضمة، واستدل على ذلك بكثرة ورود الفعل مكسور العين قياسًا إلى مضمومها في كلام العرب، ولا شك في أنّ العرب تميل إلى الأخف .

تبيَّن في هذا المثال ظهور الخفة في الحركات وأثرها في بناء اللفظ وجنوح العرب إلى أخفها، أما الخفة في الحروف فتظهر في اشتقاق الفعل المثال وهو عند سيبويه ما كانت فاؤه ياءً أو واوًا، فالعرب تشعر في الياء سهولة، وفي الواو ثِقلًا ،والدليل هو أنها تحذف الواو في مضارع الفعل المثال مثل: وَرِث يَرِث، وورِع يَرِع،ووَغِر يَغِر، ولم يقولوا : يَورِث ولا يَوْرِع ولا يَوْغِر؛ ((لصعوبة الانتقال من الياء

(1) كتاب سيبويه: ٣٧/٤ .

المفتوحة إلى الواو ، ثم من الواو إلى الكسرة ؛ لما في كل ثُقْلةٍ من الجمع بين شيئين يُشبه أمرهما أمر المتضادين فحذفوا الواو ؛ إذ هي التي أوجدت هذين الثقلين)) [١].

أما الياء في هذا الفعل (المثال) فلا تحذف لخفتها وسهولتها[٢]، ولأنّ العرب يفرّون إليها من ثقل الواو أحيانًا، قال سيبويه: ((وأما ما كان من الياء فإنه لا يُحذف منه، وذلك قولك يَئِس يَيْئِس ويَسَر يَيْسِر، ويَمَن يَيْمِن؛ وذلك أنّ الياء أخف عليهم؛ ولأنهم قد يفرّون من استثقال الواو مع الياء إلى الياء في غير هذا الموضع ولا يفرّون من الياء إلى الواو فيه، وهي أخفّ [...] فلما كان أخفَّ عليهم سلّموه))[٣]. فلا تحذف الياء في مضارع هذا الفعل لخفتها، وقد جمع سيبويه في قوله بين خفّة الفتحة وخفة الألف عندما علَّل عدم قلب الواو ياء في مَوْعِد ومَوقِف فقال: ((لم تُقْلَب ألفاً لخفة الفتحة والألف عليهم، ألا تراهم يفرّون إليها [...] وإنما خَفّت الألف هذه الخفّة؛ لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تُحرّك أبداً، فإنما هي بمنزلة النَّفَس فمن ثمّ لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء لما ذكرت لك من خفة مؤنها))[٤] .

---

(١) دروس التصريف ، القسم الأول في المقدمات وتصريف الأفعال ، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٣ ، ١٩٥٨م: ٩٠ .

(٢) ينظر: كتاب المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني، (ت٤٧١هـ)، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٧م : ٧١.

(٣) كتاب سيبويه : ٥٤/٤.

(٤) كتاب سيبويه: ٣٣٥/٤. ٣٣٦ .

فالمسألة هنا راجعة إلى التعليل العقلي وشعوره بثقل اللفظ وخفته فيتحرّى ما كان خفيفًا منه، ويتجنّب ما ثقُل وازدادت مؤونته، فنجد من استنتاجات سيبويه وتعليلاته لفت نظر كثير من علماء الصرف والصوت إلى هذه الظاهرة كغيرها من الظواهر معتمدًا على تعليلات عقلية محكمة مبنية على قواعد علمية مستقرة، فأجد سيبويه عند استنتاج قاعدة وربطها بالأحكام النحوية، يقوم بتحليل النصوص لتبسيط ما حملته من أحكام متنوعة على كثرتها، وهذه بلا شك لا تتهيأ إلا لمن خَبَرَ اللغة وأجاد فيها.

٧-الترك أو الاستغناء:

إنَّ من المسائل الصوتية المهمة التي توصَّل إليها سيبويه في تفكيره الصوتي، هي الترك أو الاستغناء، إذ حاول سيبويه بواسطة هذه الظاهرة التَّوَصل إلى سهولة النطق والخِفّة، يقول: ((ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصلهُ في كلامهم أن يُستعمل حتى يصيرَ ساقطاً))[1]، ومن أمثلة الاستغناء في كتاب سيبويه، استغنائه عن الحروف من مثل همزة الوصل التي تُجتلب للتوصّل للنطق بالساكن؛ لأنّ النطق به أوّلًا مُتعَذّر، حتى إذا زال الغرض من اجتلابها استغني عنها، وضرب سيبويه مثلًا فقال: ((وذلك قولك في استِضْراب : تُضَيْريب ، حذفت الألف الموصولة ؛ لأنّ ما يليها من بعدها لابُدّ من تحريكه، فحذفتَ؛ لأنَّهم قد علموا أنها

---

[1]() كتاب سيبويه: ٢٥/١.

في حال استغناءٍ عنها))[1]، فاستغني عن الهمزة لزوال الضرورة لاجتلابها واستغني عنها لعلَّتين اثنتين إحداهما: تحرّك ما بعدها؛ لأنها إنما أُدخِلت لسكونه، والأخرى: لأنها زائدة أصلًا وليست من أصل الكلمة[2]، وعدّ بعض الباحثين هذه الظاهرة، من الظواهر المتصلة بالرغبة في الاقتصاد اللغوي[3]، وذكر بعضهم أنّ (علة الاستغناء) ترتبط (بالثقل والخفّة) ، فربما استغني عن لفظ لثقله في الكلام وجيء بالآخر لخفّته والدليل على ذلك أنّ سيبويه قال في باب صَوْغ بناء (مَفْعَلَة) لتكثير الشيء بالمكان:((وذلك إذا أردت أن تُكَثِّر الشيء بالمكان مثل، أرض مَسْبَعَة ومأسَدة ومَذْأَبة))[4]، فسيبويه يُوجِب صوغ هذا البناء من الثلاثي فقط، قال: ((وإنما اختصوا بها بنات الثلاثة لخِفّتها))[5]، فالعلاقة بين هذه الصيغة (مَفْعَلَة) وبين الثلاثي أنّ الثلاثي هو أخفّ الأبنية.

إذا ظاهرة الاستغناء من الظواهر المهمة، إذ راعتها العرب في كلامها وتناولها العلماء بالبحث، وهم في كل ذلك غير غافلين عن المحافظة على المعنى فلا بدّ في

---

(١) كتاب سيبويه : ٤٣٣/٣ .

(٢) ينظر: المقتضب : ٢٦٨/٢ .

(٣) ينظر: الأسس المنهجية للنحو العربي : ٣٨٢ .

(٤) كتاب سيبويه : ٩٤/٤ .

(٥) المصدر نفسه: ٩٤/٤ .

المستغنى به من دلالة على المستغنى عنه، قال أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ): ((وقد يُستغنى بالحرف عن الحرف في بعض الأحوال إذا كان في معناه))[١].

٨-الإتباع الحركي:

لم يفرد سيبويه لهذا الموضوع بابًا خاصًا به أسوة بغيره من الموضوعات، بل هو مبثوث في مباحث متفرقة من الكتاب، وغايته واحدة، وهي الميل نحو الانسجام والتوافق والاقتصاد في الجهد المبذول[٢]، والجوار هو ما يتركه الصوت من أثر في مجاوره أو ما تتركه اللفظة في مجاورتها، وقد يكون أثر المجاورة بين كلمتين في التركيب، بحيث يؤثّر الصوت الأخير من الكلمة الأولى بالأول من الكلمة الثانية بأثر تقدمي، أو بتأثّر الأخير من الكلمة الأولى بحركة الأول من الثانية بأثر رجعيّ مثل قراءة ((الحمدُ لُله، والحمدِ لِله))[٣]، أو يكون التأثير بين صوتين في الكلمة بقصد التخفيف، وهو ما يسمّى بالإتباع الحركيّ .

---

(١) لمع الادلة: ٤٨٥/١ .

(٢) ينظر : التقاء الساكنين والتخلص منه : ١٩٥ . ١٩٦ .

(٣) قرأ أهل البادية بالضم (الحمدُ لله) (الفاتحة : ٢) وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة (الحمدِ لِله) بالكسر والراجح عند ابن جني ما قُرِئ بالضم ؛ لكونه أسهل من الإتباع بالكسر: ينظر : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، تح : د. علي النجدي ناصف ، د. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح شلبي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، القاهرة ، ٢٠٠٤م. : ٣٧/٢ .

والإتباع هو ((ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطوّرها إلى الانسجام حتى لا ينتقل اللسان من ضمٍّ إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية))[١] ويُمثل الإتباع الحركي نزوعًا إلى تقليل الجهد المبذول وسبيلًا من سبل التطوّر في الأصوات[٢]، ويعدّ عامل الانسجام بين الحركات وتأثير بعضها في بعض عاملاً رئيساً في حدوث ظاهرة الإتباع الحركي[٣] .

تنبَّه القدماء إلى هذه الظاهرة وفسَّروها تفسيرًا صوتيًا وتابعهم المحدثون، فقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة حينما فسّر جنوح لهجة تميم إلى كسر الفاء في صيغة (فَعِيْل وفَعُل) إذا كان ثانيه أحد حروف الحلق[٤]، قال في ((باب الحروف الستة إذا كان واحد منها عينًا وكانت الفاء قبلها مفتوحة وكان فَعِلًا [...] وفي فَعِيْل لغتان: فَعِيْل وفِعِيْل إذا كان الثاني من الحروف الستة، مطّرد ذلك فيهما لا ينكسر في فَعِيل ولا فَعِل، إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لِئِيم وشِهِيد وسِعِيد

---

(١) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، د. غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة . بغداد ، د. ط، ١٩٧٨م: ١٢٠ .

(٢) ينظر: في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٤ : ٩٦.

(٣) ينظر: اللهجات العربية في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، رافد مطشر سعيدان، كلية التربية، جامعة بابل : ١١٤ .

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/١٠٧-١٠٨، وينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : ١٢٠ . ١٢١ .

ونِحِيف ورِغِيف [...] وشِهِد ولِعِب وضِحِك [...] وكذلك فِعِل إذا كان صفة أو فعلًا أو اسمًا))[1]، وإنما جنحت لهجة تميم إلى الإتباع في هذه الأمثلة؛ لأنّ ذلك ((أخفّ عليهم، حيث كانت الكسرة تشبه الألف، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد))[2]، هنا تَجَلّت دقة سيبويه في ملاحظة الظواهر الصوتية وتسجيلها، والبحث عن السبب الذي حدا بظهور الصوت على شاكلة دون أُخرى، وجاء بعد سيبويه ابن جني وعقد بابًا في الخصائص سمّاه (باب في الجوار)[3]، وقسّمه على ضربين: أحدهما تجاور الألفاظ والآخر: تجاور الأحوال، وقسّم تجاور الألفاظ على ضربين أيضًا، أحدهما: في المنفصل والآخر في المتصل[4].

هذا يدل على فطنة سيبويه و إدراكه لهذه الظاهرة وتعليلها، وهو ترجيح عقلي يُضاف إلى سجل ترجيحات سيبويه العقلية وفكره الناضج.

٩-ظاهرة الردّ إلى الأصل:

ومن ذلك في حديثه على تصغير كلمة (فم، وماء) يقول سيبويه: ((ومن ذلك فَمٌ تقول: فُوَيْهٌ يدُلّك على أنّ الذي ذهب لام، وأنها الهاء قولهم: أفواه، وحذفت

---

(١) كتاب سيبويه : ٤/١٠٧ . ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٤/١٠٨ .

(٣) ينظر : الخصائص، ابن جني: ٣/٢١٢ . .

٤() ينظر: المصدر نفسه: ٣/٢١٢-٢١٤.

الميم ورَدَدْت الذي من الأصل، كما فعلت ذلك حين كسّرته للجمع، فقلت: أفْواه،ومثله مُوَيْه ردّوا الهاء كما ردّوا حين قالوا : مِياه وأمْواه)) [1]، وقد استدل سيبويه بالرجوع إلى الأصل في معرفة الحرف الزائد فذكر في ((باب علل ما تجعله زائدًا من حروف الزوائد وما تجعله من نفس الحرف))[2]، أنَّ الهمزة تجيء زائدة أولًا، واستدل على زيادتها ، أنها لا تثبت في المضارع ؛ فمثلًا الهمزة في (أكرم) لا تثبت في المضارع فلا تقول: (يُؤَكْرِم) وهي مثل الفعل (وعد) ومضارعه (يَوْعِد) على الأصل، حذفوا الواو وعوّضوا التاء في المصدر فقالوا : (يَعِد) في الفعل و(عِدَة) في المصدر، فكما ذهبت الواو في (يَوْعِد) وهي غير زائدة، فهي أجدر أن تذهب في (يُؤَكْرِم)؛ لأنها زائدة[3]، فالهمزة تلحق أولًا مع ثلاثة أحرف أصول فتكون مزيدة أبدًا[4]، وقد تتسع علة (الرد إلى الأصل) حتى تكون علة لازمة، فعندما يتحدّث سيبويه عن تصغير (بنات الحرفين)[5]، يعمِّم قاعدة تطّرد في كل ما كان على حرفين، قال: ((اعلم أنّ كل اسم كان على حرفين فحقّرته رددته إلى أصله حتى يصير على مثال فُعَيْل فتحقير ما كان على حرفين كتحقيره لو لم يذهب منه شيء وكان على ثلاثة، فلو لم

---

(1) كتاب سيبويه : ٤٥٣/٣ .

(2) المصدر نفسه: ٣٠٧/٤ .

(3) ينظر: المصدر نفسه : ٣٠٨/٤ .

(4) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه د. خديجة الحديثي ، مكتبة لبنان ، ناشرون، ط٣ ، ٢٠٠٣م : ٩٨.

(5) ينظر: كتاب سيبويه : ٤٤٩/٣ .

تَرُدُه لخرج عن مثال التحقير، وصار على أقلّ من مثال فُعَيْل)) [1]، فأوجب ردّ الحرف إلى أصله في كل الباب ؛ كي يستوفي بناء التصغير ولا يخرج عن مثال فُعَيْل؛ لأنه أقل الأبنية في التصغير، أما إذا كان في الكلمة ما يستوفي معه بناء التصغير حروفه ولم يخرج بسببه عن مثاله ، فلا يلزم الرد إلى الأصل ، وعقد سيبويه لهذا بابًا سمّاه: ((باب تحقير ما حذِف منه ولا يُردّ في التحقير ما حُذِف منه، من قبل أنّ ما بقي إذا حُقِّر يكون على مثال المُحقّر ولا يخرج من أمثلة التحقير))[2]، وضرب لذلك مثلًا بكلمة مَيْت وتصغيرها: مُيَيْت ، وإنما الأصل ميّت غير أنك حذفت العين، ومثله تصغير (هارٍ) تقول: (هُوَير) ، وإنما الأصل هائِر غير أنهم حذفوا الهمزة كما حذفوا ياء ميّت [3]، ووجه الحذف في (ميّت وهائر) أنه للتخفيف لا لعلة توجِب ذلك فلا داعي لأن تُردّ في التصغير إلى الأصل ، لأنّ ما بقي يستوفي بناء التصغير فهو على ثلاثة أحرف[4]، ومنع سيبويه تصغير(هار) على هويئر؛ بالرد إلى الأصل؛ لأنّ التصغير في هذه الحال سيكون على غير الأصل في بعض الأسماء، فكأنّ من حقّر (هارٍ) على (هُوَيْئر) كأنه صغر (هائِراً)

---

(1) كتاب سيبويه: ٤٤٩/٣ .

(2) المصدر نفسه : ٤٥٦/٣ .

(3) ينظر :المصدر نفسه : ٤٥٦/٣ .

(4) ينظر : كتاب سيبويه : ٤٥٧/٣ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه : ٩٣٢/٢ .

على الأصل كما أنّ من صغّر (رجلًا) على (رُوَيجِل) فكأنه صغّر (راجِلًا) والسبب وراء منع سيبويه لهذا الوجه هو مخالفة القياس[١].

لذا نحكم على معالجات سيبويه للمسائل الصوتية بقدرة عقلية كبيرة، كما أوضحنا، وكذلك في المسائل الصرفية لم يُغيِّب الموضوعية في ما أدلى به، وكثيرًا ما نجده يُورد استدلالات عقلية، بعيدة عن التعقيد ويعتمد على قواعد تصريفية تتأثر فيها الحروف بعضها ببعض، وللقارئ أن يتَلَمّس من هذا النص أسلوب سيبويه وفِكرِهِ وظهور المسحة التعليمية العلمية في كل مفصل من مفاصل النص، تقول د. خديجة الحديثي : ((فنحن نرى سيبويه يُعلل الأحكام بعّلة واحدة واضحة ولا تتركب العلل عنده، وليس في كتابه علّة إلا وتُبيّن حكمًا أصليًا يعلمنا كيف ننطق العبارات على الوجه الصحيح بحيث نفيد المعنى الصحيح الذي نقصده وليس فيه ما يُسمّى عند المتأخرين بالعلل الثواني أو الثوالث))[٢]، وليس أدل من ذلك على اعتماد سيبويه على القسمة العقلية في عرض المسائل والاستدلال عليها ولها.

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٥٧/٣ .

(٢) دراسات في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي ، وكالة المطبوعات، الكويت ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، د. ت: ١٩٣.

توطئة

التزام سيبويه الديني منذ بواكير حياته واضحٌ للعيان؛ لأنَّه ابتدأ تعلمه بطلب الحديث والفقه والعلوم الدينية[١]، قال البغدادي(٤٦٣هـ): ((كان سيبويه في أول أيامه يصحب الفقهاء وأهل الحديث))[٢]، وتشير الروايات إلى أنَّ سيبويه كان مستقيمًا في حياته ذاكرًا مسبحًا لله آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر[٣]، وأجْمَع اللغويون على سلامة عقيدة سيبويه الدينية، فقد كان فقيهًا عالمًا، وقد ورد أنَّ أبا بكر بن شُقَير(ت٣١٧) كان يقول: ((حدثني أبو جعفر الطبري(ت٣١٠) قال: سمعتُ الجَرْميَّ (ت٢٢٥) يقول: أنا مُذْ ثلاثون أُفتِي الناس في الفقه من كتاب سيبويه))[٤]، وسأتحدث عن المسائل العقدية الدينية التي أوردها سيبويه في كتابه والتي ذكرها عنه غيره، وجميعها تُثْبِت عقيدة سيبويه الدينية، وأنَّه وَظَّف تلك العقيدة في كتابه، و هذه الأدلة والمسائل العقدية في كتاب سيبويه هي انعكاس لما

١ () ينظر: طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢ :٦٦، وينظر: تاريخ بغداد، الحافظ أبو بكر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت : ٩٩/١٤.

٢ () تاريخ بغداد: ١٦/١٤.

٣ () ينظر: الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا و محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ : ٥٦٠/٨.

٤ () مجالس ثعلب: تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة(د-ت) :١٩١، والموافقات إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م: ١١٥/٤-١١٦.

يجول في فِكْرِهِ من عقيدة، و تنم عن شدة ارتباطه بهذه العقيدة، لذا أرتأيت أنْ يتم تقسيم هذا الفصل على مبحثين، جاء الأول بعنوان(الأدلة العقدية في كتاب سيبويه)، ثم تبعه المبحث الثاني وقد وسمته بـ(المسائل العقدية في كتاب سيبويه)،وسيأتي الحديث بالتفصيل عنهما إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

الأدلة العقدية في كتاب سيبويه

الأدلة العقدية في كتاب سيبويه ومنها:

أولًا: عبارات التعظيم والإجلال:

١-تكررت عند سيبويه عبارات التعظيم والإجلال كثيرًا للهِ تبارك وتعالى وذلك عند إيراده الشواهد القرآنية، فهو يبدأ حديثه عن كلام الله تعالى بهذه العبارات وهي تعدُّ مقدمات قبل البدء بالآية الكريمة، ومنها: **(قال جلَّ ثناؤه)**[١]، **(قال الله تعالى جده)**[٢]، **(قال عزّ وجل)**[٣]، **(قال الله تبارك وتعالى)**[٤]، ثم يبتدئ بعدها بالآية الكريمة كشاهد على مسألة من المسائل التي جادَ فيها[٥]،وذلك يدل على حسن خلقه و تأدبه عند ذكره كلام الله تعالى.

٢-كان سيبويه يَرْبط أغلب المسائل التي يريد الخوض فيها في الكتاب بمشيئة الله تعالى، فقد وردت عبارات منها **((إن شاء الله))**[٦]، **((والله أعلم))**[٧]، وعبارة **((والله تعالى أعلم))**[٨].

---

١ () ينظر: كتاب سيبويه: ١/١٥٠، ١/١٧٢، ٢/٤٨، ١/٢٣٧.

٢ () ينظر: المصدر نفسه :٢/٤٠، ١/١٤١، ٣/١٣٦، ٢/١٥٤.

٣ () ينظر: المصدر نفسه: ٣/١٠٨، ٢/١١٩، ٣/١٦١، ٣/١٥٢.

٤ () ينظر: المصدر نفسه: ١/٣٨١، ٣/١٣٣، ٣/١٥٣، ٤/٨١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/٨٩، ٢/٣٢٥، ٣/١٤٣، ١٢٢.

٦ () المصدر نفسه: ١/ ١٠٠، ٤/٢٣٦، ١/٥٣، ١/٣٦١، ١/٢١٥.

٧ () المصدر نفسه: ٣/١٠٨، ٣/٥٠، ٣/١٣٢، ٣/١٤٣.

٨ () المصدر نفسه: ٢/١٥٤، ١/٣٣١، ١/١٤٣.

((**وسنراه فيما يُستقبل إن شاء الله**))[1]، وهذا تطبيقٌ لقوله تعالى:﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2]، لذا انّ لهذه المرجعية مصاديق واضحة في فكره وكتابه، مما انعكس واتضح في أمثلته ومسائله النحوية .

ثانيًا: مقدمة كتاب سيبويه:

ينفي الدكتور شوقي ضيف وجود مقدّمة في كتاب سيبويه ويعلل ذلك بقوله:((وربّما أعجلته وفاته عن تسميته كما أعجلته عن وضع مقدّمة بين يديه وخاتمة ينتهي بها))[3]، ويذهب المذهب نفسه الدكتور خالد عبد الكريم جمعة بقوله: ((ترك لنا سيبويه الكتاب بدون مقدّمة يوضّح لنا فيها المنهج الذي اتّبعه في دراسة اللغة))[4]، وسوَّغ ذلك بقوله: ((ولا يجدر بنا أنْ نلوم سيبويه لأنّه لم يكتب مقدّمة لكتابه يبيّن فيها منهجه، فلم يكن من عادة علماء ذلك الزمان كتابة مثل تلك المقدّمات، فلكلّ عصر مناهجه، ولا يصحّ أنْ نطلق مقاييس عصرنا على عصر

---

١ () كتاب سيبويه: ١٢٨/٢، ٩٨/٣، ٢١٥/١، ٢٩٧/١.

٢ () سورة الكهف: من آية ٢٣ إلى ٢٤.

(٣) المدارس النحوية: ٦٠ .

(٤) شواهد الشعر في كتاب سيبويه، د. خالد عبد الكريم جمعة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط٣، ٢٠٠٥م: ٤٧ .

سيبويه، فكتابة المقدّمات مسألة استجدّت بعد عصر سيبويه، ولم تكن معروفة في زمانه))[1]، ويرى آخرون أنّ للكتاب مقدّمة؛ فـ((يبدأ الكتاب بمقدّمة يتناول سيبويه فيها الحديث عن أقسام الكلم وحركات الإعراب والبناء أو مجاري أواخر الكلم، وعن المسند والمسند إليه، وعمّا يقع بين الكلمات من اختلاف اللفظ واتفاق في المعنى أو اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى، أو اختلاف فيهما جميعا، وعمّا يعتري اللفظ من أسباب الذكر والحذف، وما يلحق بالمعنى من حسن أو قبح، واستقامة أو إحالة ... وتمتدّ هذه المقدّمة حتى الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل وهو أوّل أبواب النحو في الكتاب))[2]، وأقرّت الدكتورة خديجة الحديثيّ بعدم وجود مقدّمة في كتاب سيبويه بقولها: ((وإنّ خلوّ الكتاب من مقدّمة يشرح فيها سبب التأليف أو زمانه أو مصادره أو سبب اتّباعه هذا المنهج في التأليف، ومن خاتمة يبيّن فيها نتائج بحثه لا يعني خلوّه من منهج

(١)شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٤٧ .

(٢)الرمّانيّ النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ، الدكتور مازن المبارك ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٣م :١١٠.

منظم جارٍ على أسلوب منطقيّ))[1]،أمّا الدكتور عبد الرحمن السّيّد فإنّه يقول: ((وكتاب سيبويه مقسّم إلى جزأين، يبدأ الجزء الأوّل بما يشبه أنْ يكون مقدّمة للنحو أو تمهيدًا له))[2]، لذا إنّ سيبويه لمّا وضع كتابه كان واعيًا تمام الوعي لما كتبه، وهو الباحث والجامع لأكثر من ألف ورقة، درسها ورتّبها، ووعى ما فيها فأحسن أداءها وإخراجها، لذلك تذهب الباحثة مع ما التفت إليه الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة من دلالة عقدية فريدة عند سيبويه في كتابه، وهي عدم ابتداء سيبويه كتابه–على عظمته– بخطبة يتحدث فيها عن جهوده، كما هو شأن المؤلفات الأُخر، وإنّما بدأهُ بالبسملة، ثم دخل إلى الموضوع، إنما كان لتواضعه[3]، والتواضع هو بلا شك من سمة العلماء المخلصين، لذلك أُرجح أن تكون البسملة العظيمة هي الكافية الشافية عن المقدمات كافة، فقد تصدرت سور القرآن الكريم، ومن هنا تتجلى عظمتها.

١() المدارس النحوية، الدكتورة خديجة الحديثي: ١٠٤ .

٢() مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٨: ٥٣٩.

٣ () ينظر: فهارس كتاب سيبويه : محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الاولى، ١٣٩٥هـ: ١١.

ثالثًا: كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة

يُعدُّ القرآن الكريم المصدر الأهم للغة العربية، فالنّص القرآني هو أفصح منطوق، و أوثق منقول، لذا فقد عَوَّل عليه سيبويه كثيراً في إقامة صرحه العلمي وعرض فلسفته اللغوية و الدينية المحكمة، فهو كان حافظًا، مستظهراً لكتاب الله لذلك قَلَّ أن تجده يتحدث عن مسألة ولا يستشهد لها بآية قرآنية أو أكثر، حتى يخيل لنا أنَّه عندما يتناول القضايا النحوية قد وضع المصحف بين يديه، ونجد عبارة **((ومثل ذلك كثيرٌ في القرآن))**[١]، تكررت في الكتاب، ويوردها بعدما يسوق عددًا من الآيات القرآنية بوصفها شاهدًا على مسألة من مسائله النحوية التي يتحدث عنها[٢]، وقد بلغت الآيات القرآنية حسب إحصاء الدكتور سليمان خاطر أربعمئة وسبعة وسبعين آية[٣]، وقد أحصيتها في كتاب سيبويه مع المكرر منها فوجدتها (خمسمئة و أحدى عشرة) آية، والذي دفع سيبويه إلى الإكثار من الاستشهاد بالآيات القرآنية هو إخلاصه وحرصه على بناء القواعد على أصلها

١ () كتاب سيبويه، ١٤٣/٣، ٨٩/١، ١٦٢/٣.

٢ () ينظر: المصدر نفسه: ٨٩/١، ٣٩/٢، ٣٢٥، ١٤٣/٣، ١٦٢، ١٨٨.

٣ () ينظر: التوجيه النحوي لوجوه القراءات القرآنية المشكلة في كتاب سيبويه: الدكتور سليمان خاطر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ: ١٠١، وذكر الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في كتابه، فهارس كتاب سيبويه : ٧٣٧، أنَّها زادت على ثلاثمئة وتسعين شاهداً.

الأول، وهو بهذا العمل يتقرب إلى الله عز وجل بخدمة كتابه، ثُمَّ يورد الآية القرآنية بتَصدّر عبارات الإجلال والتعظيم والتنزيه وغيرها من العبارات التي ذكرتها، وسنتحدث عن المسائل العقدية التي يتضح فيها البعد الديني عند تحليله للنصوص القرآنية بشكل مفصل إن شاء الله تعالى.

رابعًا: استشهاده بالقراءات القرآنية وعدم تخطئتها:

حظيت القراءات القرآنية باهتمام سيبويه، فقد استشهد بها في مواضع متعددة من كتابه، فمرةً نَجدُهُ يثبت بها قاعدة، ومرةً يُؤيدُ بها، وثالثة يقيس عليها، ورابعة يجعلها أصلًا يُخرَّج عليه بعض القراءات، وخامسة يقوي بها شاهدًا شعريًا وسادسة يحملها على بعض أقوال العرب، وسابعة يوردها مثالًا في زحمة الأمثلة، وأكثر القراءات التي أوردها في كتابه، كانت تعني لديه القبول والاحترام، متيقنًا من أنَّها تختلف عن القرآن والاختلاف فيها يرجع إلى لهجة القارئ، أو المعنى الذي يتحصل منها[1]، فهو يؤمن بأنَّ القراءات متواترة عن الصحابة و إن اختلفوا بالنقل عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله)، وقد يكون هذا السبب وراء أخذ سيبويه بالقراءات جميعها من دون تخطئة لها، وهذا ما أكَّدهُ الدكتور (شوقي ضيف) فقد ذكر أنَّ القارئ لكتاب سِيْبَوَيْه لا يجدُ تَخطئةً واحدةً لقراءة من القراءات مع كثرة ما استشهد منها، بل إنَّ سِيْبَوَيْه قد صرَّح بقَبولها جميعًا مهما كانت شاذَّة عن

(١) يُنظر: القراءات الشّاذة وتوجهها النَّحوي : د. محمود أحمد الصغير دار الفكر المعاصر ، بيروت–لبنان ، ط١، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ : ١١٣ .

مقاييسه؛ إذ قال سِيْبَوَيْه : (القراءة لا تُخالَف؛ لأنَّها سُنة)[1]، فنجده في مواضع معينة يستدل بالقياس وبكلام العرب على قوة القراءة، ولا يفوته عند الاحتجاج للقراءة أن يعرضها على قراءة المصحف، ليبين الفرق بين القراءتين في التركيب ثم يعرض كلتا القراءتين على القياس، وعلى كلام العرب، فإن وافقت القراءة القياس وخالفت كلام العرب حملها على القياس، وإن خالفت القياس ووافقت كلام العرب حملها على كلام العرب، فإن خالفت القراءة القياس وكلام العرب بيّن ذلك دون أن يطعن في القراءة أو القارئ، وتؤكد الدكتورة خديجة الحديثي على هذا الأمر في قولها: ((إن خالفت القراءة القياس المشهور في لغة العرب لا يردها، ولا يخطِّئُها أو يعيبها، أو ينكرها، وإنما يحملها على ما ورد من عبارات وشواهد عن العرب خالفت فيها القياس المشهور، أو يشبه هذه الشواهد بالقراءة، ويحملها عليها، ويرى أنه مما يسمع ولا يقاس عليها))[2]، ولجوء سيبويه إلى الاستشهاد بالقراءات واعتماده عليها، لا يخلو من الجنبة الدينية ومن مصاديق عدم تخطئة سيبويه للقراءات قوله تعالى عزَّ وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[3] ، وقوله تعالى:

(١) كتاب سيبويه : ١٤٨/١، و ينظر: المدارس النحوية: د. شوقي ضيف: ١٥٧.

٢ () دراسات في كتاب سيبويه : ٤٢ .

3 () سورة القمر: ٤٩.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ﴾[2]، وسنتحدث عن الآيتين مفصلاً في المبحث الثاني.

خامسًا: عدم نسبة الأحاديث النبوية الشريفة إلى الرسول

يأتي الحديث الشريف بعد القرآن الكريم من حيث اهتمام العلماء به، فقد أَلّف فيه العلماء الكثير من الكتب، وقاموا باستقصاء الألفاظ الغريبة فيه وشرح وبيان ما فيه من مشكلات نحوية، فهذه المسألة أُشبعت دراسة وبحثًا[3]، وأغلب النحاة ذهبوا إلى أنَّ سيبويه لم يستشهد بالحديث النبوي الشريف، وهذا ما أكَّدهُ أبو حيان (ت٧٤٥هـ)عندما نَصّ على أنَّ سيبويه وغيره من النحويين المتقدمين لم يستدل بما وقع في الأحاديث النبوية على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب[4]، وهذا ما أكَّده الدكتور عبد الله النغيمشي فقال:((فأنَّ ما ذكره أبو حيان من عدم استشهاد سيبويه بالأحاديث النبوية على إثبات القواعد صحيح، وإن وجِدَت بعض الأحاديث النبوية في كتاب سيبويه، لأن سيبويه ذكرها ولم يعزها إلى النبي محمد

---

١ () سورة المسد:٤.

٢ () سورة البقرة من آية ٢٨٢.

٣ () ينظر: دراسات في كتاب سيبويه، د-خديجة الحديثي ٤٨-٦٨.

٤ () ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الاندلسي، تحقيق: دكتور حسن هنداوي، ط١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٣٠/٨، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين محمد بن يوسف ، تحقيق: دكتور علي فاخر، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م: ٤٤٠٨/٩.

–صلى الله عليه [وآله][1]))[٢]، ويرى الدكتور سعدون أحمد الرَّبَعِيّ أنَّ أوَّل من جَرَّأ النُّحاة على العزوف عن الاحتجاج بالحديث النَّبويّ هو إمام النُّحاة سيبويه الذي لم ينسب – في كتابِه– حديثًا واحدًا إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلَّم)، إنمَّا اكتفى بالقولِ: وعن بعضِهم، أو قال: بعض العرب[٣]، وأرى أنَّ الذي منع سيبويه من نسبة الحديث إلى النبي–صلى الله عليه وآله–، هو خوفه من الوقوع في الخطأ، والكذب على رسول الله –صلى الله عليه و آله– فقد ورد عن الرسول الأكرم –صلى الله عليه و آله– أنّه قال: ((مَنْ كَذَبَ عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار))[٤]، لذا كان الورع والدين والخشية من الوقوع من الخطأ، هو السبب وراء عدم الاستشهاد بالحديث، وهو مصيب في ذلك، من وجهتين: الوجهة الأولى كما أسلفنا هو خوفه من أنْ يَنْسِب إلى الرسول الكريم ما لم يقله، والوجهة الثانية: أمانته العلمية هي المانع من أن يُثْبِتْ في كتابه أحاديث كاذبة عن النبي(صلى الله عليه وآله) فبعض الأحاديث المروية ضعيفة السند، وبعضها موضوع ومنها

---

1 () ما بين المعقوفتين ليس من النص.

٢ () البعد الديني عند سيبويه، مظاهره وأثره : د– عبد الله النغيمشي، جامعة القصيم، قسم اللغة العربية وآدابها، المملكة العربية السعودية (بحث): ١٠.

(٣) يُنظر: سيبويه أوَّل من جرَّأ النَّحويين على العزوف عن الاحتجاج بالحديث النَّبويّ، د. سعدون أحمد علي الرَّبَعِيّ، بحث منشور في مجلّة العميد، العدد الخامس ، ربيع الثاني ١٤٣٤هـ–٢٠١٣م: ٣٦٣–٣٦٤.

٤() صحيح مسلم: ٣/٢.

صحيح السند لكنه جاء بأكثر من رواية و أكثر من لفظ، فنجد أحيانًا الحديث الواحد مخرج في الصحيحين أو أحدهما بروايتين مختلفتين إحداهما فيها شاهد والأُخرى لا شاهد فيها[1]، ويمكن أن نلتمس لسيبويه سببًا آخر يُزاد على ما سبق ذكره، وهو قلة الكتب المؤلفة في الحديث الشريف في عصر سيبويه حتى يعتمد عليها ولا يقع في الخطأ، فالمتتبع لكتب الحديث المشهورة يجد أن أول كتاب من كتب الحديث هو ((الموطأ)) لمالك بن أنس(ت١٧٩هـ)، وسيبويه فهما متعاصران، وربما لم يصل كتاب الموطأ إلى سيبويه، وبعدها ألّف الدارمي(ت٢٥٥هـ) سنن

(١) فمثلاً: روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال يوم أُحد لما قال أبو سفيان بن حرب: أُعْلُ هُبَلُ، قال (صلى الله عليه و آله): ((أَلَا تُجِيبُوهُ؟ فَقَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ما نقول؟ قَالَ: قولوا: الله أَعلى و أجل)) ولما قال أبو سفيان: إن لنا العزَّى ولا عزَّى لكم، قال: رسول الله أَلَا تُجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قَالَ: قولوا: اللهُ مَوْلانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ، فهذا الحديث بلفظ((ألا تُجِيْبُوه))، رواه البخاري (صحيح البخاري٤/٢٧) والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٥٢)، والبيهقي في دلائل النبوة(٣/٢٣٠)، وروي الحديث بلفظ ((ألا تُجيبونه)) ولا شاهد فيه في نسخة صحيح البخاري التي عليها فتح الباري، ومسند الإمام أحمد، وشرح السنة للإمام البغوي، وروي بلفظ (أجيبوه) في صحيح البخاري، والسنن الكبرى للنسائي.

وفي مثال آخر قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجَّنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا...)) الحديث بهذه الرواية في سنن أبي داود(٤/٥١٦)، وسنن الترمذي (٥/٥٢)، واستشهد ابن مالك بهذه الرواية والتي قبلها على جواز حذف علامة الإعراب دون سبب في شواهد التوضيح والتصحيح(حذف نون الرفع في الفعل تخفيفاً، ص:٢٢٩)، وشرح الكافية الشافية ابن مالك جمال الدين، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٢٠١٠م:(١/٢١٠)، وروي الحديث بلفظ(لا تدخلون) و(لا تؤمنوا)، والشاهد في اللفظ الثاني فقط، في صحيح مسلم(١/٥٣)، وروي بلفظ(لا تدخلون١٦/٢٦٩) في مسند الإمام أحمد، ولا شاهد فيه حينئذ.

الـدارمي، و صـحيح البخـاري للبخـاري(ت٢٥٦هـ)،وصـحيح مسـلم لمسـلم بـن الحجاج(ت٢٦١هـ)، وسنن ابن ماجة لابن ماجة(ت٢٧٣هـ)، وسنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث(ت٢٧٥هـ)، وسنن الترمذي للترمذي(ت٢٧٩هـ)، وسنن النسائي للنسائي(ت٣٠٣هـ) وكذلك الكتب الحديثية الأربعة للطائفة الإمامية وهي: كتاب الكافي للكليني(٣٢٩هـ)، وكتاب مَنْ لا يحضره الفقيه للصدوق(ت٣٨١هـ)، وكتابا التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)، يُلاحظ أنَّ أكثر هذه المؤلفات أُلِّفَت بعد وفاة سيبويه، ونجد أَنّ أبا عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ) وهو من علماء البصرة بالحديث، أحرق كتبه خوفًا وخشيَّة من الله تعالى ويقال إنّه دفنها في الأرض[١]، و رَصد بعض الباحثين مجموعة من الأحاديث النبوية التي استشهد بها سيبويه في كتابه دون أن يُصرِّح بنسبتها إلى الرسول –صلى الله عليه و آله– [٢]، وتابعت الباحثة هذه المرويات فوجدتها مثبتة في كتابه، ومنها قوله: ((و أمّا قولهم: كل مولود يولدُ على الفِطرة حتى يكون أبواهُ هُما اللذان يُهودانه ويُنصِّرانه))[٣]، معناه أنّهما يُعلّمانِهِ دين اليهودية والنصارى ويُدخلانه فيه[١].

(١) سير أعلام النبلاء: شمس الدين بن أحمد الذهبي، دار الفكر، بيروت، (د–ت) :٤٠٧/٦.

٢ () ينظر: أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، تح: محمد ابراهيم البنا، مطبعة السعادة: ١٠٧، وارتكاز الفكر النحوي على الحديث والأثر في كتاب سيبويه: د–محمود فجال، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ: ٦٣.

(٣) كتاب سيبويه: ٣٩٣/٢، والحديث بنحوه أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين:٣٧٩/٣ ، رقم (١٣٨٥)، صحيح البخاري، للبخاري، ومسلم في

وفي حديث آخر ذكره بصدد إثبات بأنّه من كلام العرب ولم يَعْزه إلى النبي(صلى الله عليه وآله) أيضاً قوله: ((ومن العرب من يَرفع فيقولُ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الملائكة والرُّوح))[٢]، وهذا يؤكد شدَّة ورعهِ وسلامة عقيدته.

سادسًا: أمانته العلمية وإخلاصه في عمله:

أجمع القدماء على أنَّ سيبويه ثقة حافظ[٣]، مُوثّق أميَن صادق بما يرويه مما كان يدور في مجالس العلم، وهذه الأمانة جعلته لا يروي إلّا عن الشخوص الموثوقة[٤]، وقد أثنى الشاطبي على سيبويه قائلاً: ((كان سيبويه "رحمه الله" ثقة ثبتًا فيما ينقله، محققًا في علمه، لم يَرَ في زمانه مثله فهمًا لكلام العرب، وشرحًا

صحيحه، كتاب القدر، باب: كل مولود يولد على الفطرة وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٥٢/٨، رقم (٢٦٥٨) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج.

(١) ينظر: إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تح: د-زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٨م:١٠٢/٤، ولسان العرب، لابن منظور، ٤٣٩/٣ (هود)، وتاج العروس، للزَّبيدي، ٣٥٤/٩، (هود)، وفهارس كتاب سيبويه، لمحمد عبد الخالق عضيمة: ٧٦٢، والحديث النبوي في النحو العربي، للدكتور محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ١٠٩.

٢ () كتاب سيبويه: ٣٢٧/١، وينظر: أمثلة أُخرى: ٣٩٣/٢، ٣٢/ ٢٦٨، ٢٣٧. روته عائشة أن النبي صلى الله عليه و[آله] كان يقول في ركوعه وسجوده(سبوح قدوس رب الملائكة والروح) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٥٣/١.

٣ () ينظر: خزانة الأدب: ١٦٩/٨. وشرح التسهيل: محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١: ٨١/٣، البسيط في شرح جمل الزجاجي، ابن أبي الربيع القرشي، تحقيق: دكتور: عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م: ١٠٥٩/٢.

٤ () ينظر: البسيط في شرح جمل الزجاج: ١٠٥٩/٢.

لمقاصده، وهو أثبت مَنْ أخذ عن الخليل))[1]، لهذا نجد عبارة (وهو أحد من روى عنهم سيبويه)، شائعة في كتب التراجم[2]، وهي كافية عند العلماء في الحكم على أمانة الشخص المُتحدَّث عنه، وهذا يدلَّ على أنَّ العلماء لم يكتفوا بتوثيق سيبويه فحسب بل وثقوا بِمَنْ رَوَى عنهم، ، ويقول الدكتور خالد عبد الكريم جمعة: ((وكان سيبويه مثل أكثر علمائنا القدماء، رحمهم الله، ثقة مأمونًا على ما يرويه، وكانت شواهده أصحّ الشواهد وكان حريصًا على صحّة مروياته، دقيقًا في الأخذ عن شيوخه))[3]، لذلك فمصادر شواهد كتاب سيبويه موثوق بها، والاستشهاد بها مسلَّم من الجمّاء الغفير للنحاة، وهم يرونها أصحّ الشواهد؛ لذا فقد أجمع العلماء والباحثون قديمًا وحديثًا على الإشادة بسيبويه وبكتابه[4]، وبذلك نال الكتاب من الحظوة والقبول والبقاء ما لم يَنَلْه كتاب نحوي قط، على الرغم من تأليف مئات الكتب النحوية بعده، فالأمانة العلمية هي من الصفات الحسنة التي لا تتمثل إلّا لصاحب العقيدة الراسخة والإيمان الثابت، وقيل لمّا شكَّ أبو زيد الأنصاري في بعض معلومات الكتاب المنقولة، قال له الجرمي: قد روى عنك شيئًا كثيرًا فهل

---

١ () المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق الشاطبي، منشورات جامعة ام القرى، ط١، ٢٠٠٧م : ٤٤٣/٥.

٢ () البعد الديني عند سيبويه: د. عبدالله النغيمشي: ٧.

٣ () شواهد الشعر في كتاب سيبويه، د-خالد عبد الكريم جمعة : ٣١٢ .

٤ () ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٣-٦٤، و إنباه الرواة، أبو الحسن القفطي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ. ٣٤٦/٢-٣٦٠.

صدق فيه؟ قال: نعم، فقال له الجرمي: إذن فَصدِّقْهُ فيما يروي عن غيرك[١]، وهذا ما لمسناه في شخصية هذا العالم الجليل من أمانة علمية، وهي بلا شك تدل على التزامه الديني وإخلاصه لله عز وجل، ولعل هذا مَرَدُّه إلى إخلاص سيبويه في عمله الذي قام به، وهذا الإخلاص نابع من تدينه، فهو لم يؤلف كتابه رياءً ولا سمعة، ولا بهدف التّكسُّب، وإنَّما كان يبتغي خدمة كتاب الله عز وجل، والحفاظ عليه من اللحن، ومن ثم التقرب من الله بالنية الطيبة، كما وصفها الدكتور عبد الله النغيمشي[٢]، و((سيبقى هذا الكتاب عملًا صالحًا، وذكرًا باقيًا، ومنارًا هاديًا، ما بقي نحو يُدَرَّس على وجه الأرض))[٣].

سابعًا: اعتماد علماء الفقه والأُصول على آرائه:

رجَع أغلب علماء الفقه والأُصول إلى آراء سيبويه فِي كثير من المسائل الخلافية، ومن ذلك ما قاله السُّبكي(ت ٧٧١هـ):((إذا اعترض شرط على آخر نحو: إنْ أكلتِ إنْ شربتِ فأنتِ طالق، فالجواب المذكور للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، هذا مذهب سيبويه وعليه مذهب شيخنا أبي حيان والشيخ الإمام

١ () ينظر: مقدمة كتاب سيبويه: ٢٨/١.

٢ () ينظر: البعد الديني عند سيبويه: د-عبد الله النغيمشي : ١.

٣ () ينظر: المصدر نفسه: ٢٦.

الوالد رحمه الله))[1]، ويقولُ أيضاً: ((والأصل في هذه القاعدة قولُ أستاذ الصناعة سيبويه رحمه الله في: مررتُ بزيدٍ وعمرو، أنّه مرور واحد، وفي مررت بزيدٍ وبعمرو إنّه مروران))[2]، ومنه قول الجويني(ت ٤٧٨هـ): ((فالمختار إذاً في قوله و أرجُلكُم ما ذكره متبوع الجماعة وسيد الصناعة سيبويه))[3].

وأكَّد الشَّوكاني ذلك (ت١٢٥٠هـ) بعد عرضه لخلافٍ حولَ إحدى المسائل قائلاً: ((الخلاف في الواو؛ هل هي لمطلق الجمع، أو للترتيب؟ فذهب إلى الأول جمهور النحاة، والأُصوليون، والفقهاء[...] وقال أبو علي الفارسي: أجمع نحاة البصرة، والكوفة، على أنها للجمع المطلق، وذكر سيبويه في سبعة عشر موضعًا من كتابه أَنَّها للجمعِ اَلْمُطلقِ، وهو الحق))[4]، ويقول الشوكاني أيضاً:((أقل الجَمع ثلاثةٌ، وبه قال الجُمهور، وحكاه ابن الدَّهان النحوي عن جمهورِ النحاة، وقال ابن خرَّوف في شرح كتاب سيبويه أنّه مذهب سيبويه، وهذا هو القول الحق

(١) الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١م: ٢/٢٥٥.

(٢) الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي: ٢/٣٧١.

٣:) البرهان في أصول الفقه، للجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م١/٣٢٨، وينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ: ٢/٣٦٩.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م: ١/٨٠.

الذي عليه أهل اللّغَة والشَّرع))[1].ومن ذلك ما قاله الشوكاني أيضاً:((والمشهور في علم النحو الخلاف بين سيبويه والمبرد، فسيبويه قال: إنّ العموم مُستفاد من النفي قبل دخول (مِنْ)، والمبرد قال: إنّه مُستفاد من لفظ (مِنْ) والحق ما قاله سيبويه))[٢]،

وقال أبو حيان فِي البحر المحيط في معرض ثنائِه على سيبويه رحمه الله((فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وتَرقَّت إلى التَّحْقِيق فيه التحرير أن يعتكف على كتاب سيبويه؛ فهو فِي هذا الفن المُعوَّل والمُستند في حل المشكلات إليه))[3].فهذه الأمثلة التي عرضناها من آراء بعض العُلماءِ، هي خير دليل على رجوع أهل الفقه والتفسير إلى كتابةٍ في مسائل عدة.

خلاصة القول عند جمهور علماء العقيدة والفقه أنَّ:((كتاب سيبويه في العربية لم يصنف بعدهُ مِثلهُ))[٤]، وأنَّ ((سيبويه الذي ليس في العالم مثل كتابه، وفيه حكمة لسان العرب))[٥]، وما سبق غيض من فيض عن مكانة سيبويه وكتابه بين علماء العلوم اللغوية العربية والعلوم الشرعية ورجالاتها.

---

(1) إرشاد الفحول، للشوكاني: ٣١٢/١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٠/١.

(3) تفسير البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي: ١٠١/١.

(٤) مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ١٥/١٦.

(٥)المصدر نفسه: ٣٧٠/١١.

المبحث الثاني

المسائل العقدية في كتاب سيبويه

المسألة الاولى: لَفْظُ الجَلالَةِ (الله) أعرفُ اَلْمَعَارِفِ:

لفظ الجلالة (الله) اسم من أسماء الخالق عزَّ وجل، وهو أعظم أسمائه سبحانه، يرى كثير مِنْ علماء العقيدة أنَّ اسم الجلالة ((الله)) هو علمٌ دال على الذات الواجب الوجود، المُستَحق لجَمِيع المحامد وهو أشهر أسمائه تعالى وقيلَ: إِنَّهُ اسم الله الأعظمُ الذي إذا سُئِل به أَعطى، وإذا دُعيَ به أجاب، ولذا أمْسَك الله تعالى عنه الألسُن فَلم يَتَسمَّ به أحد، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[1]، بمعنى هل تعلم أحدًا من المخلوقات سُمِّيَ الله ؟ والاستفهام هنا بمعنى النَّفي، أي: لم يتسمَّ به غيره[2]. وإذا كان النحويون قد اختلفوا في المعارف أيُّها أعْرَف[3]، فأنَّهم

---

١ () سورة مريم من آية: ٦٥.

(2) ينظر: نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، للدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م: ١٦٨/١ (٤٧/٦/ح:٢٩٣٦٦)، ونزهة المجالس ومنتخب النفائس، للصفوري، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة – بيروت ، دار آية – دمشق ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م: ٣٠/١.

٣ () ذهب الجمهور إلى أنَّ المضمر هو أعرف المعارف، ثُمَّ الاسم العلم، ثم الاسم المبهم، ثُم ما فيه الألف واللام، وأعرف الضمائر ضمير المتكلم، لأنَّه لا يشاركه فيه أحد غيره، ينظر: الأصول: ٣١٣/٢، والإنصاف: ٢/ ٥٨١وشرح المفصل: ٣٤٩/٣.

اتفقوا على أن لفظ الجلالة(الله) أعرف المعارف[١]، لتميز الاسم وظهوره، فلا يُحتمل إلَّا لله عز وجل، ومَنْ يطَّلع على آراء علماء العقيدة والفقه فِي جُلِّ مؤلفاتهم يَجد أَنهم يهتمون بمسائل شتَّى تدورُ حولَ لفظ الجلالة (الله)، وفي كثيرٍ من هذه المسائِلِ علَى الرغم مِنْ اختلافهم في بعضها نجدهم يركنون إلى رأي سيبويه في كون لفظ الجلالة (الله) أعرف المعارف[2]، وإن كان سيبويه لم يتعرض في كتابه إلى مسألة تعريف لفظ الجلالة بصورة صريحة ولكنه تحدث عن المعارف، وشرح معنى التعريف فيها[٣]، وتحدث عن لفظ الجلالة فذكر أنّ له خصائص ليست لغيره قال: ((قد صرفوا هذا الاسم على وجوه لكثرته في كلامهم، و لأن له حالًا ليست لغيره))[٤]، لذلك تجدر الإشارة إلى عدم وجود المقولة المنقولة عن سيبويه في كتابه المطبوع، و قد يكون ذكرها في غير الكتاب، أو في نسخ أُخرى من الكتابِ، لأنَّ اللفظ العظيم (الله) عز وجل هو أعرف المعارف، وهو أمر بدهي ومستقر في عقيدة سيبويه، و عقيدة كل مسلم، بهذه الالتفاتة المبهرة التي تنم عن عقيدة سيبويه، صَرَفَ الأنظار لها، في سابقة نحوية فريدة، جعلت النحاة المتأخرين من بعده يتنبهون لهذه المسألة، سائرين على ما

١ () ينظر: حاشية الصبان:١٥٩/١، همع الهوامع: ١٩١/١.

(2) ينظر: معنى لا إله إلا الله، للزركشي: تحقيق: علي محيي الدين، دار الاعتصام، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ :١٠٦/١

٣ () ينظر: كتاب سيبويه: ٦/٢-٨، ٤١٣.

٤ () المصدر نفسه: ١٩٦/٢-٠١٩٧.

انتهجه سيبويه، ومن هؤلاء الزركشي(ت٧٩٤هـ) في كتابه (معنى لا اله إلَّا الله)[١]، وروي أنّ سيبويه رُئي في المنام، فقيل له: ما حالك عند الله؟ فقال: قد غَفَر لِي، وأدخلني الجنة، لأني جَعلتُ أعرف المعارف(الله)[2]، وهذه الرؤيا حكاها الرعيني المالكي(ت٩٥٤هـ) عن ابن جني، وقال:((وحكى ابن جني أن سيبويه رُئي بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيرًا وذكر كرامةً عظيمةً، فقيل له: بم؟ فقال: لقولي: إن اسم الله أعرف المعارف))[٣].

المسألة الثانية: (في أصل لفظ الجلالة "الله").

أُخْتلف في أَصل اسم لفظ الجلالة (الله) بينَ أَصْحَابِ اللغة، فمنهم من قال إنّه اسم مشتق، ومنهم من قال إنّه اسم جامد[4]، أمّا سيبويه فذهب إلى أنَّه اسم مشتق وأصله ((إلهُ))، مثل فِعَالٍ فأدخل الألف واللام ومثل الناس أصله أُناس[٥] وقال غيره: أصله في الكلام (إِلَهٌ) وهو مشتق من أَلَهَ الرجل يَأْلَهُ إليه؛ إذا فزع

---

١ () ينظر: المصدر نفسه :٦.

(2) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٩٩٨م، ط١: ١٣٨/١، و معنى لا اله إلَّا الله: الزركشي:١٠٦.

(٣)مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الحطاب الرعيني)، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ١١/١.

(4) ينظر: كتاب سيبويه: ١٩٥/٢ و تفسير ابن كثير: ٢٩/١، وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسى، ٢/١، والجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي ٣٣/١،والخصائص، ابن جني ١٥٠/٣.

٥ () ينظر: كتاب سيبويه: ١٩٥/٢.

إليه من أمر نزل به، فَآلَهَهُ؛ أَيْ: أَجارَه و آمنه، فَسُميّ إِلاهًا، كما يسمى الرجل إمامًا إذا أَمَّ الناس فأتموا به، ثم إنّه لما كان اسمًا لعظيم ليس كمثله شيء، أرادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الألف واللام، لأنّهم أفردوه بهذا الاسم دون غيره فقالوا:الإِلَهُ، واستثقلوا الهمزة، لأنَّ لها في وسط الكلام ضغطة شديدة فحذفوها فصار الاسم كما نزل به القرآن، وقيل: أصلُهُ الإلهُ، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية، وعلى هذا فالصَّحيحُ أنه مشتق مِنْ أَلِه[1]، وتابع ابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) سيبويه في قوله[2]، وجاء بعده ابن القِّيم(ت٧٥١) ذاهبًا إلى الرأي نفسه[3]، وتجدر الإشارة إلى أنّ الاشتقاق هنا هو الاشتقاق المجازي، وهو ملاحظة المعاني وتقاربها لا الحقيقي؛ لِمَا فيه من الإيهام وهو أَسبقيَّة المُشتقِّ مِنْهُ عَلَى المشتق، و أسماء الله كلُّها قديمةٌ، وقالوا: إِنَّ اسْمهُ تعالى (الله)، دالٌ على صفة له سبحانه وهي الإلهية أو الالوهية كسائر أسمائه الحُسنى، كالعليم والقدير والسميع والبصير، ونحو ذلك، فإِنَّ هَذِه الأَسْماءَ مُشتقة مِنْ مصادرها، وهي قديمة.

(١) ينظر: الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١:١/٥٨، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م: ١/٥٦.
وتفسير ابن كثير (١/٢٩).

٢ () ينظر: جامع البيان، الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (د-ت): ١/١٢٥.

٣ () ينظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزي، ضبطه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢٠هـ: ٢/٤٧٣ ،وما بعدها.

وهم لا يعنُونَ بالاشْتقاقِ إلَّا الملاقاة التامة للمصدرِ فِي اللفظ والمعنى[1]، ويؤكد ابن جرير الطبري في تفسيره أصل الاشتقاق فذكر بأنَّ تَأويل (الله) فإنّه على معنى ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قالَ: هُو الذي يَأْلَهَهُ كُلُّ شَيءٍ وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ، وقالَ: (الله) ذُو الأُلوهية والعُبودية عَلَى خَلْقِه أَجمعين[2]، ومع تعدد الأقوال الواردة في الاشْتقاقِ من أَلِه ووَلِهَ، ولاهَ؛ فإنَّ حُجُجَ الاشْتقاقِ لِهذَا الاسْمِ العَظيمِ (الله) ثلاثة:

الأولى: كونه صفة في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[3]، وما دام صفةً فقد امتنع أن يكون اسم علم.

الثانية: إنَّ العلم قائم مقام الإشارة، ولمّا كانت الإشارة ممتنعة في حق الله تعالى كان اسم العلم ممتنعًا في حقه.

الثالثة: اسم العلم، إنما يُصار إليه، ليتميز شخص من شخص آخر يشبهه وهذا ممتنع أيضًا في حق الله تعالى؛ لأنَّ الأعلام إنما وضعت للفصل بين ما تشابه

---

١ () ينظر: الأسماء والصفات، البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي جدة، ط١: ٥٨/١، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ٢٠٠٣م: ١١/١، وتفسير الخازن، للخازن ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩: ١٧/١.

٢ () ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ١٢٢/١-١٢٣.

٣ () سورة الأنعام من آية ٣.

ويشتبه، لذلك امتنع أن يكون الله تعالى اسم علم لاستحالة الشبيه والنظير له تعالى[1]:

ومهما اختلف العلماء بينهم في الاشتقاق من عدمه، فجميع من في الأرض يعلمون أن (الله) تبارك وتعالى، اسم لرب العالمين، وهو رب كل شيء ومليكه وهذا ما نجده في فِكر سيبويه، قار في عقيدته، فهو يؤمن بأنَّ اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، وهذا ما حثَّه على البحث في أصل هذا الاسم المبارك، ليتضح لنا الحس الديني المتأتي من مناقشة هذه المسائل العقدية.

المسألة الثالثة: دلالة(لعل) في القرآن الكريم:

ذكر سيبويه قوله تعالى:﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[٢]، وقد نَصَّ على أن (لعلَّ) في أصل وضعها اللغوي معناها الترجِّي، قال: ((وإذا قلت لعل فأنت ترجوه أو تخافه))[٣]، وقال: ((لعل وعسى طمع و إشفاقٌ))[٤]، فالطمع يكون في ارتقاب شيء محبوب، كقولك: لعليّ أنجح، والإشفاق يكون في ارتقاب شيء مكروه، نحو: لعلَّ العدو يقدم، وهذه المعاني مما يستحيل صدور مثلها عن

(1) معنى لا إله إلا الله، بدر الدين الزركشي: ١١٤.

٢ () سورة طه: ٤٤، ينظر: كتاب سيبويه: ١/.٣٣١

٣ () المصدر نفسه: ١٤٨/٢.

٤ () المصدر نفسه: ٢٣٣/٤.

الله جل جلاله، إذ هو سبحانه يعلم ما كان وما سيكون، وهو القوي العزيز، ولهذا صرف سيبويه الترجي المدلول عليه بـ((لعلَّ)) في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾، ليكون في حق المخاطبين، قال سيبويه: ((فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهَبَا أنتما في رجائكما وطَمَعِكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثرُ من ذا ما لم يَعْلَما))[1]، وإنما حمل سيبويه هذه الآية على الدعاء لفظًا؛ لأنَّ القرآن نزل بأساليب العرب، وحملها من حيث المعنى على معنى يليق به سبحانه؛ لأن الداعي لعجزه إنما يريد أن يوقع الله مضمون دعائه بالذي دعا عليه أو له، والله إذا قال ما ظاهره الدعاء فإنه على طريق أنه يوقعه؛ لأنه تعالى لا يعجزه شيء ويؤكد ذلك السيرافي بقوله: ((قد يعبر عن بعض أفعال الله عز وجل مما جاء في القرآن وغيره بما لو حمل على حقيقة اللغة لم يجز أن يوصف بذلك))[2]، وعليه فالمعنى في الآية: يا موسى وهارون باشرا أمر فرعون مباشرةَ مَنْ يرجو ويطمع في إيمانه، قال أبو حيان بعد أن ذكر أن الترجي يكون في هذه الحالة للمخاطبين:((لأن الترجي لا يقع من الله سبحانه وتعالى إذ هو عالم الغيب والشهادة))[3]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا التوجيه مخصوص بالآية السابقة، ولا ينطبق على كل آية وردت فيها (لعلَّ)،فمثلًا (لعلَّ) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

١() كتاب سيبويه: ٣٣١/١.

٢ () شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ١٠٥.

٣ () البحر المحيط : ١٥٥/١.

ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [1]، لا يمكن أن تكون لترجي المخلوقين، لأنَّهم لم يكونوا حال الخلق عالمين بالتقوى حتى يُرجوها[2] وإنَّما هي في الآية بمعنى ((كي)) فتكون للتعليل، وعليه فـ((لعلَّ)) الواردة في آيات كثيرة يمكن أن توجه بأحد أمرين، الأول ما ذكره سيبويه من بقاء ((لعل)) على معناها وهو الترجي، ولكن الترجي يكون في حق المخاطبين لا المتكلم[3]، والثاني أن تخرج عن معنى الترجي إلى معنى آخر وهو التعليل، فتكون بمعنى (كي)[4].

المسألة الرابعة: دلالة (ويل) في القرآن الكريم:

قال تعالى:﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾

[6] يرى سيبويه أنَّ كلمة ((ويل)) تُقال لمن وقع في هلَكة أو بَلِيَّة لا يُتَرحَّم عليْهِ معها[7]، تقول: ويلٌ لزيد، بالرفع، و ويلاً له بالنصب، فالرفع على الابتداء[8]،

---

١ () سورة البقرة:٢١.

٢ () حاشية الصبان: ١/٤٠٠.

٣ () ينظر: الجنى الداني: المرادي: ٥٨٠، و المقتضب: للمبرد: ١٨٣/٤.

٤ () القول بأن (لعلَّ) في القرآن الكريم، تفيد التعليل ، وهو لجماعة من العلماء، ينظر: شرح السيرافي: ٢٢٣/٢، شرح المفصل: ٥٧/٤.

5 () سورة المرسلات:١٥.

6 () سورة المطففين:١.

٧ () ينظر: كتاب سيبويه: ٣٣١/١، ولسان العرب ٧٣٧/١١.

٨ () المسوغ للابتداء بالنكرة هو التعظيم المفهوم من التنوين أو التنكير، أو لأن الكلمة تضمنت

والنصب على المفعولية المطلقة، والعامل فيها فعل مهمل[١]، والفرق بين النصب والرفع أنّك إذا رفعتها فكأنك ابتدأت شيئاً قد ثبت عندك واستقر وفيها معنى الدعاء[٢]، وإذا نصبت فكأنك ترجَّاه في حال حديثك وتعمل في إثباته[٣]، وفي الآيتين الكريمتين أعلاه، مَنَع سيبويه أن يكون فيهما معنى الدعاء تنزيهًا لله ربِّ العالمين، وَبَيَّن أن الله تبارك وتعالى خاطب العرب في القرآن على ما يعرفونه من كلامهم، وساروا عليه في خطابهم، فلما كان معروفًا في كلامهم أن يقول أحدهم لصاحبه: ويلٌ لك، إذا أراد الدعاء عليه، خاطبهم بحسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك الكلام بينهم وما قد عرفوه في منطقتهم، قال سيبويه: ((و أمَّا قوله تعالى جدُّه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ و﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، فإنّه لا ينبغي أنْ تقولَ إنّه دعاء ههنا، لأنَّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح، ولكنَّ العبادَ إنَّما كُلِّموا بكلامهم، وجاء القرآنُ على لغتهم وعلى ما يَعنون، فكأنَّه والله أعلمُ قيل لهم: وَيلٌ للمُطَففينَ، ووَيْلُ يومئذٍ للمُكَذبين، أي هؤلاء ممن وجب هذا القولُ لهم، لأنَّ هذا الكلامَ إنّما يقال لصاحب الشرَّ والهلكة، فقيل:

معنى الدعاء.

١ () ينظر: الاصول: ٣٨٦/٣.

٢ () ينظر: كتاب سيبويه: ٣١٠/١، والمقتضب: ٢٢١/٣، وشرح السيرافي: ٢٢٢/٢، والتذييل والتكميل: ١٦٥/٧.

٣ () ينظر: شرح المفصل: ١٢٢/١.

هؤلاء ممن دخل في الشرّ والهلكة ووجَب لهم هذا))[١]، جعل مثل ذلك قوله تعالى:﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾[2] وقال:((ومثله" قاتلهم الله" فإنما أُجري هذا على كلام العباد وبه أُنزل القرآنُ))[٣]، وقد علَّق السيرافي على كلام سيبويه وذكر أن اللفظ المتعارف عليه عند الناس في كلامهم أنه دعاء إذا وقع من الله عزّ وجلّ فهو من طريق اللفظ على ما قد تعارفه الناس، وهو من الله عزَّ **وجلّ واجب، لأنّ القائل إذا قال: قاتلك الله، ولعنك الله، وويل لك، فإنما يريد أن يوقع الله ذلك الذي دعا عليه، فإذا قاله الله عز وجل فهو على طريق أنه يوقعه ويوجبه لمن قيل في حقه؛ لأنه هو المدعوّ المستدعى منه ذلك**[٤].

المسألة الخامسة: ترجيح سيبويه لقراءة المصحف بالرفع في كلمة (فتصبحُ).

رجّحَ سيبويه قراءة الرفع في قوله تعالى قال تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾[٥]، برفع (فتصبحُ) مستنداً في رأيه إلى إجابة شيخه يونس بن حبيب، فقال: ((هذا واجبٌ، وهو تنبيهٌ، كأنك قلت: أتسمعُ أنَّ اللهَ أنزلَ من السماءِ ماءً فكان كذا وكذا، و إنَّما خالفَ الواجبُ النفيَ

١ () كتاب سيبويه:١/٣٣١.

(2) سورة المنافقون من آية:٤.

٣ () كتاب سيبويه: ١/٣٣٢.

٤ () ينظر: شرح السيرافي: ٢/٢٢٣.

٥ () سورة الحج من آية:٦٣ .

لأنك تنقضُ النفيَ إذا نصبتَ وتغيِّرَ المعنى، يعني أنك تنفي الحديث وتُوجِب الإتيانَ، تقول(ما أتيتني قط فتحدثَني إلا بالشر) فقد نقضت نفي الإتيان وزعمت أنه قد كان))[1]، فسؤال سيبويه هنا عن سبب مجيء الفعل المضارع (تصبح) مرفوعًا ولم يأتِ منصوبًا جوابًا للاستفهام، وكأنَّ الرفع هو الأليق بالقدرة الإلهية المطلقة على بقاء أثر المطر و إثبات الاخضرار، فكأن (يونس) قال:((لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض، لأن معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر، إن نصبته فأنت ناف لشكره شاكٌ تفريطه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر))[2]، وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ((إنْ سألت لِمَ صُرف إلى لفظ المضارع؟ قلت لإفادة بقاء أثر المطر زماناً ومكاناً، فأروح و أغدو شاكراً لَه سبحانه))[3].

وهنا نستطيع تلمس أثر العقيدة وانعكاسها على آرائه النحوية في هذا المثال وباقي الأمثلة التي أدلينا بها في هذا الخصوص، وهذا خير دليل على أن

---

١ () كتاب سيبويه، ٤٠/٣.

٢ () البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٥٣١

٣ () الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د–ت) : ١٦٨/٣ .

سيبويه ضَمَّن كتابه بشذرات تكشف عن عقيدته الحقَّة، ولعل هذه الشذرات هي التي بلغت بالكتاب تلك المنزلة التي هو عليها الآن.

المسألة السادسة: قراءة (كل) بالنصب والرفع في قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1] .

إنَّ من مصاديق عدم تخطئة سيبويه للقراءات ما نتلمسه في قوله:((فأمَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فإنَّما هو على قوله: زيدًا ضربْتُه، وهو عربيٌّ كثيرٌ، وقد قرأَ بعضُهم: ﴿ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا﴾ [٢]، إلَّا أنَّ القراءةَ لا تُخالَفُ؛ لأنَّ القراءةَ السُّنَّةُ))[٣]، أشار أبو حيان إلى هذه القراءة بقوله: ((قراءة الجمهور (كلَّ شيٍ) بالنصب وقرأ أبو السمال– قال ابن عطية: وقوم من أهل السنّة– بالرفع، وقال أبو الفتح: هو الوجه في العربية، وقراءتنا بالنصب مع الجماعة))[٤] وقد فسّر السيرافي وجه النصب في (كُلَّ) مع أن المختار الرفع، بأن النصب يفيد العموم أي أنَّ الخلقَ كلَّه لله عز وجل، ولذلك قال: ((أن في النصب ها هنا دلالةً على معنى لا يوجد ذلك المعنى في حالة الرفع))[٥]، كما أشار الزمخشري إلى هذه القراءة بقوله: ((كُلَّ شَيْءٍ منصوب بفعلٍ مضمرٍ يُفَسِّره

---

1 () سورة القمر: ٤٩.

٢ () سورة فصلت: ١٧.

(٣) كتاب سيبويه : ١٤٨/١.

٤() البحر المحيط : أبو حيان الاندلسي: ١٨/٨

٥() كتاب سيبويه: ٧/٢–٨.

الظاهرُ، وقُرِئَ (كلُّ شيءٍ) بالرفع، والقَدْر والقَدَر: التقديرُ، وقُرِئَ بهما، أي: خَلَقنا كلَّ شيء مُقَدَّرًا مُحْكَمًا مُرَتَّباً على حسب ما اقتضته الحكمةُ أو مُقدّرا مكتوباً في اللوح، معلومًا قبل كونِه قد عَلِمنا حاله وزمانَه))[1]، وقد ردَّ عليه ابن المُنير الإسكندري(ت:٦٨٣هـ) قائلًا: ((وكان قياس ما مهدَّهُ النحاة اختيار رفع (كُلُّ) لكن لم يقرأ بها واحدٌ من السبعة وإنَّما كان كذلك؛ لأنَّ الكلام مع الرَّفع جملة واحدة، ومع النَّصب جملتان، فالرَّفع أخصر، مع أنَّه لا مقتضى النَّصب ههنا من أحد الأصناف الستة، أعنى: الأمر والنهي [...] إلى آخرها، ولا أجد هنا مناسب عطف ولا غيره مما يعدُّونَهُ غيره من محال اختيارهم للنَّصب، فإذا تبين ذلك فاعلم أنَّه إنَّما عدل عن الرَّفع لسر لطيف يعين اختيار النَّصب: وهو أنَّه لو رفع لوقعت الجملة التي هي (خَلَقْناهُ) صفة لشيء، ورفع قوله (بِقَدَرٍ) خبراً عن (كلّ شيء) المقيد بالصفة، ويحصل الكلام على تقدير: إنَّا كلُّ شيءٍ مخلوق لنا بقدرٍ، فأفهم ذلك أنَّ مخلوقًا ما يضاف إلى غير الله تعالى ليس بقدر، وعلى النَّصب يصير الكلام: إنا خلقنا كلَّ شيء بقدر، فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى، فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللفظية على قراءة الرَّفع مع ما في الرَّفع من نقصان المعنى، ومع ما في هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تامًا

(١) الكشاف، الزمخشري:٤/٤٤١.

واضحًا كفلق الصبح، لا جرم أجمعوا على العدول عن الرَّفع إلى النَّصب))[1]، وتعليل ذلك أَنّ الوجه في (زيدٌ لقيته) رفع الاسم المشغول عنه الفعل على الابتداء؛ لأنه لا شيء يدعو إلى نصبه، فإذا دخل عليه حرف تحقيق مثل (إني زيدٌ لقيته) فإنه يبقى على رفعه، لأن حرف التحقيق لا ينقله من معنى إلى آخر كحرف النفي، فلما جاء (كلَّ) في الآية الكريمة بالنصب حمله على (زيدًا ضربته)، وقال: ((هو عربي جيد، بعدما بَيَّن قبل ذلك أنّ الاختيار في مثله الحمل على الابتداء، وكأنه ذهب إلى أنه قد يخرج عن الأصل الذي ينبغي أن يطّرد الكلام عليه، للإشعار بوجه الجواز لخلاف ذلك الأصل المطّرد، للإشعار بهذا المعنى، فيحسن عن طريق النادر، ولا يلزم مثل ذلك على جهة المطّرد))[2].

لذلك فَضّل سيبويه قراءة النصب على قراءة الرفع؛ لأنَّ تقدير الكلام في حال النصب، يفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى، وهذه الفائدة المتحصلة في حالة النصب، لا تتهيأ في حالة الرفع، وقد يصيب النص فساد المعنى، لذلك فهو يُفسِّر القراءة لتتوافق مع عقيدته الدينية.

---

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري (المتوفى ٦٨٣هـ) دار الكتاب العربي بيروت– لبنان،ط٣، ١٤٠٧هـ :٤/٤٤١.

٢ () شرح كتاب سيبويه: علي بن عيسى الرماني، تحقيق: الدكتور متولي رمضان ، مطبعة التضامن: ١٩٨٨م: ١/٣٨٥.

المسألة السابعة: قراءة النصب والرفع في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾

ومن القراءات التي وقف عندها سِيْبَوَيْه من قوله تعالى ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ مؤيدًا بها قواعد نحوية استخلصها من حواراته مع الخليل يقول فيه : ((هذا بابُ ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه تقول: أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ: لم يردْ أنْ يُكَرِّرَهُ ولا يُعَرِّفُك شيئًا تُنْكِرُهُ، ولكنَّه شتمَه بذلك، وبلغنا أنَّ بعضهم قرأ هذا الحرف نصبًا، ﴿**وامرأته حمالة الحطب**﴾ لم يجعل (الحمالة) خبرًا للمرأة، ولكنَّه كأنَّه قال: (اذكرْ حمّالةَ الحطب)، شتمًا لها وإنْ كان فعلاً لا يُستعمل إظهاره))[(١)].

وقد عَزَّزَ ما ذهب إليه مِنْ تفصيلٍ بأبيات شعرية ليدعمَ هذا الوجه الذي يرى النَّصب أفضل لبعض الأسماء على الشتم كما كان هناك نصب على المدح والتعظيم، ولكن اللافت للنظر أنَّه علق على بيت عُروة الصَّعاليك العبسي[(٢)] :

سَقَوْني الخَمرَ ثم تَكَنَّفوني عُداةَ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

((إنَّما شتمهم بشيءٍ قد استقر عند المُخاطَبين))[(٣)]، بمعنى انَّ (عُداةَ اللهِ) كان مُستقرًا في أذهان الناس على الشَّتم، وإنَّ هذا الأسلوب متعارف بين الناس؛ لذا رأى أنَّ القراءة على الشتم أكثر جوازًا، وهذا يؤيده قول الزمخشري ((وقُرِئ حمالةَ

---

(١) كتاب سيبويه : ٢/ ٧٠.

(٢) يُنظر: هامش كتاب سيبويه:١/٣٧٧ ، ويُنظر: ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان،ط١: ١٤١٨هـ–١٩٩٨م:٦٣ .

(٣) كتاب سيبويه: ٢/ ٧٠ .

بالنَّصب على الشتم، وأنا أستحبُّ هذه القراءة))[١]، قال أبو حيان وهي قراءة آخرين: ((قرأ الْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَالْأَعْرَجُ وَأَبُو حَيْوَةَ وَابْنُ أَبِي عَبْلَةَ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وَعَاصِمٌ: حَمَّالَةَ بِالنَّصبِ[...] وَفِي قِرَاءَةِ النَّصبِ، انْتَصَبَ عَلَى الذَّمِّ، وَأَجَازُوا فِي قِرَاءَةِ الرَّفْعِ أَنْ يَكُونَ وَامْرَأَتُهُ مبتدأ))[٢].

المسألة الثامنة: تأويل النصب في قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾[٣].

إنَّ من التأويلات التي ذهب إليها سيبويه لئلا يُنْسَبَ الضلالُ إلى الله تعالى هو نصبُ ((أَنْ تضِلَّ إحداهُما فتُذكِّرَ إحداهما الاخرى)) أوضح سيبويه نَصْبَ الفعلِ (تَضِلَّ) بقوله: ((فانتصب؛ لأنَّه أَمرَ بالإشهاد لأنْ تُذكِّرَ إحداهما الأخرى ومن أجل أنْ تُذكِّرَ فإنْ قال إنسانٌ: كيف جاز أنْ تقولَ:(أنْ تَضِلَّ) ولم يُعَدَّ هذا للضلال وللالتباس؟ [قِيلَ]: فإنَّما ذكرَ(أنْ تَضِلَّ)؛لأنَّه سببُ الإذكار، كما يقول الرجل: أعددْتُهُ أنْ يميلَ الحائطُ فأدعَمَهُ، وهو لا يطلبُ بإعداد ذلك ميلانَ الحائطِ ولكنَّهُ أخبرَ بعلَّةِ الدعْمِ وبسببِهِ))[٤]، وقد علل الزمخشري هذه القراءة بقوله: ((وانتصابه على أنَّه مفعول له، أي: إرادة أنْ تضلَ، فإنْ قُلْتَ: كيف يكون ضلالها مرادًا للَّهِ تعالى؟ قلْتُ لما كان الضلال سببًا للإذكار، والإذكار مُسببًا عنه،

---

(١) الكشاف، الزمخشري:٤/٨١٥.

(٢) البحر المحيط :١٠/٥٦٧.

٣ () سورة البقرة: ٢٨٢.

(٤) كتاب سيبويه :٣/٥٣.

وهم ينزلون كلَّ واحدٍ من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما، كانت إرادة الضلال المسبب عنه إرادة للإذكار، فكأنَّه قيل: إرادة أنْ تُذكِّرَ إحداهما الأخرى إنْ ضلَّت، ونظيره قولهم: أعددْتُ الخشبةَ أنْ يَميلَ الحائطُ فأدعمَه، وأعددْتَ السلاحَ أنْ يجيءَ عدوٌّ فأدفعَهُ))[١]، وقد وجَّه أبو حيَّان هذه القراءة بقوله: ((أَنْ تَضِلَّ بفتح الهمزة فهو في موضع المفعول من أجلِهِ، أي لأن تَضِل على تنزيل السبب، وهو الإضلال، منزلة المُسَبَّبْ عنه وهو الإذكار، كما ينزل المُسَبِّبُ منزلة السبب لالتباسهما واتصالهما فهو كلام محمول على المعنى، أي: لِأنْ تُذكِّرَ إحداهما الأخرى إنْ ضَلّتْ ونظيره: أعددت الخشبةَ أنْ يميلَ الحائط فأُدعِّمَهُ، وأعددت السلاح أنْ يَطرُق العدو فأدْفَعَه))[٢].

يُلاحظ أنَّ سيبويه استشهد بالقراءات القرآنيّة وحلّلها وأوضح المراد منها ودلالاتها، وكان الحس الديني حاضرًا لديه في أغلب ما يتطرق إليه، وانماز أسلوب سيبويه في تعامله مع القراءات القرآنية تحليلًا يعتمد على التفسير من داخل النصّ القرآنيّ نفسه وليس من خارجه، أو بعبارة أخرى أنّه كان يعتمد التفسير النحويّ للنصّ القرآنيّ، وهذا التحليل كان ممزوجاً مع التفسير بالأثر الذي ساد في عصر سيبويه وما قبله.

المسألة التاسعة: اختياره اسم (عبد الله) للتمثيل به:

(١) الكشاف، الزمخشري: ٣٢٦/١.

(٢) المصدر نفسه: ٧٣٢/٢.

شاع في كتب النحاة اختيار العلم (زيد) للتمثيل به، لخفته فهو ثلاثي ساكن الوسط، أمّا سيبويه فقد أكثر من التمثيل بالعلم المركب (عبد الله)، وذلك لعلمه بأنّه أحب الأسماء إلى الله[١]، كما ثبت ذلك في حديث: ((**إنَّ أحَبَّ أسمائِكُمْ إلى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ**))[٢]، ومن المواضع التي ذكر فيها عبد الله للتمثيل في (باب ما لا يعمل في المعروف إلَّا مضمرًا) قال: ((نِعْم الرجل فقيل له من هو؟ فقال:عبدُ اللهِ، و إذا قال عبدُ الله فكأنّه قيل له: ما شأنه؟ فقال: نِعْمَ الرجل))[٣] وفي (باب من إذا كنت مستفهمًا عن نكرة) قال سيبويه: ((وكذلك لا يجوز إذا قال رأيت عبد الله أن تقول أيًّا، ولا تجوز الحكاية فيما بعد أي))[٤]، وفي باب (ما يكون الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد) قال: ((ألا تراهم يقولون: هذا زيدُ بنُ عبدِ اللهِ، ويقولون هذه هِنْدُ بنتُ عبدِ اللهِ فيمن صرف، فتركوا التنوين ها هنا؛ لأنهم جعلوه بمنزلة اسم واحد لما كثر في كلامهم، فكذلك جعلوه في النداء))[٥]، وغيرها الكثير من الامثلة في كتاب سيبويه[٦].

المسألة العاشرة: الدلالة الزمنية لـ(كان):

---

١ () ينظر: البعد الديني عند سيبويه : ٩.

٢ () (الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، ودار الأفاق الجديدة، باب بيان ما يستحب من الاسماء: رقم الحديث ٢١٣٢.

٣ () كتاب سيبويه : ١٧٧/٢.

٤ () المصدر نفسه: ٤٠٨/٢.

٥() المصدر نفسه: ٢٠٤/٢.

(٦) ينظر: على سبيل التمثيل: ٤١/١، ٩٧/١، ٣٩/١، ٩٠/٢، ٨٩/٢، ٨٨/٢، ٧٨/٢، ٨٠/٢.

يرى سيبويه انَّ دلالة (كان) تدل على الاستمرارية[١]، على عكس أصل وضعها اللغوي في دلالتها على الزمن الماضي، ولكنَّه اشترط أنْ يأتي خبرها صفة من صفات الله تعالى، مستدلاً بقوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٩﴾﴾ [2]وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٣]، فإنَّها عند سيبويه تقتضي الاستمرار لفساد معنى المضي فيها؛ لأن كل صفة لله مستحقة في حال فهي مستحقة في كل حال[٤]، ونقل الزجاج عن سيبويه أنَّ معنى (("**ان الله كان عليماً حكيماً**" كأن القوم شاهدوا علمًا وحكمة ومغفرة وتفضلًا، فقيل لهم: إنَّ الله كان كذلك ولم يَزَلْ أي لم يزل على ما شاهدتم))[٥]، ومذهب سيبويه في خروج (كان) من معنى المضي إلى الاستمرار إذا كان الخبر صفة من صفات الله تعالى هو فساد معنى المضي فيها لأن صفات الله تعالى مستحقة في كل حال المسألة، وذهب بعض النحاة إلى أن الأصل في (كان) الاستمرار وأنها لا تدل على الانقطاع إلَّا بقرينة[٦].

---

١ () ينظر: كتاب سيبويه: ٤٥/١.

2 () سورة الأحزاب:٥٩.

٣ () سورة الانسان :٣٠.

٤ () ينظر: البعد الديني عند سيبويه، د-عبد الله النغيمشي: ١٤.

٥ () معاني القرآن واعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: دكتور: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١: ٢٥/٢.

٦ () ينظر: شرح التسهيل، ٣٤٥/١.

المسألة الحادية عشرة: نداء أسماء الله تعالى بـ(أيها وهذا). لا يجوز نداء اسم (الله)بـ(يا أيها الله) أو (يا هذا الله) بخلاف نداء غيره بالإجماع[١]،فالوُصلة لا تُستعمل في نداء اسم (الله)، وهذه خصيصة من خصائص الاسم الشريف[٢]، وفي هذه المسألة اجتمع المانع اللغوي مع المانع الشرعي، أمّا المانع اللغوي فهو كثرة الاستعمال والتعويض، فـ(أل) في اسم (الله) تعالى لازمة له ولا تفارقه، وقد كثر في كلامهم استعمال (ال) مع (الله)، فصار كأنَّها من بنية الكلمة، ولأنَّ أصل اسم (الله) إلهٌ، فحذفت همزة (إله)، و عُوّض عنها (ال)، فقيل: (يا أله)[٣]، أمّا المانع الشرعي هو تنزيه الخالق سبحانه عن توهم ما لا يليق بعظمته وكمال سلطانه، وذلك إمَّا لأنَّ الهاء للتنبيه، والله سبحانه وتعالى ليس بغافل فينبه، يقول الفيروز أبادي: ((ويمتنع أن تقول "يا أيّها الله"؛ لأنَّ هذه الصيغة موضوعة للتنبيه والإشارة، والله سبحانه منزه عن ذلك))[٤]، ولا يختص هذا المنع بالاسم الشريف (الله) بل تلحق به أسماء الله كلها، يقول ابن المُظَفّر الرازي((حروف التنبيه كما لم

١() ينظر: الإنصاف: ٢٧٧/١.

٢() ينظر: الكشف و البيان عن تفسير القرآن: أبي اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠٠٢م: ٩٠/١ .

٣ () ينظر: كتاب سيبويه: ١٩٥/٢، والانصاف: ٢٧٦/١.

٤ () بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (د–ت): ٤٢٥/٥.

تدخل على الله كذلك لا تدخل على الرحمن، فلا يقال: (يا أيها الرحمن)، وإن لم يكن الألف واللام في الرحمن لازمتين، بل إنما لم يدخل التنبيه على أسماء الله سواء كان بالألف واللام، أو لم يكن؛ عن ذلك))[1]، ولعل الفيروز آبادي وابن المظفر استندا عند تعليل هذه المسألة إلى قوله تعالى: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾[2] التي جاء بها ابن هبيرة عند حديثه عن حذف (هاء التنبيه) من أُولاء، في مخاطبة النبي موسى(عليه السلام) الله عز وجل، قائلًا: ((و" الله" لا يجوز أن يخاطب بهذا، ولم أرَ أحدًا خاطب (الله) عز وجل بحرف التنبيه إلا الكفار [...] وما رأيت أحدًا من الأنبياء خاطب ربَّه بحرف التنبيه، والله أعلم، فأمّا قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[3] فإنه قد تقدم الخطاب بقوله: (يا رب)، فبقيت (ها) للتمكين، ولما خاطب الله عز وجل المنافقين، قال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[4]، وكرَّم المؤمنين بإسقاط (ها)، فقال: ﴿**ها أنتم أولاء تُحِبُّونَهُمْ**﴾[5]، وكان التنبيه للمؤمنين أخف))[1] وإمّا لأنَّ في استعمال تلك الأدوات

١() مباحث التفسير: أحمد بن محمد المظفر الرازي، تحقيق: حاتم القرشي، كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٩م (وهي استداراكات وتعليقات على تفسير الكشف والبيان للثعلبي) : ٧٢.

٢ () سورة طه من آية :٨٤.

٣ () سورة الزخرف: ٨٨.

٤ () سورة النساء من آية: ١٠٩.

٥ () سورة آل عمران: ١١٩.

إبهامًا لا يليق بمقامه سبحانه وتعالى، يقول ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) ((لأنَّهم كرهوا أن يأتوا بإسم مبهم يطلقونه على الباري سبحانه وتعالى))[٢].

وكأنَّ سيبويه بإيراده لهذه المسألة، أراد أن يبين أن اللغة امتنعت، وامتنع أَهلها من استعمال (أيها) مع لفظ الجلالة، فلا يمكن القول (يا أيّها الله)، ومنشأ هذا أنَّ (أيُّها) تستعمل للتنبيه، ومع خالق الكون المهيمن فلا يستعمل التنبيه وهذا غاية التأدب والتعظيم لربوبية الله تعالى وقدسيته، وبهذا يكون سيبويه قد أفصح عن جنبة عقدية بالغة الأهمية بقوله: ((واسم الله تبارك وتعالى لا يكون فيه ذلك))[٣].

المسألة الثانية عشرة: فِي تَسْبِيْحِ اللهِ تَعَالَى

اتّفق جُمهور العُلماء والفقهاء على أنَّ من الأمور الواجبة لله تعالى تعظيمه وتسبيحه، ولكنهم اختلفوا في معنى كلمة (سبحان) وقد اهتمَّ سيبويه بدراسةِ مثل هذه الألفاظ وفي أكثر من موضع من كتابه فقد تحدث عن ذلك في ((هَذَا بَابُ ذِكْرِ مَعْنَى لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ وما اشتُقّا منه))[4]، وذكر سيبويه أنَّ: سَبَّحتُ اللهُ تَسْبِيْحًا وسُبْحَانًا؛ بمعنى واحد، فالمصدر تَسْبِيحٌ، والاسم سُبحانُه يقوم مقام

---

١ () ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: د-عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م: ١٤٤/٢.

٢() شرح المقدمة الكافية في علم الاعراب، ابن الحاجب، تحقيق: جمال عبد العاطي أحمد، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٩٩٧: ٤٢٧/٢.

(٤) كتاب سيبويه: ١٩٦/٢.

(4) كتاب سيبويه :٣٥٢/١.

المصدر[1] وقال سيبويه:((زعم أبو الخطاب الكبير: سُبحانَ الله كقولك: بَرَاءَة اللهِ مِنْ السُّوءِ كأنَّهُ قَالَ: أُبرِّئ اللهَ مِنْ السُّوءِ))[2]، ومعنى تنزيه الله من السُّوءِ: تبعيدُهُ منه، وكذلك تسبيحه: تبعيده من قولك: سَبَحتُ فِي الأرضِ، إذا أبعدت فيها وجماع معناه بُعدُهُ – تبارك وتعالى– عَنْ أَنْ يكونَ له مِثلٌ أو شريكٌ أو ضِدٌّ أو نِدٌّ[3]، ويُلاحظ أنّ سيبويه يُنزِّه الله جل وعلا من كل سوء و كأنَّه يتحدث عن فكرة عقدية وليس عن موضوع نحوي.

المسألة الثالثة عشرة: في (الحمد لله)

لم يُجوِّز سيبويه أن تقولَ الحمدُ في مقام التعظيم لغير الله، وهذا من باب الاحتراس الديني، ومما يدل على ذلك قوله: ((وليس كلُّ شيءٍ من الكلامِ يكون تعظيمًا لله عزَّ وجلَّ يكون تعظيمًا لغيرِهِ مِنْ المخلوقين: لو قُلْتَ: الحمدُ لزيدٍ تريدُ العظمةَ لم يجزْ، وكان عظيمًا))[٤]، أي أمرًا منكرًا غير مغتفر أن تمدح المخلوق وتعظمه بلفظ لا يصلح إلّا للخالق سبحانه، فهنا المانع الشرعي هو إشراك المخلوق مع الخالق في صفة لا تصلح إلَّا للخالق، وهذا ما جعل الدكتور نهاد

(1) ينظر: كتاب سيبويه:١/٣٢٤.

(2) كتاب سيبويه: ١/٣٢٤.

(3) ينظر: المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار الفكر، بيروت: ٣/٣٧٤، ولله الأسماء الحسنى، لعمر الأشقر، دار النفائس، عمان، الأردن: ١/١٥٤.

(٤) كتاب سيبويه ٢/٦٩.

الموسى يقول: ((وما أشبه هذه الملاحظة بملاحظات اللغويين الاجتماعيين حول تخصص الألفاظ وتراكيب معلومة بمواقف دينية أو تقليدية معلومة))[١]، وقد فَسَّرَ الأستاذ عبد السلام هارون المقصود بـ(كان عظيمًا)، أي : كان الأمر عظيمًا غيرَ مُغتفَرٍ[٢]، بمعنى هذا التعبير غير جائز على البشر وإنَّما هذا الحمد اختص به الله (سبحانه تعالى)، و رأي سيبويه يُعبِّر عن مقدار عظمة الخالق –جل وعلا– وعِظَم مفهوم الربوبية في نفسه.

المسألة الرابعة عشرة: الأمر والنهي والدعاء من الأدنى إلى الاعلى

تعد صيغة الدعاء صورة من صور الطلب، فهي مكافئة (للأمر والنهي) من حيث الإفادة والغرض في عملية التواصل اللغوي، فقد رُوِي عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنَّهُ قالَ:((الدُّعاءُ مُخ العبادَة))[٣]، وعليه فالدُّعاءُ له شأنه العظيم، وهو بابٌ واسعٌ، وقد خاض سيبويه في هذا المضمار ليدلل على مسألة عقدية ذات أهمية كبرى، فقال: ((واعلم أنَّ الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل (الدعاءُ)؛لأنَّه استُعظِم أنْ يُقال أمرٌ ونهيٌ))[٤]، فما أَبداه سيبويه من آراء بهذا الشأن جعله محط أنظار العلماء والفقهاء، فقد ذهب كثير من النحويين إلى أن

(١) نظرية النحو العربي في ضوء النظر اللغوي الحديث:١٠٦.
(٢) هامش كتاب سيبويه :٦٩/٢.
(٣) الحديث أخرجه الترمذي في سننه ٤٥٦/٥ رقم (٣٣٧١).
(٤) كتاب سيبويه ١٤٢/١.

الأمر والنهي يكون من الأعلى إلى الأدنى، والدعاء من الأدنى إلى الأعلى والالتماس من المتساويين[1]، فقد قسَّمُوه إلى لفظِ الأَمْرِ، نحو: ارْحَمْنَا، وبلفظِ النَّهي، نحو: لا تُعَذِّبْنَا، قال سيبويه: ((باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها، وذلك: لم، ولما، واللام التي في الأمر، وذلك قولك: ليفعل، ولا في النهي، وذلك قولك لا تفعل؛ فإنما هما بمنزلة لم))[2]، فإن تعلقت هذه الأشياء باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته فقد نَصَّ سيبويه على أنها لا يليق ولا يجوز أن يطلق عليها أمر أو نهي، وإنَّما يطلق عليها دعاء، لتعظيم الله وتوقيره، فسيبويه هنا أراد القول أن الكلام مع الله عز وجل يأتي بصيغة الدعاء وليس بصيغة الأمر أو الطلب، وهذا يدل على إيمانه وحسن تأدبه في خطابه وتوسله بالله تعالى، وهو بلا شك عائد إلى عقيدته الإيمانية بالله تعالى.

١() ينظر: المقتضب: ١٣٢/٢. والاصول: ١٧٠/٢.

٢ () كتاب سيبويه: ٣/ ٨.

توطئة:

اتَّخذ سيبويه من الواقع اللغوي بنصوصه القرآنية وشعر العرب ونثرهم ميدانًا لدراسته لاستنباط القواعد و الأحكام اللغوية والأساليب المعتمدة في لغة العرب[١]، وقد اسْتَقْصَى سِيْبَويه كَلام العَرَب وَسُنَنه، وتتبعَ أهْل العَربية ومَن لَهُ المعرفة باللُّغة، على سيبويه الأمثلةَ فَلَمْ يَجِدُوه تَرَكَ مِنْ كَلام العرب إلَّا ثَلاثة أَمْثِلة، والنَّاظِر فِي كِتاب سِيْبويه يُلاحِظ أنَّه يَسْتَعِين كَثِيرًا بِسُؤال مَنْ يَثِق بِعِلمِه وعربيَّته، فَهو يَسْتَرشد بِهم وَيثق بِعلمهم حَتّى إنَّه بَنَى بَعض أحْكامه وتَرجِيحاته على آرائهم، فَهُو يَنْتج المَعرفة بالرجوع إلى مَرْجِعيَّاته ويُوَثِّق ذلك بأمانة مُنقَطِعة النَّظِير، وقد عُنِي الباحثون باستقراء مَا نَقله سِيبويه عَنْ شِيوخِه في كتابِه[٢].

١() ينظر: أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: ١٤٨.

٢() ينظر: مرجعيات الفكر اللغوي عند سيبويه في كتابه، الدكتور فالح الأسدي: ١ (بحث).

المبحث الأول: القرآن الكريم، والقراءات، والحديث النبوي الشريف

المبحث الثاني: الشعر، الأمثال

المبحث الثالث: المنثور من كلام العرب، ما سمعه من العلماء والفصحاء

المبحث الأول

القرآن الكريم والقراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف

أولاً: القرآن الكريم:

لا نكاد نجد اختلافًا بين النحويين واللغويّين في الاحتجاج بالقرآن الكريم، الَّذي يُعدُّ من أول و أفضل الشواهد النحويَّة الَّتي ينهل منها العلماء، ويستندون إليها في تقعيد أحكامهم وأصولهم؛ لأنَّه الكتابُ الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على مرِّ الأزمان والعصور، وقد أجمع العلماءُ على أنَّ القرآن الكريم ((أعرب وأقوى في الحجّة من الشعر))[١]، و((أنَّ اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممَّا في غير القرآن، لا خلاف في ذلك))[٢]، ذلك لأنَّ القرآن سنة لا تُخالف فيه الرواية عن النبيّ (صلى الله عليه و آله وسلم)، وما فيه أفصح ممَّا يجوز، فالإتباع فيه أولى[٣]، ويرى السيوطيُّ أن للقرآن أهميَّة كبيرة في الاحتجاج، ولكلِّ ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربيَّة سواء كان متواتراً، أم شاذًّا[٤]، وبذلك: ((فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلام العرب وزبدتُهُ، وواسطتهُ وكرامتهُ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم

(١) معاني القرآن للفراء: ١٤/١.

(٢)المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط٤، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ -١٩٥٨م : ٢١٣/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١٢٠/٢.

(٤)ينظر:الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تح: محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ -١٩٨٩: ٢٦ .

وحكمتهم، وإليها مفزعُ حُذَّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم))[١]، لذلك كان النحويُّون يستعملون القرآن الكريم في تقعيد قواعدهم، وتركيز أصولهم[٢]، ويذكر الدكتور عبد الجبار النايلة أنَّ هناك اتفاقاً بين النحويّين في أنَّ القرآن هو المعين الأصفى لاستخلاص الشواهد والاحتجاج[٣]، قال الدكتور خليل بنيان الحسون ((إنَّ القرآن اشتمل على كلِّ المحتاج إليه من أحكام اللغة سوى الشاذِّ والنادر، وما لا تقتضيه الحاجة، والزيادة))[٤]، وهذا ما نجده عند سيبويه في كتابه، فقد لجأ إلى القرآن الكريم في استنباط الأحكام اللغوية وهو من أقوى مرجعياته اللغوية؛ لأنّه اشتمل على أسْلَمْ القواعد اللغوية، نطقًا وكتابَة، فهو يجعل النَّص القرآني أعلى نصّ عرفته لغة العرب، ويتخذه دليلاً على أمثلته، لأنَّه جاء مطابقًا لكلام العرب وسننهم، فكان سيبويه: ((من أكثر النحاة تمسكًا بالشاهد القرآني وأعظمهم إجلالًا له، وكان يضعه في المرتبة

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، راجعه وقدم له وائل أحمد عبد الرحمن، د. ت. المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر: ٣.

(٢) ينظر: مذهب الكسائي في اللغة والنحو: جعفر هادي الكريم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦٩ : ١٢٤، و أبو عثمان المازنيُّ ومذهبه في الصرف والنحو: رشيد عبد الرحمن العبيديُّ، مطبعة سلمان الأعظميّ ، بغداد، ١٩٦٩م، ٢٤٥، وابن جني النحوي آراؤه ومذهبه، د- فاضل صالح السامرائي، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م: ١٠٧.

(٣) ينظر: الشواهد والاستشهاد في النحو، عبد الجبار النايلة، ط١، مطبعة الازهر- بغداد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م: ٢٠١-٢٠٢.

(٤)النحويون والقرآن الكريم، خليل بنيان الحسون ،مكتبة الرسالة الحديثة ،عمّان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: الدكتور خليل بنيَّان: ٨.

الأولى؛ لأنَّه أبلغ كلام نزل، وأوثق نص وصل، ولأنه يمثِّل العربية الأصيلة والأساليب الرفيعة، ويخاطب العرب بلغتهم))[1]، والمتصفح لكتاب سيبويه بتأمل و إمعان يتثبت من كثرة استشهاد سيبويه بآيات القرآن الكريم على قواعد العربية و أحكام فروعها، وقد اختلف الدارسون في عدد شواهد القرآن الكريم في الكتاب، وتبيّن لي بعد إحصائها أنها وقعت في (إحدى عشرة وخمسمئة آية) مع المكرر منها، أمّا عن منهجه في الاستدلال بها فنجده غالباً ما يضع عنوان الباب الذي يتحدث عنه، ويمثل له بأمثلة يقيسها على القرآن ويذكر بعدها الآيات الواردة في الموضوع، ثم يُطلق الحكم على الآيات الأُخر، فيقول: ((وهذا في القرآن كثير))[2]، و بذلك يحيل القارئ على القرآن الكريم، وسأعرض في هذا الصدد جملة في المسائل النحوية وقد ساق لها الآيات القرآنية شاهدًا، وقد انتخبتها من بين آيات كثيرة، على سبيل التمثيل لا الحصر، لبيان مدى إفادة سيبويه من النص القرآني وتوجيه الحكم النحوي في ضوئه.

١() دراسات في كتاب سيبويه: ١١، و الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م: ٣١.

٢() كتاب سيبويه: ٨٩/١، ١٦٢/٣، ٣٢٥/٢.

١-جواز العطف بالنصب على المجرور باسم الفاعل إذا كان بينهما فاصلٌ.

أجاز سيبويه العطف على المجرور باسم الفاعل؛ لأنَّ الفاصل واحد، قال سيبويه: ((والنصب في الفصل أقوى إذا قلت: هذا ضاربُ زيدٍ فيها وعمرًا، وكلّما طال الكلامُ كان أقوى؛ وذلك أنَّك لا تفصل بين الجّار وبين ما يَعْملُ فيه، فكذلك صار هذا أقوى، فمن ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[١]))[٢]، فصار حكم النصب أقوى في هذا الموضع؛ لأنه فصل بين الليل وبين الشمس وكان الفاصل لفظة (سكنًا)، وفي حال لم يُفصل بينهما لكان الجر هو الحكم الأقوى، والعلة تكمن في أَنّ الجار ومجروره شيء واحد، ومن ثم فإنّ حكمه يتصل به وهذا ما أكّده السيرافي بقوله: يعني أنه فصل بين الليل وبين الشمس بـ(سكنًا) فقوي النصب، ولو كان جاعل الليل والشمس والقمر لكان الجرّ أقوى؛ ذلك أنّ العامل في الشمس هو العامل في الليل، والجار والمجرور كشيء واحد فحكمه أن يكون إلى جنبه ويتصل به، فلما فصلت بينهما بغيرهما بَعُدَ من الجار، فقوي النصب فيه بعض القوة، وهو معنى قول سيبويه: فإنك لا تفصل بين الجار وما يعمل فيه [٣]، فالجار لا يعمل إلّا فيما بعده مباشرة، والنصب يعمل في البعيد، لذلك قال سيبويه في حالة الفصل أنَّ النصب أقوى و عَضّد ذلك بالآية الكريمة بوصفها مرجعًا لغويًا رصينًا.

١() سورة الأنعام:٩٦.

٢() كتاب سيبويه: ١/١٧٤.

٣() ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٢/٢٩-٣٠.

٢- جواز إضافة اسم الفاعل إلى المفعول وعدم جواز الفصل بين المتضايفين به.

ذهب سيبويه إلى عدم جواز الفصل بين المتضايفين في حال أُضيف اسم الفاعل إلى المفعول و استشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[1]،وضرب مثلًا تفصيليًا في كتابه يقول: ((فإذا نوّنت فقلت: هذا مُعْطِي زيدًا درهمًا، لا تُبال أيُّهما قدمت؛ لأنّه يعمل عمل الفعل، و إن لم تنوِّن لم يجز هذا مُعْطِي درهمًا زيدٍ؛ لأنَّك لا تَفصل بين الجار والمجرور؛ لأنَّه داخلٌ في الاسم فإذا نوّنتَ انفصل كانفصاله في الفعل، فلا يجوز إلّا في قوله (هذا مُعْطِى درهمٍ زيداً) كما قال تعالى جدُّه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُ ﴾))[2]، وهذا يعني أن سيبويه لا يجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول الذي هو معمول المضاف، وحجته في ذلك مرجعيته اللغوية المتمثلة بالشاهد القرآني.

٣-جواز الاكتفاء بذكر أحد مفعولي الفعلين.

ذكر سيبويه هذا الحكم في باب التنازع، فأجاز الاكتفاء بذكر أحد مفعولي الفعلين في حال عَلِمَ المخاطب بهما بوساطة المفهوم العام للنص الذي يُنبئ القارئ بما مسكوت عنه في النص، واستدل لهذا الحكم بالنص القرآني الكريم بوصفه مرجعًا من مراجعه اللغوية، يقول: ((ومما يقوّي ترك نحو هذا لعلم المخاطَب قوله عزّ

١() سورة ابراهيم من آية: ٤٧.

٢() كتاب سيبويه: ١/١٧٥.

وجلّ: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[1]، فلم يُعْمل الآخِر فيما عمل فيه الأوّلُ استغناءً عنه))[2]، فالمحذوف هنا والحافظات فروجهن والذاكرات الله كثيراً، وإنما حُذفت مع بقاء أحد المفعولين كقرينة لتدل المخاطب إلى ما هو مفقود من النص، لذلك جَوز سيبويه الاكتفاء بذكر أحد المفعولين وهو على يقين من أنَّ المعنى يستقيم بعدم ذكر كلا المفعولين، وكانت وسيلته إلى ذلك هو كلام الله المعجز وهو أفصح نص مكتوب اتخذه سيبويه شاهدًا عند اطلاقه للحكم النحوي.

٤-**جواز القطع والإبدال:** أجاز سيبويه القطع والإبدال بحسب التقدير والإعراب، إذا جاء الظرف بعد البدل من مفعول (رأى)،(جعل)، واستدل لذلك بقوله تعالى:﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[3]، قال سيبويه: ((ومثل هذا طرحتُ المتاعَ بعضَه على بعضٍ، لأن معناه (أسقطتُ) فأُجري مُجراه و إنْ لم يكن من لفظه فاعلٌ وتصديق ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾))[4]، فإن عُدَّ في موضع الحال كان الوجه البدل، و إن جعل في موضع المفعول الثاني فالأحسن القطع

١() سورة الأحزاب: ٣٥.

٢() كتاب سيبويه: ٧٤/١.

٣() سورة الأنفال من آية: ٣٧.

٤() كتاب سيبويه: ١٥٧/١.

والرفع؛ لأنَّه يصح أن يكون خبرًا للبدل[١]، لذا عَوَّل سيبويه كثيرًا على الشاهد القرآنيُّ عند استنباط قواعد الإعراب والأصول النحويَّة؛ فضلًا عن الركون إليه في الاحتجاج واختيار الأقوى في القواعد والرسم.

٥- **جواز دخول نون التوكيد على فعل الشرط.**

أجاز سيبويه دخول نون التوكيد على فعل الشرط، إن سُبق بـ(ما) التوكيدية، وذلك لأنَّه أشبهها بـ(لام اليمين)، يقول سيبويه: ((فأما اللام فهي لازمةٌ في اليمين، فشبهوا (ما) هذه إذا جاءت توكيدًا قبل الفعل بهذه اللام التي جاءت لإثبات النون، فمن ذلك قولك (إما تأتيني آتك) و أيُّهم ما يقولنَّ ذاك تجزه، وتصديق ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾[٢]، وقال عز وجل:﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [٣]))[٤]، وفعل الشرط في الآية الكريمة هو (تعرض) اتصلت به نون التوكيد وسبقت بـ(ما) التي تفيد التوكيد، وهذا السبق بـ(ما) هو الذي أجاز سيبويه بوساطته دخول النون على فعل الشرط، وكذلك الحال في الآية الثانية محل الشاهد، هنا سيبويه

١() ينظر: نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د-مصطفى جطل، جامعة حلب، سوريا ، كلية الآداب ، د-ت: ٢٧٣.

٢() سورة الاسراء من آية: ٢٨.

٣() سورة مريم من آية: ٢٦.

٤() كتاب سيبويه: ٣/٥١٥.

جاء بالقاعدة النحوية ودَلل عليها بمثالٍ مصنوعٍ، وكأنّه أراد بيان مدى صحة ما جاء به من حكم بوساطة النص القرآني متخذًا منه مرجعًا لغويًا مقدَّمًا على غيره.

٦- **المصدر (سواء) بمعنى اسم الفاعل(مستوٍ).**

عالج سيبويه هذه المسألة في (باب ما يكون من الأسماء صفة مفردًا، وليس بفاعل ولا صفة تشبه بالفاعل كالحسن و أشباهه)[١]، وهذه الظاهرة هي ما اصطلح عليها النحاة بالنعت السببي، وهو ما رفع اسمًا ظاهرًا مشتملًا على ضمير يعود إلى المنعوت[٢]، استشهد لها بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٣]، يقول سيبويه: ((واعلم أنَّ ما كان في النكرة رفعاً غير صفة، فإنه رفع في المعرفة))[٤] وهو جعل النكرة المجرورة في موضع نعت رفعاً بالابتداء وهو في موضع رفع في موضع الحال، فيكون إعراب (سواء) هنا خبرًا مقدمًا[٥]، و هو يتحدث عن العطف على الضمير المرفوع المتصل دون فصله بالضمير المنفصل أو غيره، وهذه من المسائل

١() كتاب سيبويه: ٢٨/٢.

٢() ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى، ٢٠٠١م: ١٣٥/٣.

٣() سورة الجاثية: ٢١، وينظر: كتاب سيبويه:٣٣/٢-٣٤.

٤() كتاب سيبويه: ٣٣/٢.

٥() الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م: ١٥١/١٣.

الشائعة في كتب النحو، لذا فهو يرشد القارئ إلى النص القرآني ليتثبت من صحة ما جاء به سيبويه من حكم، كونه اعتمد بذلك على نص قرآني صريح، وهذا النص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٧- **معاني (مَنْ) بين النكرة والمعرفة.**

ذَكَر سيبويه أن (مَنْ) يصح أن تكون معرفة بمعنى الذي، ويصح أن تكون نكرة بمعنى شيء، فإن كانت (مَنْ) بمعنى الذي احتاجت لما بعدها؛ ليكون صلة لها، فإذا كان ما بعدها اسماً مرفوعاً، فلا بد من تقدير صدر الصلة مبتدأ؛ ليكون المرفوع خبراً عنه ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[1] ذكرها سيبويه في باب ما يكون الاسم فيه بمنزلة الذي في المعرفة[٢]، فرفع (أَحسنُ) وخرَّجها على حذف المبتدأ وهو ضمير عائد إلى الموصول، وتقدير الكلام عند سيبويه: تماماً على الذي هو أحسنُ؛ لأنَّ الرفع بلا تقدير للضمير فيه ضعف عنده[٣].

بعد هذا العرض لما جاد به سيبويه من قواعد نحوية مستشهدًا لها بنصوص قرآنية، أكون قد بَرَّزت المرجعية اللغوية بوساطة الآيات القرآنية عند سيبويه في كتابه ولعل

1() سورة الأنعام: ١٥٤.

٢() كتاب سيبويه: ١٠٨/٢.

٣() ينظر: منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم ومآخذ بعض المحدثين عليه، دراسة نقدية تحليلية نحوية وصرفية ، الدكتور: سليمان يوسف الخاطر، جامعة ام درمان، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٠م: ١٣٤.

هذه المواضع كافية للدلالة على تلك المرجعية، فقد أوردتها على سبيل التمثيل لا الحصر؛ لأن الكلام يطول عن كثرة مثل هذه المواضع في كتاب سيبويه.

ثانيًا: القراءات القرآنية

تعددت تعريفات القراءات القرآنية و أشهر هذه التعريفات هي:((اختلاف ألفاظ الوحي المذكورة في كتبة الحروف، أو كيفيَّتها من تحقيق، وتثقيل، وغيرهما))[١]، أو هي: ((علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقله))[٢]، ومهما يكن تعريفها فالقراءات القرآنية هي: ((المرآة الصادقة الَّتي تعكس الواقع اللغويَّ الَّذي كان سائدًا في شبه الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام))[٣]، وهي أيضاً ميدان للدراسات اللغويَّة والنحويَّة ((ففيها دفاع عن النحو تعضد قواعده وتدعم شواهده))[٤]،

وقد تَحَصَّل لنا معرفة موقف سيبويه من القراءات كما بينته في الفصل الثاني بأنّه لم يُهمل قراءة قط، واعتمد عليها بوصفها مرجعًا لغويًا يستدل به لتأييد ما ذهب

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ٣١٨/١.

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الإمام شمس الدين أبي الخير بن محمد ابن الجزري : تحقيق الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطيّ ، والشيخ احمد محمد شاكر ، مكتبة القدس الأزهرية ، ١٣٥٠هـ : ٢.

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دكتور: عبده الراجحيّ، مصر، ١٩٦٨م: ٨١.

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمّد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م :٢/١.

اليه، وفي هذا الصدد يقول:((القراءة لا تخالف؛ لأنّها سنة))[١]، فقوله هذا صريح واضح من الأخذ بالقراءات وبناء القواعد عليها، فهو كان يحملها على ما ورد من عبارات وشواهد عن لغة العرب، أمَّا القُرّاء الذين ذكرهم سيبويه، أو أشار إليهم في كتابه حينما ذكر منهم:

١- أبو عمرو بن العلاء[٢].

٢- عبد الله ابن مسعود[٣].

٣- أُبَيٌّ بن كعب[٤].

٤-الحسن[٥].

١() كتاب سيبويه: ١٤٨/١.

٢() المصدر نفسه: ٥٠٦/٣، هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن المُحيصن، وقيل اسمه العُريان، توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، ينظر: التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت ط٢، ١٩٨٤ :٥.

٣() المصدر نفسه: ٨٢/٤، هو ابن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ الهذلي المكي، كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، توفي سنة(٣٢هـ)، ينظر: طبقات القراء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: أحمد خان، ط١، ١٩٩٧ : ١١.

٤() المصدر نفسه: ٩٥/١، هو ابن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن مالك بن النجار، توفي سنة (٢٢هـ)، ينظر: طبقات القُرّاء، شمس الدين الذهبي: ٩-١١.

٥() كتاب سيبويه: ١٧٢/١، هو أبو سعيد الحسن، إمام أهل البصرة، كان جامعاً عالماً فقيهاً عابداً، كثير العلم، فصيحاً، توفي سنة(١١٠هـ) ، ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦ : ١٣٦/١.

٥- الأعرج [١].

٦-ابن مروان[٢].

٧- مجاهد[٣].

٨-أهل الكوفة: حمزة، حفص، الكسائي[٤].

٩-أهل المدينة: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم[٥].

١٠-عبد الله بن كثير[٦].

وها هنا سأعرض بعض الاستدلالات التي تُثبت اعتماد سيبويه على القراءات -على سبيل التمثيل لا الحصر- بوصفها مرجعًا لغويًا موثّقًا.

١() المصدر نفسه: ١٣٤/٣، وهو ابو داود عبد الرحمن بن هرمز المدني من رجال نافع الذين أدّوا القراءة عن رسول الله (صلى الله عليه واله)، توفي سنة(١١٧هـ) في الاسكندرية ينظر: طبقات القراء، شمس الدين الذهبي : ٥٥-٥٦.

٢() المصدر نفسه: ٣٩٧/٢، هو محمد ابن مروان المدني، قارئ أهل المدينة، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن علي الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٦: ٢٦١/٢.

٣() المصدر نفسه: ٢٥/٣، هو ابن جبر ابو الحجاج المكي، كان من الأئمة الأعلام، قرأ القرآن على ابن عباس وحدّث عنه، توفي سنة(١٠٣هـ)، ينظر: طبقات القراء: شمس الدين الذهبي: ٤٢-٤٣.

٤() كتاب سيبويه ٥٤/٣.

٥() المصدر نفسه: ٥٢/٣.

٦() كتاب سيبويه: ٤٣٨/٤، هو أحد القُرَّاء السبعة، صار إمام القراء في مكة، توفي سنة (١٢٠هـ)، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري: ٤٤٣/١.

١- ترجيح قراءة رفع الاسم المُقدّم في باب الاشتغال

أجاز سيبويه الرفع والنصب في الاسم إنْ عمل الفعل الذي بعده في ضميره ولو سُلِّط هذا الفعل على الاسم المتقدم لنصبه[١]، وقد قرأ بعضُهم ﴿**وأما ثمودَ فهديناهـم**﴾ بالنصب و هي قراءة عاصم[٢]، أمّا سيبويه فنجده أجاز الوجهين من رفع ونصب إلّا أنّه فَضَّل الرفع فقال: ((ومثلُ ذلك قولُه جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ وإنما حَسُنَ أن يُبْنَى الفعلُ على الاسم حيث كان مُعْمَلًا في المُضْمَرِ وشَغَلْتَه به ولولا ذلك لم يحسُنْ؛ لأنّك لم تَشْغَلْه بشيء))[٣]، هنا سيبويه يرجح الرفع عند حديثه عن جواز الرفع والنصب في باب الاشتغال؛ لأَنَّ المختار هو الرفع والسبب وجود (أمّا) التي تقطع ما بعدها عما قبلها، و من جانب آخر نجده اعتمد على قراءة الجمهور والتي هي قراءة الرفع، ووجه الرفع ((أنَّ (ثمودُ) مبتدأ و (فهديناهم) في موضع الخبر مبني عليه، وفيه ضمير يعود إليه))[٤]،أمّا قراءة عاصم فهي النصب[٥]، فالوجه فيها فسّره السيرافي بقوله: ((بإضمار فعل مقدر

١() ينظر: الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه ، محمد ابراهيم مصطفى عبادة، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م: ٣٧.

٢() ينظر: جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عمر الداني، جامعة الشارقة، الإمارات، ط١، ٢٠٠٧م: ١٥٦١/٤.

٣() كتاب سيبويه: ٨١/١.

٤() شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي: ٣٧٣/١.

٥() ينظر: جامع البيان في القراءات السبع: ١٥٦٠/٤.

بعد الاسم، كأنه قال: فأما ثمودَ فهدينا، فهديناهم))[1]، وأما قول سيبويه: ((فالنصب عربي كثير، والرفع أجود))[2]، لأن الرفع هنا هو المتعين، لوجود (أمَّا)، وهي: ((لا يليها إلّا المبتدأ، فلا يجوزُ فيما بعدها الاشتغالُ إلّا في قليلٍ كهذه القراءةِ، وإذا قَدَّرْتَ الفعلَ الناصبَ فقدِّرْه بعد الاسمِ المنصوبِ أي: و أمّا ثمودَ هديناهم فهَدَيْناهم قالوا: لأنها لا يَليها الأفعالُ))[3]، وبذلك يكون سيبويه قد أثبت الحكم النحوي استنادًا إلى القراءات القرآنية كونها مرجعية لغوية مهمة .

٢-جواز رفع الاسم المعطوف على المنادى:

استدل سيبويه على جواز رفع الاسم المعطوف على المنادى إذا كان مفردًا واستشهد لذلك بقراءة الأَعرج ﴿ يا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيرُ﴾، فقراءة الأعرج تتمثل برفع (الطيرُ) وهي قراءة عبد الله بن مسعود[4]، قال سيبويه: ((وقرأ الاعرج ﴿ يا جِبَالُ أَوِّبِي

١() شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي: ٣٧٤/١.

٢() كتاب سيبويه: ٨٢/١.

٣() الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبيّ (ت:٧٥٦ هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد محمّد الخراط ، دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى , ١٩٨٧م: ٥٢٠/٩.

٤() ينظر: البحر المحيط: أبو حيان: ٢٠٦/٨.

﴿مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ فرفع))[1]، أمّا في المصحف فقد وردت بالنصب وهي قراءة الجمهور[2]، وفي ذلك قال الخليل (رحمه الله): ((من قال (يا زيدُ والنَّضْرَ) فنصب، فإنما نصب؛ لأن هذا كان من المواضع التي يرد فيها الشيء إلى أصله))[3]، وذلك بعطفه على موضع (يا جبالُ)، وقرأ السلمي، وابن هرمز، و أبو يحيى، وجماعة من أهل المدينة، وعاصم في رواية (والطَّيْرُ) بالرفع[4]، عطفًا على لفظ (يا جِبَالُ)، وقيل: عطفًا على الضمير في (أوِّبِي)، وسوغ ذلك الفصل بالظرف، وقيل: رفعًا بالابتداء، والخبر محذوف، أي والطير تؤوّبُ[5]، وبذلك يكون سيبويه قد وثَّق قاعدة نحوية بناءً على قراءة قرآنية متخذًا إياها مرجعًا لغويًا.

٣-جواز كسر همزة (إنَّ) على الابتداء

استدل سيبويه على جواز كسر همزة (إنّ) على الابتداء، بقراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقد وصف هذه القراءة بالجودة، قال سيبويه في كتابه: ((ولو قرؤها : ﴿**وإنَّ هذه امتُكم امةً واحدةً**﴾ كان جيداً))[6]، وحكم الرفع متأتٍ من أنّه خرَّجها على

١() كتاب سيبويه: ١٨٧/٢.

٢() ينظر: اعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه: ٤٣.

٣() كتاب سيبويه: ١٨٦/٢.

٤() تفسير روح المعاني: ١١/ ٢٨٩.

٥() ينظر: البحر المحيط في التفسير: ١٨٨/٩.

٦() كتاب سيبويه: ١٢٧/٣.

الاستئناف أو عطفاً على الآية السابقة من قوله تعالى:﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [1]، وانفرد ابن عامر بفتح الهمزة وتخفيف النون[2]، وهكذا نجد سيبويه يستدل بقراءة أحد القُرّاء أو جمع منهم عند إطلاق حكم نحوي أو عند الخوض في مسائل من المسائل النحوية متخذاً من قراءاتهم مرجعاً من مرجعيات سيبويه اللغوية.

٤-جواز العطف بالنصب على المجرور الذي هو في موضع نصب:

أجاز سيبويه العطف بالنصب على المجرور الذي هو في موضع نصب واستدل على ذلك بقراءة: ﴿ **وَحُورًا عِينًا**﴾[3]، وهي قراءة أُبي بن كعب[4]، ذكرها في باب يحمل فيه الاسم على اسم بني عليه الفعل مرة، ويحمل مرة أخرى على اسم مبني على الفعل قال سيبويه: ((ولو قلت (مررتُ بعمروٍ وزيدًا)، لكان عربيًا))[5]، ثم قال: كيف هذا؟ و أجاب بقوله: ((لأنّه فعل والمجرور في موضع مفعول منصوب، ومعناه (أتيتُ) ونحوها، تحمل الاسمُ إذا كان العاملُ الاولُ فعلًا، وكان المجرور في موضع المنصوب

١() سورة المؤمنون: ٥١.

٢() ينظر: اتحاف فضلاء البشر في قراءات الاربعة عشر، ابن البناء ، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م: ٤٠٤/١.

٣() الواقعة:٢٢.

٤() شواذ القراءات، محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق، د-شمران العجلي، مؤسسة البلاغ ، بيروت، لبنان، د-ت، د-ط: ١٥١.

٥() كتاب سيبويه: ٩٤/١.

على فعلٍ لا ينقض المعنى))[1]، وبعدها جاء بشاهدين من الشعر، وختم استدلاله على هذا الحكم بقراءة أُبي بن كعب وابن مسعود لقراءة﴿ وَحُورٌ عِينٌ﴾، متخذا قراءته مرجعًا لغويًا شاهدًا على دقة الحكم النحوي الذي جاء به.

لذا أن سيبويه كان موفقًا غاية التوفيق في موقفه من الرجوع إلى القراءات القرآنية والتوثيق منها، قولًا وعملًا، ونظرًا وتطبيقًا، فهو يُعضِّد أحكامه النحوية بوساطة القراءات القرآنية والتي هي مرجعه اللغوي الثاني بحسب ما أوردته في هذا المبحث.

ثالثًا: الحديث النبوي الشريف

يُعَدُّ الحديث الشريف مصدرًا مهمًّا من مصادر الاحتجاج في اللغة والفقه بعد القرآن الكريم وقراءاته، فهو حجة في الفقه، كما هو حجة في اللغة البيان، لذلك استكثر أصحاب المعاجم اللغوية منه لإثبات مفردات أو شرح مفردات، واستشهد علماء البيان به لإثبات تعبير بليغ أو معنى شريف، فالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): ((أفصح العرب لسانًا، وأوضحهم بيانًا وأعذبهم نطقًا وأسدَّهم لفظًا وأبينهم لهجة وأقواهم حجّة وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طريق الصواب))[2]، هذا يعني أنَّه، صلى الله

١() كتاب سيبويه: ٩٤/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة الرابعة ، مؤسسة إسماعليان، قم، ١٣٦٤هـ: ١٢٢.

عليه و آله، أفصح من نطق بالضاد، يقول ابن حزم (ت٤٥٦هـ): ((الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله]*على قسمين: أحدهما: وَحْيٌ مؤلّفٌ تأليفًا معجِزًا النظام وهو القرآن الكريم، والثاني: وحي مرويٌ غير مؤلَّف ولا معجز النظام ولا متلوّ لكنَّه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا))[١]، وقد ساق الدكتور محمَّد ضاري نصًّا لابن حزم يبيّنُ اتفاق الحديث والقرآن، وحيًا ومعنىً ويفترقان لفظًا ونظمًا يقول:((يتَّفق القرآن والحديث– إذن– وحياً و معنى ويفترقان لفظًا ونظمًا وذلك فرق بين الكلام المعجز وغير المعجز))[٢]، وقد انقسم النحاة في الاستدلال بالحديث النبوي الشريف بين مؤيد ومعارض[٣]،يقول البغداديُّ (ت ١٠٨٩) : ((وأمَّا الاستدلال بحديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقد جوَّزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقِّق في ذلك وزاد عليه الاحتجاج بكلام أهل البيت))[٤]، وما يهمنا هو موقف سيبويه من الاستشهاد بالحديث النبوي، وخلصتُ إلى أنَّ سيبويه استشهد بالأحاديث النبوية الشريفة استدلالًا لغويًا اللغوي، بيد أنَّه لم يعزها

(*) ما بين المعقوفتين ليس من النص.

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، علي بن أحمد بن سيد سعيد (ت ٤٥٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م: ٥٦٧/١.

(٢) الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الدكتور محمد ضاري حمادي، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣م: ١٥–١٦.

٣() ينظر: الاستدلال في كتاب سيبويه: ١٧٢–١٧٣.

(٤) خزانة الادب: ٩/١.

إلى النبي محمد –صلى الله عليه وآله– لأسباب عدة أوضحتها في الفصل الثاني، لذا نخلص إلى أنّ سيبويه استدل بالحديث النبوي كمرجعية لغوية، واستند إليه لتعضيد حكم لغوي، أو مسألة لغوية معينة، فقد أَقَرَّ الدكتور محمود فجال بوجود أكثر من مئة وثلاثين نصًا في الكتاب هي أحاديث نبوية[١]، وقد سبقه كثيرون إلّا إنّهم لم يصلوا بها إلى العدد الذي أوصلها إليه الدكتور محمود فجال، وبعده جاء الدكتور سليمان عودة أبو صعيليك ليؤكد بوجود مئة وستةٍ وثلاثين حديثًا في كتاب سيبويه[٢]، وقد أَحصت الباحثةُ عددَ الأَحاديث في كتاب سيبويه فوجَدَتها مئةً وستةً وثلاثين حديثاً[٣]، أما عن منهجه في الاستدلال بالحديث النبوي الشريف كمرجعٍ لغويٍ، فقد أوضحته الدكتورة خديجة الحديثي بقولها:((يذكر الحديث وحده، غير معتمد على شبيه من آية كريمة أو من بيت من الشعر، إنَّما يفسره بأمثلة من عنده جارية على كلام العرب، وذلك كما في

١() ينظر: ارتكاز الفكر النحوي على الحديث والأثر في كتاب سيبويه: ١٥.

٢() ينظر: مصادر سيبويه في كتابه جذوره وموارده، إ–د–سليمان عودة أبو صعيليك، جامعة الملك سعود، ، دار المستقبل للنشر والتوزيع، الاردن، الطبعة الاولى، ٢٠٢٢م: ٢١٦.

٣() ينظر كتاب سيبويه على سبيل التمثيل:١/٣٥، ١/٥١، ١/٧٤، ١/١٤١، ١/٢٤٩، ١/٢٥٨، ١/٢٦٤، ١/٢٨٦، ١/٢٩١، ١/٢٩٥، ١/٣١١، ١/٣١٣، ١/٣١٥، ١/٣١٨، ١/٣٢٩، ١/٣٢٢، ١/٣٢٥، ١/٣٢٧، ١/٣٢٨، ٢/١٩٦، ٢/١٩٨، ٢/١٩٨، ٢/٢٠٩، ٢/٢١٢، ٣/٣٤٩، ٢/٢٢٢، ٢/٢٣٢، ٢/٢٩٢، ٢/٢٩٥، ٢/٣٠١، ٢/٣١٦، ٢/٣٥٢، ٢/٣٥٣، ٢/٣٩٣، ٣/٥١١، ٣/٥٢٩، ٣/٥٦٤، ٣/٥٩٣، ٤/٤٢، ٤/٤٤، ٤/٦١، ٤/٦٢، ٤/١١٦، ٤/١٢٦، ٤/٢١٩، ٤/٢٢٢، ٤/٢٢٧.

الأحاديث الباقية))[1]، وسوف نستشهد بعدد من الأمثلة لتوثيق استدلالات سيبويه في الحديث النبوي الشريف بوصفها مرجعية لغوية.

الحديث الأول: سُبّوحًا قُدُّوسًا رَبَّ الملائكةِ والرُّوحِ[2]:

ذكر سيبويه هذا الحديث في (باب أيضاً من المصادر ينتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره)، فقال: ((و أما سبوحاً قُدوساً رَبَّ الملائكة والروح، فليس بمنزلة سُبحان اللهِ، لأنَّ السُّبوح والقدوس اسمٌ، ولكنه على قوله: أذْكُرُ سُبُّوحًا قدوسًا، وذاك أنه خطر على باله أو ذكره ذاكرٌ فقال: سُبُّوحًا، أي: ذكرت سُبُّوحًا[...] ومن العرب من يرفع فيقول: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، ربَّ الملائكة والروح، كما قال: أهلُ ذاك وصادقٌ والله، وكل هذا على ما سمعنا العرب تتكلم به رفعًا ونصبًا))[3]، فـ(سُبُوح قُدُوس) يقالان بالرفع عند سماع من يذكر الله على إضمار مذكورك فليسا بمصدرين، وبالنصب على إضمار:ذكرت سبوحًا قدوسًا، أي: أهل ذلك، فاختلف على هذا الفعل الناصب واجب الإضمار، أو جائزه[4] وقد بَيَّن الدكتور محمود فجال أنّ سبب اختزال الفعل، لأن الكلام صار عندهم بدلًا من (سبَّحْت) كما كان (مَرحباً بدلاً من رَحُبَتْ بلادُك و

١() دراسات في كتاب سيبويه، دكتورة خديجة الحديثي: ٦٢.

٢() كتاب سيبويه: ٣٢٧/١، الحديث بنصِّه أخرجه مسلم من صحيحه: ٥١/٢، رقم الحديث ٤٨٧.

٣() كتاب سيبويه: ٣٢٧/١.

٤() ينظر: الحديث النبوي في النحو العربي: ١٧٩.

أهِلَتْ)[1] وقد علل السيرافي وجه الرفع في هذه المصادر، بأنّ العرب جعلوها كالشيء اللازم الواجب فأخبروا عنها وجعلوها مبتدأ وما بعدها خبر، و ذكر أَنّه في حال اجتمع معرفة مع نكرة فالوجه أن تبتدئ بالمعارف، فيكون هو المبتدأ المخبر عنه، و إن أُخِر في اللفظ[2]، نجد سيبويه هنا يورد روايتين في الحديث النبوي الشريف يُدْلِي بها بحسب ما تكلمت به العرب، رفعاً ونصباً، ويفسِّر كل وجه من الوجهين، ويستشهد له بأمثلة من كلام العرب[3].

٢-الحديث الثاني: ما من أيامٍ أَحَبُّ إلى الله-عز وجل- فيها الصومُ منه في عشرة ذي الحجة [4].

أورد سيبويه الحديث في باب ما يكون من الأسماء صفة مفردًا و أشباهه و أصل الكلام: أحب إلى الله تعالى فيها الصوم منه إليه في عشر ذي الحجة، و أوقعوا على عشر ذي الحجة، وهي في الأَصل واقعة على ضمير الصوم، فالمعنى هو المعنى الاول وإن وقع هذا الحذف، ووجه الاستشهاد هو لبيان حكم رفع اسم

١() ينظر: المصدر نفسه:١٧٩ .

٢() شرح كتاب سيبويه: السيرافي: ٢/٢٢٠.

٣() ينظر: دراسات في كتاب سيبويه، دكتورة خديجة الحديثي: ٦٤.

٤() كتاب سيبويه: ٢/٣٢، نص الحديث (ما من أيام أحبُّ إلى الله أنْ يُتعبَّد له فيها مِنْ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يومٍ منها بصيامِ سَنَةٍ وقيامُ كُلِّ ليلةٍ منها بقيامِ ليلةِ القَدر) أخرجه الترمذي: ٣/١٣١، رقم الحديث ٧٥٨.

التفضيل الظاهر للفاعل[١]، وأورد عليها الحديث النبوي الشريف حتى يبرهن به على ما اتفقت عليه العرب من جواز هذه المسألة، وضابطها أن يكون اسم التفضيل (أفعل) صفة لاسم جنس مسبوق بنفي أو استفهام[٢]، وبذلك يكون سيبويه قد استدل بالحديث النبوي الشريف بوصفه مرجعًا لغويًا يستند إليه في بعض المسائل النحوية لتقوية حكم نحوي أو إثبات قاعدة نحوية.

٣-الحديث الثالث: كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصِّرانه [٣]:

استدل سيبويه بهذا الحديث الشريف على اختلاف المعنى باختلاف حركات الإعراب، وقد أجاز فيه سيبويه حمل الكلام على أوجه متعددة من الإعراب استنادًا إلى المعاني المختلفة التي يدل عليها[٤]،قال سيبويه: ((وأما قولهم " كلُّ مولودٍ يُوْلَدُ على الفِطْرَة، حتى يكون أبواه هما اللذان يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِّرانِهِ" ففيه ثلاثة

١() ينظر: كتاب سيبويه: ٣١/٢، تُعرف هذه المسألة بـ(مسألة الكحل) وهي من مسائل اسم التفضيل، وهي التي يجوز بوساطتها ان يرفع اسم التفضيل اسمًا ظاهرًا وضابطها أن يكون في الكلام نفي بعده اسم جنس موصوف باسم تفضيل، بعده اسم مفضل على نفسه باعتبارين، ينظر: قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م :٢١.

٢() ينظر: قطر الندى: ٢١.

٣() كتاب سيبويه: ٣٩٣/٢، الحديث في صحيح البخاري (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) رقم الحديث ١٣٨٥

٤() دراسات في كتاب سيبويه: الدكتورة: خديجة الحديثي: ٦١.

أوجه، فالرفع وجهان والنصب وجه واحد، فأحد وجهي الرفع: أن يكون المولود مضمراً في يكون، والأبوان مبتدآن، وما بعدهما مبني عليهما، كأنه قال: حتى يكون المولود أبواه اللذان يهوّدانه وينصّرانه[...] والوجه الآخر: أن تُعْمِل يكونَ في الأبوين، ويكون (هما) مبتدأ، والنصب على أن تجعل هُما فصلًا))[١].

٤-الحديث الرابع: لبيك أن الحمد والنعمة لك [٢].

استشهد سيبويه في هذا الحديث على جواز كسر (أنَّ) وفتحها، واشترط لذلك أن تقع (أَن) في موضع التعليل، يقول سيبويه: ((وتقول: لبيك إنَّ الحمد والنعمة لك، و إنْ شئت قلت: أَنَّ))[٣]، فجاز في هذه الرواية أن تقول بالكسر والفتح، فالفتح على تقدير لام العلة، والكسر على أنه تعليل مستأنف، وهو أرجح؛ لأن الكلام حينئذ جملتان لا جملة واحدة، وتكثير الجمل في مقام التعظيم مطلوب[٤]، وذكر(ثعلب ت٢٩١هـ))أنَّ الكسر أجود، لأنَّ من كَسَرَ جعل معناه: إنّ الحمد والنعمة لك على كل حال ومن فتح قال: لبيك لهذا السبب[٥]، وبهذا يكون سيبويه قد استدل بالحديث النبوي الشريف على جواز الكسر والفتح في (أنّ)، مع بيان المسوغ لتلك الحالة

١() كتاب سيبويه: ٣٩٣/٢.

٢() المصدر نفسه: ١٢٨/٣، صحيح البخاري: ١٤٧/٢، وصحيح مسلم : ٧/٤.

٣() المصدر نفسه: ١٢٨/٣.

٤() ينظر: الحديث النبوي في النحو العربي: ١٩٧.

٥() ينظر: مجالس ثعلب: ٣٠.

الاعرابية سواء كانت بالفتح أم بالنصب، ولذلك نستطيع الإفادة من هذه الشواهد التي أوردناها أنْ نستنتج أنَّه احتج ببعض منها، واستعان ببعضها على تفسير عبارات وردت عن العرب، أو توضيح شاهد قرآني ورد في مسألة من المسائل.

المبحث الثاني

الشعر العربي، الأمثال

أولاً: الشعر العربي

يُعد الشعر العربي مادة أساسية من مواد الاحتجاج التي اعتمد عليها اللغويون والنحاة عند استقراء الكلام العربي، ولذلك اهتموا به اهتمامًا كبيرًا، وزادت عنايتهم به بمرور الزَّمان فكانوا يحتجون به في القضايا اللغوية والنحوية، وجعلوه مصدرًا مهمًا للاستشهاد على قواعدهم النحوية، وشرح غريب اللغة، فنجدهم استمعوا إلى الأعراب وقصدوهم، ونقلوا عن الشعراء، لذا فقد حظي الشاهد الشعري بعناية كبيرة لدى علماء العربيَّة؛ لأنَّه: ((ديوان العرب و به حُفظت الأنساب وعرفت المآثر ومنه تُعلمت اللغة وهو حجّة فيما أشكل من غريب كتاب الله جلَّ ثناؤه، وغريب حديث رسول الله "صلى الله عليه و [آله]* وحديث صحابته والتابعين))[1]، وقد صرّح ابن رشيق القيروانيُّ (ت٤٥٦ هـ) بأنّ الشعر هو: ((أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب [...] وأحرى أن تقبل شهادته وتتمثَّل إيراداته))[2]، مع ما للشعر من ((عظيم المزيَّة وشرف الأبيَّة وعزِّ الأنفة وسلطان القدرة))[3]، لذا إنَّ اعتماد النحويّين على الشعر أكثر من النثر، في

*ما بين المعقوفتين ليس من النص.

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، احمد ابن فارس (ت٣٩٥ هـ)، تح: احمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م: ٢٧٥.

٢() علم البديع : عبد العزيز عتيق (ت١٣٩٦هـ) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د–ط) (د–ت): ٢٥.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٨م: ١٥٢.

مجال الاحتجاج، والسبب يعود إلى أنَّ منزلة الشعر عظيمة في نفوس العرب، وما يحمله الشعر من خصوصيَّة في مواقفه وتعبيراته ممَّا جعلت للشعر مزيَّةً على النثر[١] وكان سيبويه يقول دائمًا بعد أن يعلّق على الشاهد الشعري ((سمعناه ممَّن يوثق بعربيته))[٢]، و ((حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول))[٣]، ويقول: ((حدثنا الخليل أنّه سمع من العرب من يوثق بعربيته ينشد هذا البيت))[٤]، فيصبح هذا البيت من شواهد النحو، قال الجرمي: ((نظرتُ في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً، فأما الألف فقد عرفت أسماء قائليها فأثبتها وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها))[٥]، وعلّلت الدكتورة خديجة الحديثيّ ترك شواهد سيبويه من دون نسبة بأنّه أي سيبويه خشي أنْ لا تكون النسبة صحيحة، تقول في ذلك: ((ونحن نعلم أنّ كثيرًا من أبيات الكتاب تركها غُفلًا من اسم الشاعر؛ لأنّه خشي أنْ لا تكون النسبة صحيحة، ولم ينسب منها إلَّا ما نسبه شيوخه ورواه عنهم، أو ما رواه من يثق بروايته

(١) ينظر الشواهد والاستشهاد في النحو ، د. عبد الجبار علوان النايلة ، مطبعة الزهراء،ط١ ، بغداد ١٩٧٦م: ٢٢، و نحو التيسير: أحمد عبد الستار الجواريّ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤م: ٥، و من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط٧، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م: ٣٢٥.

٢() كتاب سيبويه: ٧٧/١، ٣١٣/١.

٣() المصدر نفسه: ١٤٠/٢، ويُقْصد به أبا زيد الأنصاري.

٤() المصدر نفسه: ١١٠/٢.

٥() خزانة الأدب: البغدادي: ٨/١.

من فصحاء العرب))[1]، ويذكر الدكتور خالد عبد الكريم جمعة: ((إنّ سيبويه لم يكن يُعنى بنسبة شواهد الشعر في كتابه، ويبدو أنّه كان واثقًا من صدق الذين أخذها عنهم، وكان واثقًا أيضًا من دقتهم وتثبتها ولعلّه وثّق شواهده بنفسه، فتحرّى عنها، وتتبّع أصحابها ونقلتها، ووثق بصحّتها، وبالذين روَوها، ثمّ استخدمها في كتابه في ما بعد مطمئنًّا إليها، ولذلك لم يعطِ قضية نسبة الشواهد اهتمامًا كبيرًا))[2].

وقد أحصيت الأبيات الشعرية في كتاب سيبويه فوجدتها (تسعة عشر ومئتين و ألف بيتًا مع المكرر منها)، وجاءت هذه الشواهد الشعرية لبيان القواعد اللغوية، وقد ينسب الأبيات إلى قائلها وهو الغالب، وقد لا ينسبها وهو القليل، وهذه الشواهد قد لا ينقلها بنفسه بل بالوساطة أحيانًا عن طريق شيوخه الذين يثق بهم، فقد سمع سيبويه تلك الشواهد من الخليل ومن عيسى بن عمر، ومن يونس ومن أبي عمرو بن العلاء، ومن أبي زيد الأنصاري وقد نَصَّ على أنَّه سمع تلك الشواهد منهم[3]، لذلك نستنتج أنَّ الشعر العربي مَثَّل مرجعية لغوية وثيقة عند سيبويه، و استشهد سيبويه بشعر شعراء من مختلف القبائل، وهم قيس وتميم و أسد وطيِّئ، وهُذَيل، وهم من أفصح القبائل، وكذلك قضاعة وثقيف وبكر وتغلب و إياد، فهذه القبائل استشهد سيبويه بشعر

١() سيبويه حياته وكتابه، الدكتورة خديجة الحديثي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م: ١٥٤.

٢() شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ١٨٠ .

٣() ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٣ .

شعرائهم مع تفاوت في عدد شواهد كل منهم و أما بهراء وجذام و أشعر وخولان وحمير ومهرة فقد استبعدها؛ لأنها لم تنجب شاعرًا معروفًا ذائع الصيت[١]، وهذا يدل على صلابة جذور هذه المرجعية عند سيبويه، لأنّه اعتمد على أفصح القبائل عند استدلالاته اللغوية، وسأعرض نماذج لتوثيق هذه المرجعية عند سيبويه في كتابه على سبيل التمثيل لا الحصر.

١- الإضمار في (كان) كالإضمار في (ليس).

استدل سيبويه على أنَّ الإضمار في كان كالإضمار في ليس واستشهد لذلك بقول الشاعر العجير السلولي:

إذا مِتُّ كانَ الناس صنفانِ شامِتٌ و آخَرُ مُثْنِ بالذي كنتُ أَصْنَعُ[٢].

ذكر سيبويه أنَّ في (كان) ضمير الشأن و الأمر، و(الناس) بعد كان مرفوع بالابتداء وصنفان خبر للمبتدأ، والجملة في موضع خبر كان، و(شامت) بدل من صنفان و (آخر) معطوف عليه، كأنه قال: صنفان : صنف شامت، وصنف مثن[٣]، وبذلك فإنَّ

١() ينظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٣٤٢.

٢() البيت للعجير السلولي، ينظر: خزانة الأدب: ٧٢/٩.

٣() ينظر:كتاب سيبويه: ٧١/١، وشرح أبيات سيبويه، أبو محمد بن المرزبان ابن السيرافي، تحقيق: د-محمد الريح هاشم، بيروت، دار الجيل، الطبعة الاولى، ١٩٩٦م: ١٠٠/١، وتحصيل عين الذهب ، يوس بن سليمان الشمنتري، تحقيق: دكتور زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢: ٩٥.

سيبويه يوثّق المسألة النحوية بوساطة البيت الشعري ليستدل به، جاعلًا منه مرجعًا لغويًا يُضاف إلى مرجعياته اللغوية الرصينة.

٢-جواز نصب المضارع بـ(أنْ) مضمرة .

برهن سيبويه على جواز نصب المضارع بـ(أن) مضمرة وذلك بعطفها على ما ليس بمصدر، قال سيبويه: ((وسمعنا من ينشد هذا البيت من العرب وهو لكعب الغنوي:

وما أنا للشيء الذي ليس نافِعِي ويَغْضَبَ منه صاحِبي بقَؤُولِ[١].

والرفع أيضاً جائزٌ حسن))[٢]، فالرفع هنا جائزٌ و حَسَنٌ؛ لأن المعنى به واضح ظاهر،وتقدير الكلام: الذي ينفعني ويغضب منه صاحبي، و أما النصب فلا يصح إلَّا بتأويل، لأنَّ الشيء ليس بمصدر، فلا يصح العطف عليه بعد النصب بـ(أن) إلَّا بتقدير (لام) تجره[٣]، ((والتقدير : وما أنا بقؤول للشيء غير النافع و لأن يغضب منه صاحبي، أي: لست بقؤول للسبب الذي يؤدي لغضبه))[٤]، ويُلاحظ أنَّ استدلالات سيبويه بهذه الأبيات الشعرية قائمة على أسس لغوية رصينة.

١() البيت للشاعر كعب الغنوي، ينظر: كتاب سيبويه: ٣/٩٥، المقتضب: ٢/١٩.

٢() كتاب سيبويه: ٣/٤٦.

٣() ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٣/٢٤٠.

٤() تحصيل عين الذهب، الاعلم الشمنتري: ٤٠٠.

٣-جزم الفعل المضارع إذا كان جوابًا للاستفهام.

استدل سيبويه على جزم الفعل المضارع في حال كان جوابًا للاستفهام، واستشهد لذلك بالبيت الشعري :

متى أنامُ لا يُؤرِّقْني الكَرِىّ ليلًا ولا أسمعُ أجْراسَ المَطِي[١].

يفسِّر سيبويه معنى البيت فيقول: ((كأنّه قال: إن يكن مني نومٌ في غير هذه الحال لا يؤرقني الكَرى، كأنه لم يعد نومه في هذه الحال نومًا، وقد سمعنا من العرب من يشمه الرفع، كأنه يقول: متى أنام غير مؤرق))[٢]، وبذلك يكون الفعل (يؤرقني) مرفوع أُهملت ضمته للثقل والمعنى: متى أنام غير مؤرق، كأنه تمنى النوم الذي لا ينتبه منه ولا وجود للسهر فيه، وبهذا المعنى أشمَّه الرفع من أشمه[٣]، فحكم الاول الذي عطف عليه هذا الفعل أن يكون مرفوعًا، لكن لما لم يمكنه أن يخلص الحركة في (يؤرقني) أشمّها، وحمل أسمع عليه، ولو أشبع لخرج من الرجز إلى الكامل، و محال أن يجمع بين عروضين مختلفين[٤].

١() كتاب سيبويه: ٤٦/٣، والخصائص: ٧٣/١. الرجز غير منسوب .

٢() كتاب سيبويه: ٩٥/٣.

٣() ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٣٠٢/٣.

٤() ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠م: ٢٤٨/٩.

٤-جواز الترخيم في غير الأَسماء.

استدل سيبويه على وقوع الترخيم في غير الأَسماء وعدَّهُ ضرورة في الشعر مستدلًا بالشاهد الشعري:

إذا اعوَجَجْنَ قلتُ صاحِبْ قوّمِ بالدَّوِّ أمْثالَ الَّفينِ العُوَّمِ[١].

قال سيبويه: ((فسألت من يُنشد هذا البيت من العرب، فزعم أنه يريد: صاحبي))[٢].

هنا حذف الياء من (صاحبي) واكتفى بالكسرة، ثم اضطر فحذف الكسرة، تشبيهاً له في حال الوصل به إذا كان في الوقف، ومن لا يُجَوِّز هذا، يحيله على الترخيم، و (صاحب) صفة وهي لا ترخم[٣]، وقد ورد ذلك للضرورة الشعرية لذلك راعى سيبويه سياق الحال الذي ينتج عنه ضرورة ما، في مسألة من المسائل النحوية، هادفًا من ذلك الحفاظ على سلامة التركيب النحوي بوساطة استدلالاته اللغوية استنادًا إلى مرجعياته التي عالجها في كتابه.

١() البيت لابن نحيلة، ينظر: شرح أبيات سيبويه: ٣٩٨/٢، والخصائص: ٧٥/١.
٢() كتاب سيبويه: ٢٠٣/٤.
٣() ينظر: شرح أبيات سيبويه: ابن السيرافي: ٣٤١/٢.

٥-جواز رفع جواب الشرط على تقدير التقديم.

أما جواز رفع جواب الشرط بتقدير التقديم، فاستشهد على هذه المسألة ببيتٍ من الشعر للعجير السلولي:

وما ذاك أنْ كانَ ابنَ عَمِيّ ولا أخي ولكنْ متى ما أملِكِ الضَّرَّ أنْفَعُ[١].

قاله الشاعر وهو يفخر بأنه إذا قدر على الضرّ والبطش، تركهما إلى النفع والإحسان، وضمير كان اسمها، فرفع (أنفع) على نية التقديم، وتقدير القول: ولكن أنفع متى ما أملك الضّر، وهو دليل جواب الشرط بـ(متى)[٢]، قال سيبويه بعد أنْ ذكر البيت: ((والقوافي مرفوعة، كأنه قال: ولكن أنفع متى ما أَمْلِكِ الضُّرَّ، ويكون (أَمْلِكْ) على (متى) في موضع جزاء، و (ما) لغوٌ، ولم يجد سبيلًا إلى أن يكون بمنزلة (مَنْ) فتوصل، ولكنها كـ(مهما)))[٣]، فـ(أنفع) مرفوع في موضع الجواب وسبب الرفع هو تقديره قبل الشرط[٤]، وجزم (أَمْلِكْ)؛ لأنّها لا تنصرف إلى مذهب (مَنْ) و أخواتها، فيرفع بعدها الفعل صلة لها[٥].

بعد عرض الأمثلة التوثيقية التي تُعَضِّد أُصول هذه المرجعية في كتاب سيبويه يتحصل لنا أنّ سيبويه عَمِلَ على إبراز هذه المرجعية في كتابه، وهو الرائد الأول لها

١() كتاب سيبويه: ٧٨/٣، وخزانة الادب: ٧٠/٩.

٢() ينظر: شرح الشواهد الشعرية في أُمات الكتب النحوية، محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٧م: ٩١/٢.

٣() كتاب سيبويه: ٧٨/٣.

٤() ينظر: شرح أبيات سيبويه: السيرافي: ١٥٠/٢.

٥() ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٨/٣.

كون الكتاب هو المدونة النحوية الأُولى التي أغنت البحث اللغوي، وخير دليل على ذلك ما أدلينا به من أمثلة من الكتاب نفسه، وما هي إلّا غيض من فيض، فالكتاب يزخر بالأدلة التي تثبت هذه المرجعية كما غيرها من المرجعيات.

ثانياً: الأمثال.

تأتي الأمثال في مقدمة البيان العربي، إذ يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة[١]، والمثل:((جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلها بذاتها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، ولذلك تضرب و أن جهلت أسبابها التي خرجت عليها))[٢]، و ((لما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخففَّ استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبله و أشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها و لكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها وجسيم

١() ينظر: مجمع الأمثال، الميدانيّ أحمد بن محمّد (ت٥١٨هـ) ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٩م: ١/١٤.

٢() زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: الدكتور محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨١: ١/٢٠.

عائدتها))[1]، فالأمثال التي تقع شواهد نثرية في النحو العربي شواهد موثقة رددتها الأفواه، وتغنت بها الركبان، فهي: ((قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها وزبدة حوارها ونوادر حكمها، وبيضة منطقها وبلاغتها التي أعربت عن القرائح السليمة والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقَصَّرت العبارة فأطالت المغزى وَلَوَّحَت فأغرَقَتْ في التصريح، وكَنَتْ فأغنت عن الافصاح[...] وللنثر أنَّى سلكت ثناؤه طلاوةٌ[...] حتى شبهوا لها كل سائر أمعنوا في وصفه، وشارد لم يألوا في نعته))[2] وهي ((مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة اذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ موكل بما راع من اللفظ وندر من المعنى))[3]، ولذا قيل الأمثال تُحكى؛ لأنَّها تضرب على ما جاءت عن العرب ولا تغير صيغتها، فتقول للرجل: ((الصيف ضيعتِ اللبن، فتكسر التاء لأنّها حكاية))[4]، وذكر الدكتور عبد الرحمن حاج صالح إنَّ ((الأمثال وما يجري مجراها وإن كانت نثرًا فإنها من نوع النصوص المحفوظة، ينقلها بعضهم إلى بعض كما وردت، وهي بذلك قريبة

١() جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكريّ، دار الفكر، لبنان، بيروت، (د-ت): ١/٤-٥.

٢() المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م: ١/٢-٣.

٣() جمهرة الامثال للعسكري: ١/٥.

٤() المصدر نفسه: ١/٧.

من الشعر، لكونها تسير بين الناس))[1]، قال السيرافي إنَّ ((أصلُ الأمثالِ أن يتكلَّمَ الإنسان بحضرةِ قومٍ وفي كلامهِ من الألفاظِ ما يستطرفهُ بعضهم من الألفاظِ فيُعيدُ اللفظ المُستَطرَف، فربما أعادَ جملةِ الكلامِ، وربَّما كان على سبب لا يعيدهُ ولا يذكرهُ ولا يتمُّ إلَّا بذلك السبب، ويقع فيه ضمير ليس في الكلام ما يعودُ إليه؛ لأنَّ المُتمثل استطرَفهُ وتمثَّلهُ فلا حاجةَ به إلى ذكرِ ما حُذِفَ من الكلام لأنَّ المُتبقي هو المثل))[2]، لذلك شكلت الأمثال عند سيبويه مادة صالحة للاحتجاج النحوي، وتجدر الإشارة إلى أنَّ سيبويه سبق بكتابه كتب الأمثال التي ألَّفها كثير من العلماء، فالذي يجري مجرى الأمثال هو كل كلام كثر استعماله فاشتهر لذلك.

ومن الامثال التي وردت في كتاب سيبويه والتي تُدلل على أنَّ سيبويه جعل من الأمثال العربية مرجعًا لغويًا رصينًا في كتابه ما يلي:

١- ((**اللّهُمَّ ضَبُعًا و ذِئْبًا**))[3] و ((**أمْرَ مُبْكِياتِكَ لَا مُضْحِكَاتِكَ**))[4] و ((**الظِّبَاءَ عَلَى البَقَرِ**))[5]، ذكر سيبويه هذه الأمثال الثلاثة في(باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا عَلِمْت أنَّ الرجلَ مُستغْنٍ عن لَفْظِكَ بالفِعل)

١() السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، د-عبد الرحمن صالح، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م: ٢٦٣.

(٢) شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٥١/٥.

٣() كتاب سيبويه: ٢٥٥/١، وينظر: مجمع الأمثال، الميداني: ٨٤/٢.

٤() المصدر نفسه: ٢٥٦/١، وينظر: المصدر نفسه: ٣٠/١.

٥() المصدر نفسه: ٢٥٦/١، وينظر: المصدر نفسه: ٤٤٤/١.

أورد سيبويه هذه الأمثلة في كتابه كمرجعية لغوية يستدل بها على جواز حذف الفعل المأمور به أو المنهي عنه إذا كانت الحال دالة على المحذوف قائمة مقامه في وضوح المعنى فيحصل الإفهام مع الإيجاز، قال سيبويه: ((وهذه حُججٌ سُمِعَتْ من العرب وممّن يوثق به يَزْعُمُ أنَّه سَمِعَها من العرب، ذلك قولُ العرب في مَثَلٍ من أمثالهم (اللهُمَّ ضَبُعًا و ذِئبًا) إذا كان يَدْعو بذلك على غنمِ رجُل، و إذا سألتهم ما يعنُون قالوا(اللهم أجْمَعْ) أو (اجعلْ فيها ضَبُعًا و ذئبًا)، وكلُّهم يفسَّرُ ما يَنْوِي، وإنَّما سهُلَ تفسيره عندهم ؛لأن المضمر قد استُعمل في هذا الموضع عندهم بإظهار[...] ومنه قول العرب (أمرَ مُبكياتِك لا أمرَ مُضحِكاتِك) و (الظِّباءَ على البقرِ)، يقول: عليك أمرَ مبكياتك، و خَلِّ الظباء على البقرِ))[1]، وتقديره: الزم أمر مبكياتك من الكلم الذي فيه لا أمر مضحكاتك))[2]، قال السيرافي: ((ومنه قول العرب " أمرَ مبكياتك لا أمر مضحكاتك" فمعناه: عليك بأمر مبكياتك، واتبع أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك))[3]، فإنَّ (عليك) هنا اسم فعل أمر بمعنى (الزم)، وقد اتفق الرماني مع سيبويه في تقديره، فقال: ((تقول الظباءَ على البقر، أي: خلِّ الظباءَ على البقر، فهنا يجوز إظهار الفعل فيه، لأنّ الحكمة اقتضت التحذير من الدخول في أمرهم، فيجيء هذا كالمثل، وليس بمثل محقق

١() كتاب سيبويه: ١/ ٢٥٥.

٢() شرح كتاب سيبويه: علي بن عيسى الرماني: ٢/٥٤٩.

٣() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٢/١٥٥.

لذلك جاز إظهار الفعل، ولو كان مثلًا لم يغير عن صيغته))[1]، ومن ثم وافق الرماني سيبويه في التقدير، وأكَّد السيرافي ذلك بقوله: ((ومنه "الظباءَ على البقر" والمعنى في المثل: " أنك تنهاه عن الدخول بين قوم يتشابهون ويتكافؤون في سوء أو غيره، وتقديره خلِّ الظباءَ على البقر))[2]، وشرح السيرافي ما جاء به سيبويه في كتابه من رفع (الظباءُ)، بقوله: (("الظباءُ على البقر" فتقديره: الظباءُ متروكة على البقر، وإذا نصب فقال (الظباءَ على البقر) فأنه قال: اترك الظباءَ على البقر، و إنما يعني بقر الوحش؛لأنها ترعى مع الظباء في موضع، وبعضها أولى ببعض))[3]، وذكر الزمخشري في (المستقصى من أمثال العرب) قال: (("الظباءَ على البقر"[...] ويروى "الكلاب على البقر"[...] ويروى " الكرابَ على البقر"[...] وفي ثلاثتها يجوز الرفع على الابتداء والنصب على إضمار الفعل))[4]، وهو بشرحه هذا يتفق مع شرح السيرافي.

وهذه الأَمثلة هي مواضع اعتماد سيبويه على المثل العربي كمرجع في إثبات حكم نحوي، وقد بينت معناها والغرض من الاستدل بها.

١() شرح كتاب سيبويه، الرماني: ٥٤٩/٢.

٢() شرح كتاب سيبويه: السيرافي: ١٥٥/٢.

٣() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ١٦٨/٢.

٤() المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، ٣٣٠/١.

٢- ((**شرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ**[١]، **أَمْتٌ فِي الحَجَرِ لَا فِيكَ**[٢])).

ذكر سيبويه هذين المثلين في (باب يُختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنيًّا عليها ما بعدها، وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات) فقال: ((وأمّا قولُه (شيء ما جاءَ بك) فإنه يَحسُن، وإن لم يكن على فعل مضمَرٍ، لأنَّ فيه معنى (ما جاء بك إلاَّ شيءٌ)، و مثلُه مَثَلٌ للعرب (شرٌّ أهَرَّ ذا ناب)، وقد ابتُدئَ في الكلام على غير ذا المعنى وعلى غير ما فيه معنى المنصوب وليس بالأصل، قالوا في مَثَلٍ (أمْتٌ في الحجر لا فيك))[٣].

عرض سيبويه هذين المثلين لتوجيه ما ابتدأته العرب بنكرة في قولهم (شيءٌ ما جاء بك) و (شَرٌّ أهرَّ ذا ناب)، بعد أن بَيَّنَ أنّ الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة ((فذكر أنه يحسن ذلك لأنَّ معناه: ما جاء بك إلّا شيء، وما أهر ذا ناب إلّا شر فالابتداء محمول على معنى الفاعل، وجرى مثلًا فاحتمل))[٤]، وأما (أَمْتٌ في الحجر لا فيك)، فـ((معناه: اعوجاجٌ في حجر لا فيك، فحمله سيبويه على أنَّه إخبار محض و أن ذلك جاز لأنه مثل))[٥]، تعمّق الرماني بتفسيره هذا فقال: ((وقالوا " أمتٌ في حجر لا فيك) ابتدأ بالنكرة؛ لأنَّ فيها فائدة من جهة المدح والتعظيم الذي في الكلام، كأنّه

١() كتاب سيبويه: ٣٢٩/١، مجمع الأمثال، الميداني: ٣٧٠/١.

٢() المصدر نفسه: ٣٢٩/١، المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري: ٣٦٠/١.

٣() كتاب سيبويه: ٣٢٩/١.

٤() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٢٢٠/٢.

٥() المصدر نفسه: ٢٢٠/٢.

يقول (اضطراب في حجر لا فيك) لشدة تمثلك بطريق الاستقامة، فحصلت الفائدة لهذه العلة))[١]، وغرض سيبويه هو تقرير حكم تتحصل بوساطته فائدة لغوية، وهذه الفائدة تتلخص في أنَّ((الذي يجوز الإخبار عنه من النكرة ما وقعت به فائدة))[٢].

٣-((**قضيَّةٌ وَ لَا أَبَا حَسَنٍ**))[٣].

ذكره سيبويه في (باب ما لا تغير فيه الأسماء عن حالها التي كانت عليها قبل أن تدخل لا) فقال: ((لأنَّه لا يجوز لك أن تُعمل (لا) في معرفة، و إنما تُعمِلها في النكرة، فإذا جعلت (أبا حسن) نكرة حَسُن لك أن تعمل (لا) وعلم المخاطب أنه قد دخل في هؤلاء المنكورين علي، وأنه قد غيب عنها، فإن قلت: إنه لم يُرِدْ أن ينفي كل من اسمه عليٌّ، فإنما أراد أن ينفي منكورين كلهم في قضيته مثل عليٍّ، كأنَّه قال (لا أمثال علي لهذه القضية) ودَلَّ هذا الكلام على أنه ليس لها عليٌّ وأنه قد غيب عنها، و إن جعلته نكرة ورفعته كما رفعت (لا براحُ) فجائز))[٤]، وجاء قول سيبويه هذا بعد إقراره القاعدة التي تقول: ((واعلم أنّ المعارف لا تجري مجرى النكرة في هذا الباب، لأنَّ

١() شرح كتاب سيبويه، الرماني: ٦٦٧/٢.

٢() المصدر نفسه: ٦٦٦/٢.

٣() كتاب سيبويه: ٢٩٧/٢، لم أجده في كتب الأمثال، صرَّح المبرد بأنَّه مثل، ينظر، المقتضب : ٣٦٣/٤.

٤() كتاب سيبويه : ٢٩٧/٢.

(لا) لا تعمل في معرفة أبدًا))[١]، فكان لزامًا أن يفسِّر ما دخلت عليه (لا) من أسماء الأعلام مما ثبت عن العرب كقولهم (لا هيثمَ الليلة للمطي) وقولهم (لا بصرة لكم) و(لا أميةَ بالبلاد) و أخيرًا (قضيةٌ ولَا أبَا حَسَنٍ)[٢]، على أنّ ذلك: ((مؤول إما بتقدير مضاف وهو (مِثْلُ)، وإمَّا بتأويل العَلَم باسم الجنس))[٣].

٤-مَواعيدَ عُرْقوبٍ أخاه بَيثْرِبٍ[٤].

ساقَ سيبويه هذا المثل في كل من أخلف الوعد فيما يعظم من الأمر، وفي ذلك قال سيبويه: ((مَوَاعِيْدَ عُرْقوبٍ أخاه بَيثْرِبٍ، كأنَّه قال: واعَدْتَني مَواعيدَ عرقوبٍ أخاه ولكنه ترك(واعدتني) استغناءً بما هو فيه من ذكر الخُلْفِ، واكتفاءً بعلم من يعني بما كان بينهما قبل ذلك))[٥]، فهذا المثل يُقال لمَن أخلف وعده، والخلف لا يكون إلَّا في الوعد؛ لأنَّهما متلازمان، وهذا ما أكّدَهُ الرماني بقوله: ((وتقول: مواعيدَ عرقوب أخاه بيثربِ عند ظهور الخلف منه، وتقديره: واعدتني مواعيدَ عرقوب أخاه بيثربِ، وهو مثل في كل من أخلف الوعد فيما يعظم من الأمر، وإنما كان الخُلْفُ دليلاً على الوعد لانعقاده به على اللزوم به، إذ لا يكون الخُلْفُ إلَّا خُلْفًا للوعد))[٦]، ومحل استدلال

١() المصدر نفسه: ٢/٢٩٦.

٢() ينظر: كتاب سيبويه: ٢/٢٩٦-٢٩٧.

٣() خزانة الأدب: ٢/٩٨.

٤() كتاب سيبويه: ١/٢٧٢، وينظر: المستقصى في أمثال العرب:: ١/١٠٨.

٥() كتاب سيبويه: ١/٢٧٢.

٦() شرح كتاب سيبويه، الرماني: ٢/٥٧٣.

سيبويه بهذا المثل أنَّه أعمل المصدر (مواعيدَ) وهو مصدر منصوب لفعل محذوف وهو جمع موعد، وهنا تتجلى هذه المرجعية عند سيبويه في كتابه تجلياً واضحاً.

٥-مُذ شُبَّ إلى دُبَّ[١].

برهن سيبويه بهذا المثل على أنَّ ما يسمى بفعل يجوز فيه وجهان: الحكاية والإعراب، إنْ سُمِّي به وفيه ضمير الفاعل لم يجز إلّا الحكاية، و إن سُمّي به مفردًا لم يجز إلّا الإعراب[٢]، ذكر سيبويه هذا المثل في باب تسمية الحروف بالظروف وغيرها من الأَسماء، حيث قال: ((فإن أردت حكاية هذه الحروف تركتها على حالها[...] وفي الحكاية قالوا: (مُذ شُبَّ إلى دُبَّ) و إنْ شئت (مُذ شُبٍّ إلى دُبٍّ)))[٣] وذكر ابن خروف أن وجه الشاهد في هذا المثل هو الحكاية والإعراب، وشُبَّ و دُبَّ مردودان لما لم يسم فاعله، ولا يتعديان، ولكنهما بنيا للمصدر[٤] وتجدر الاشارة إلى أنَّ هذا المثل يضرب للبغيض ولمن يكون في أمر عظيم غير مرضي فيمتد فيه أو يأتي بما هو أعظم منه[٥]، وبذلك يكون سيبويه قد أوْدع الأمثال في كتابه وجَعَلها من مرجعياته اللغوية التي يستدل بها على المسائل النحوية المتعددة.

١() كتاب سيبويه: ٢٦٩/٣، وينظر: مجمع الأمثال: ٧/٢.

٢() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٣٧/٤.

٣() كتاب سيبويه: ٢٦٨/٣.

٤() ينظر: تنقيح اللباب في شرح غوامض الكتاب، أبو الحسن بن خروف ، تحقيق: خليفة بديري، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م: ٣٥٠.

٥() ينظر: جمهرة الامثال: ٥٤/١.

المبحث الثالث

ما سمعه من العلماء والفصحاء، كلام العرب

توطئة:

بُنِيَ معظم كتاب سيبويه على ما نقله عن العرب و العلماء والفصحاء من أقوال وآراء لغوية، فكان كتابه معينًا ثرًّا لآراء النحاة الأوائل ممن لم تصلنا كتبهم فكتابه:((يعد مجمعًا للتراث النحوي في مرحلة زمنية تقع بين سنتي تسع وستين ومئة، وسنة ثمانين ومئة للهجرة، أي بين وفاة أَبي الأَسود الدؤلي ووفاة سيبويه، ففي هذا الكتاب من تراث الخليل ويونس وعيسى وأَبي عمرو والحضرمي إلى جانب ما استنبطه سيبويه))[١].

كان سيبويه أمينًا في النقل عن هؤلاء العلماء والفصحاء، فقد كان ينسب إليهم آراءهم، بأمانة منقطعة النظير، فهو يعتمد على كلامهم في تقعيده للنحو، ووضع قوانين الإعراب[٢].

وسأرتبهم بحسب عدد المرات التي ذكروا فيها في الكتاب وهي على النحو الآتي:

١-الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) (٧٢٠) مرة[٣].

٢- يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) (٢٦٠) مرة[٤].

١() أصول النحو العربي : ١٧.

٢() ينظر: مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، اعتناء ودراسة: أحمد الزغبي، دار الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت: ٥٦٠ – ٥٦١ .

٣() كتاب سيبويه: على سبيل التمثيل:٣٩٣/١، ٣٩٥/١، ٤٣٧/١، ٢٦/٢، ٤٧/٢، ٥٩/٢، ٣٨/٣، ٦٥/٣، ٨٦/٣، ٩٧/٣، ٩٨/٤، ١١٥/٤، ١٦٢/٤، ١٦٩/٤.

٤() المصدر نفسه: على سبيل التمثيل: ٥١/١، ٢٢٦/١، ٢٣٨/١، ٣٤٦/١، ٢٧/٢، ٧٧/٢، ١٧٠/٢، ٨٣/٣، ١١٣/٣، ١٩٧/٣، ٥١/٣، ٨٣/٤، ١٧٢/٤، ١٠٧/٤، ٣٩٧/٤.

٣- أبو عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ) (٦٣) مرة[١].

٤-أبو الخطاب (الأخفش الكبير) (ت١٧٧هـ) (٥٦) مرة[٢].

٥- أبو زيد الانصاري (ت٢١٥هـ)، (٢٨) مرة[٣].

٦-عيسى بن عمر الثقفي(ت١٤٩هـ)،(٢٠) مرة[٤].

٧-عبد الله بن اسحاق الحضرمي(ت١١٧هـ) (٧)مرات[٥].

يُلاحظ أنَّ سيبويه يحرص على توثيق السماع والمسموعات من شيوخه ومعاصريه، والعرب الفصحاء كمرجعيةٍ لغويةٍ فهو ينقل عنهم بأمانة منقطعة النظير.

أولًا: الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥هـ): اتَّخَذ سيبويه من الواقع اللغوي المعتمد ميدانًا لدراسته والمراد بهذا الواقع اللغوي هو ما تعارف العلماء الأوائل على الاستشهاد به لاستنباط القواعد والأَحكام واستقراء أساليب اللغة والموازنة بين القرائن اللغوية للخروج من كل هذا بالهيكل النحوي[٦]، وقد مَثَّل الخليل بن أحمد الفراهيدي المصدر

١() كتاب سيبويه: على سبيل التمثيل: ٢٨٦/١، ٣٨٩/١، ٤١٧/١، ٧١/٢، ١١٣/٢، ١٨٥/٢، ٤٠/٣، ٦٨/٣، ١٠١/٣، ٢١٧/٣، ٦٤/٤، ١٨٦/٤، ٣٣٨/٤.

٢() المصدر نفسه: على سبيل التمثيل:٧٩/١، ٢٠١/١، ١٢٦/١، ٨٣/٢، ١١١/٢، ٣٢٦/٢، ٢٣١/٣، ٢٩٤/٣، ٣٠٠/٣، ٢٠/٤، ١٨١/٤، ٤/٤،٤١٢/٤٢٤.

٣() المصدر نفسه على سبيل التمثيل: ٥٣/١، ٢٣٠/١، ٢٥٥/١، ١١٣/٢، ١٤٠/٢، ٢٤٤/٢، ١٥٢/٣، ٢١٣/٣، ١٣٩/٤، ٢١٦/٤.

٤() المصدر نفسه: على سبيل التمثيل: ١٦٩/١، ١٧١/١، ٢/١،٢٧١/٢١، ١١٢/٢، ٣١٩/٢، ١٤٣/٣، ٢٨١/٣، ٥٤٥/٣.

٥() المصدر نفسه: ٢٩٧/١، ٧٧/٢، ٣٤١/٢، ٤٤/٣، ٢٤٢/٣، ١٢١/٤، ٤٤٣/٤.

٦() ينظر: أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: ١٤٨

الأول لنقوله، يذكر الدكتور شوقي ضيف أنّ سيبويه وأستاذه كانا شديدي الاستقراء للغة، وقد استقرّت السليقة في نفوسهم استقرارًا مكّنهم من ضبط القواعد النحوية والصرفية ضبطًا يبهر كل من يقرأ مراجعات سيبويه لأستاذه، فاختصّ سيبويه بالخليل وأخذ كل ما عنده من الدراسات النحوية والصرفية مستمليًا ومدوّنًا، وهو يتّبع طريقتي الاستملاء والتدوين والاستفسار، وبذلك احتفظ بكل نظرات الخليل النحوية والصرفية[١] فهو ينقل عن العرب الفصحاء ويستعين بنقل شيوخه، ولا يكتفي بالنقل بل يتعدّى ذلك إلى تأييد رأي أو تفنيده[٢]، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يرحل إلى البادية وينتقل بين القبائل ليسمع ممن يجوز الاحتجاج بكلامهم، ويسجل ما يسمع، وغيره الكثير من علماء اللغة و النحو، ولم يهتموا بمعرفة اسم ذلك الأعرابي كثيرًا، وحظيت سؤالات سيبويه للخليل ويونس بدراسات مختلفة لباحثين عراقيين وعرب[٣]، وبذلك فالخليلُ كان مرجعَه الأول، فقد ذكر أبو إسحاق: أنّه سمعَ نصرًا يحكي عن أبيه : أنَّ سيبويه حينما أراد أن يضع كتابه قال له: تعال حتى نتعاونَ على إحياء علم الخليل، وذكر أبو إسحاق أيضاً أنه سمع الأخفش يقول: يُعدُّ من أصحاب الخليل في النحو أربعة، وذكر سيبويه في مقدمتهم، لذلك يعد علم الخليل الأساس الأَول

(١) ينظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف: ٤٧ ، ٥٧ .

(٢) ينظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : ١٦٦.

٣() ينظر:الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٦٠م: ٦٣.

الذي بنى سيبويه عليه كتابه فأصبح هذا الكتاب يشع بآراء الخليل، فأكثر القدماء فيه القول، إذ قالوا: عقد سيبويه أبواب الكتاب بلفظه ولفظ الخليل[١]، وقيل: ((عامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل))[٢]، وكلما قال سيبويه: ((وسألته))[٣]، أو ((قال من غير أَنْ يذكر قائله فهو الخليل))[٤]، وقالوا أيضاً: ((الأَصول والمسائل للخليل))[٥]، لذا كثر دوران اسم الخليل في الكتاب لكثرة ما نقله سيبويه عنه، اذ تردد بصورة مباشرة تارة وبصورة غير مباشرة تارةً أُخرى قرابة اثنين وعشرين وخمس مئة موضع[٦]، وقد أحصيته ووجدته قد تكرر(سبعمئة وعشرين مرة)[٧]، وهذا يُظهر أثر الخليل في كتاب سيبويه، يقول الدكتور مهدي المخزومي: ((واذا أنعمت النظر في أقواله لم تجده عارضًا عليك موضعًا أو شارحًا بابًا وإنَّما وجدته معللًا ظاهرة من الظواهر النحوية كنصب فعل، أو جر اسم أو معللًا تعبيرًا أو لافتًا إلى أسلوب، أو

---

١ () ينظر: مراتب النحويين : ١٠٦ .

٢ () اخبار النحويين البصريين: ٣١.

٣ () كتاب سيبويه: ٢١٨/٣، ٤٨٢/٣، ٨٧/٣، ٣٨٧/٤، ينظر: أخبار النحويين: ٣١.

(٤) اخبار النحويين البصريين : ٣١ .

٥ () الفهرست :٧٦ .

٦() ينظر: من أعلام البصرة سيبويه– هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه، د. صاحب جعفر أبو جناح، جامعة البصرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م: ٨٠–٨١.

٧() ينظر: كتاب سيبويه على سبيل التمثيل: ٧٢/١، ٩٢/١، ١٥٩/١، ١٦٦/١، ١٩٣/١، ٤٣٧/١، ٤١/٢، ٦٠/٢، ١٠١/٢، ٣٧/٣، ١٣٠/٣، ١٠٨/٣، ٩٨/٤، ١٤٦/٤، ٢٠٠/٤، ٣٢٩/٤، ٣٣٣/٤.

قائمًا مسألة على مسألة أو تعبيرًا على تعبير وهو في ذلك موجهًا أكثر منه مليًا وملقنًا))[1]، ولهذه الأسباب كثرت مسائل الخليل في كتاب سيبويه.

١-في تركيب (وَيْكَأَنَّ):

من المسائل اللغوية التي لجأ فيها سيبويه إلى الخليل، هي تركيب (وَيْكَأَنَّ) في قوله: ((وسألت الخليل "رحمه الله تعالى" عن قوله: ﴿وَيۡكَأَنَّهُ لَا يُفۡلِحُ ﴾[2]، وعن قوله تعالى جدّه:﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ فزعم أنّه (وي) مفصولةٌ من (كأنّ) والمعنى وقع على أنّ القوم انتبهوا فتكلّموا على قدر علمهم أو نُبّهوا، فقيل لهم: أما يشبه أنْ يكون هذا عندكم هكذا والله تعالى أعلم))[3]، وفصّل السيرافي القول في هذه المسألة قائلاً: ((قول الخليل الذي ذكرناه تكون (وي) كلمة تـَنَدُّم، يقولها المتندم عند إظهار ندامته، ويقولها المندم لغيره، والمنبه له))[4]، وقال الأعلم: ((إنّ (وَيْكَأَنَّ) عند الخليل وسيبويه مركّبة من (وَيْ) ومعناها التنبيه مع (كَأَنَّ) التي للتشبيه ومعناها عند التركيب (ألم تر)، وعلى ذلك تأوّلها المفسّرون))[5]، فعلى مذهب الخليل وسيبويه فإنَّ (وَيْ) اسم فعل مضارع بمعنى (أعجب)، ((والكاف حرف تعليل بمعنى اللام، ولهذا فتحت

١() الخليل بن احمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه : ٢٢٣.

٢() سورة القصص، من آية ٨٢.

٣() كتاب سيبويه: ١٥٤/٢.

٤() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٤٨١/٢.

٥() إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين درويش: ٣٨٦/٧.

(أنَّ)، فلا حذف على هذا في الآية الكريمة بعد (وَيْ) إذ المعنى حينئذ كالآتي: تعجب؛ لأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، وتعجب لأنه لا يفلح الكافرون))[1]، نلحظ في هذه المسألة اتفاق الخليل وسيبويه في تعليل المسألة، وهذا يدل على أن التفصيل اللغوي لهذه المسألة قارٌّ في ذهن سيبويه، ولكنه أراد الاستزادة بالعلم ليَعْضُدَ رأيه برأي الخليل بوصفه مرجعًا لغويًا.

٢-وجوب النصب بـ(أن) المضمرة:

رَجَّح الخليل قراءة النصب في قوله تعالى (أو يرسلَ)، قال سيبويه: ((وسألت الخليل عن قوله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾[2]، فزعم أنّ النصب محمول على(أنْ) سوى هذه التي قبلها, ولو كانت هذه الكلمة على(أنْ) هذه لم يكن للكلام وجه، ولكنه لمّا قال إلَّا وحياً أو من وراء حجاب في معنى إلّا أنْ يوحى (أو يرسلَ) فعلًا لا يجري على (إلَّا) فأجرى على(أنْ)، كأنّه قال: إلَّا أنْ يوحى أو يرسل، لأنّه لو قال: إلَّا وحياً وإلا أنْ يرسلَ كان حسنًا، وكان إنْ يرسلَ بمنزلة الإرسال، فحملوه على إنْ؛ إذ لم يجز أنْ يقولوا أو إلّا يرسلَ فكأنّه قال: إلا وحيًا أو أن يرسلَ، فهو يقصد أنّ (يرسل) ليس معطوفًا على (يكلّمه) المنصوب بأنْ المذكورة في الكلام؛ لأنّ هذا

١() المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، تحقيق: د-أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٧م: ١/١٥٥.

٢() سورة الشورى من آية: ٥١.

العطف يفسد المعنى، وإنّما هو منصوب بأنْ مضمرة وجوبًا بتقدير عطفه على (وحيًا)، هذا توجيه الخليل لقراءة النصب وما يترتب عليه من صحّة المعنى، فكانت محاورات الخليل وسيبويه بأسلوب السؤال و الجواب، ليستزيد سيبويه علماً من شيخه الخليل جاعلاً منه مرجعاً لغوياً يُلتجأ إليه في المسائل اللغوية.

٣-قيام (إذا) مقام الفاء في ربط جواب الشرط:

من الأَمثلة التي تدل على أنّ سيبويه استدل بتعليلات الخليل العلمية شاهدًا على المسائل اللغوية ما نتلمسه في مسألة قيام (إذا) مقام الفاء في ربط جواب الشرط، يقول:((وسألت الخليل عن قوله عز وجل:﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[١]، فقال: هذا كلام معلقٌ بالكلام الأول، كما كانت الفاء معلقةً بالكلام الاول، وهذا ها هنا في موضع(قَنَطُوا) كما كان الجواب بالفاء في موضع (الفعل)، قال ونظير ذلك قوله:﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾[٢]،بمنزلة "أم صمتم"))[٣] واستدل سيبويه على مماثلة (إذا) لـ(الفاء) ويكون الكلام بعدها معلَّقاً بالكلام الذي قبلها.

---

[١]() سورة الروم ، من آية ٣٦.

[٢]() سورة الأعراف، من آية ١٩٣.

[٣]() كتاب سيبويه: ٢/ ٦٣-٦٤.

٤- تصغير فعل التعجب:

اتفق الخليل وسيبويه على عدم جواز تصغير الأفعال، و أوضحا أن الأسماء هي التي تخضع للتصغير وليس الأفعال، لاختلاف الاسم عن الفعل في أشياء كثيرة، قال سيبويه: ((وسألت الخليل عن قول العرب: ما أُمَيْلِحِهُ، فقال: لم يكن ينبغي أن يكون في القياس؛ لأنّ الفعل لا يحقّر وإنما تحقّر الأسماءُ؛ لأنها توصف بما يعظم ويَهُون والأفعال لا توصَف، فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء لمخالفتها إياها في أشياء كثيرة، ولكنهم حقّروا هذا اللفظ وإنما يعنون الذي تصفه بالمِلح كأنك قلت: مُلَيّح شبّهوه بالشيء الذي تلفظ به وأنت تعني شيئًا آخر نحو قولك: يطؤهم الطريق))[١]، فلما كانت الأفعال لا يجوز تصغيرها حقيقة فقد تأوّل العلماء بعد سيبويه قول الخليل فذهب بعضهم إلى أنهم أرادوا أن يصغّروا فاعل فعل التعجب وهو ضمير يرجع إلى (ما) فلم يَجُز تصغير الضمير لاستتاره فصغّروا لفظ الفعل والمراد الفاعل وإنما

(١) كتاب سيبويه: ٣/٤٧٧-٤٧٨، والمسألة خلافية بين البصريين والكوفيين فالبصريون يرون أنّ أفعل التعجب فعل ماض وحجتهم في ذلك أنه إذا وُصِل بياء الضمير دخلت عليه نون الوقاية التي تدخل على الفعل دون الاسم وإلى ذلك ذهب الكسائي من الكوفيين ، أما باقي الكوفيين فيرون أنه اسم واحتجوا بأنه جامد لا يتصرّف ولو تصرّف لكان فعلاً ؛ لأنّ التصرف من خصائص الأفعال، فلما كان كذلك وجب أن يُلحَق بالأسماء. ينظر: الإنصاف: ١/١٢٦- ١٢٩ ، مسألة ١٥.

يجوز ذلك فيما لا لبس فيه[١]، وهناك مسائل أُخر كثيرة سأل فيها سيبويه شيخه الخليل[٢]، تخيرت منها ما عُرِضَ على سبيل التمثيل لا الحصر.

ثانيا: يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ):

لم يقتصر سيبويه على مراجعة شيخه الخليل فقط ، فكان يُراجع علماء آخرين ومنهم يونس بن حبيب(١٨٢هـ) مرجعًا ثانيًا من مراجع سيبويه اللغوية، يذكر الدكتور عدنان محمد سلمان في هذا الصدد قوله: ((يأتي يونس في الدرجة الثانية بعد الخليل بالنسبة لعدد المسائل التي نقلها عنه سيبويه))[٣]، وقال أبو الطيب عن سيبويه ((اختلف إلى شيخه يونس ليسأله في حوارٍ ينمُّ عن وطيد علمٍ بما يسأل ويستوضح؛لكي يدرك الآخرون المسألةَ التي كانت معروضة، فتصبح مستوفيةَ الأبعاد سماعًا وقياسًا))[٤]، فقد ذكره سيبويه (ستين ومئتين) مرة في كتابه[٥]، وأكْثَر سيبويه من النقل عنه في كتابه، إذ بلغ نقله عنه في أكثر من مئتي رواية فكان ثاني العلماء

---

(١) ينظر : شرح المفصل : ٥٧٨/٢ .

٢() كتاب سيبويه ١٨٤/٢، ١٨٥، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٩٨ ، ٦٠/٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٠ ،١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥

٣() التوابع في كتاب سيبويه ،عدنان محمد سلمان ،ساعدت على نشره جامعة بغداد ،مطابع التعليم العالي ،الموصل ،١٩٩١م: ١٢٩.

٤ () مراتب النحويين: ١٠٦.

٥() ينظر: كتاب سيبويه، على سبيل التمثيل، ٥١/١، ٢٢٦/١، ٢٣٨/١، ٣٤٦/١، ٢٧/٢، ٧٧/٢، ١٧٠/٢، ٨٣/٣، ١١٣/٣، ١٩٧/٣، ٥١/٣، ٨٣/٤، ١٧٢/٤، ١٠٧/٤، ٣٩٧/٤.

الذين أَكْثَرَ سيبويه من النقل عنهم[١]، فنجد عبارة: ((وقال يونس))[٢]، حاضرة في كتاب سيبويه، وسنتطرق إلى استدلالات سيبويه بأقوال يونس على سبيل التمثيل لا الحصر.

١- تصغير الأَسماء المهموزة:

ومن مصاديق اعتماد سيبويه على شيخه يونس ما نجده في (باب تحقير كل حرف كان فيه بدل) يقول سيبويه: ((وسألت يونس عن بَرِيَّةٍ فقال: هي من بَرَأْتُ وتحقيرها بالهمز كما أنك لو كسرت صلاءةً رددت الياء فقلت: أصليةٌ، فهذه الياء لا تلزم في هذا الباب كما لا تلزم الهمزة في بنات الياء والواو التي هن لامات))[٣]، ذكر السيرافي هذا القول وفسَّره في باب: (تحقير كل حرف كان فيه بدل، فإنّك تحذف ذلك البدل وترد الذي هو من أصل الحرف إذا حقرته كما تفعل ذلك إذا كسرته للجمع) حيث قال: ((والأصل في هذا عند سيبويه أن ما كان معروف الأصل بالاشتقاق من واو أو ياء، فهو من باب (عطاء) و (رشاء) وما كان لا يُعرف، جعل همزة أصلية حتى يقوم الدليل على غيرها؛ لأنَّ الهمزة هي الموجودة، فلذلك تقول إذا حقرت (الصلاء :صُلَيَّ)، و(الصلاءة: صُلَيَّة)؛ لأنَّه يقال صلاية[...]وكذلك البريَّة هو من برأ الله الخلق وقد خففت العرب الهمزة منها، فإذا صغرت رددت الهمزة فقلت (بُرَيْئة)، [...]

١() ينظر: سيبويه إمام النحاة: ٩٨.

(٢) كتاب سيبويه: على سبيل التمثيل: ٣/٣٣٩ ، ١/٢٦٣، ٤/١٤٩، ٤/١٨٤.

٣() كتاب سيبويه: ٣/٤٦١.

و أما من قال (البرية) مأخوذ من (البرى) وهو التراب؛ لأنَّ الناس خلقوا منه فتصغيره (بُرَيَّة)؛لأنَّ أصله (بُرَيِّية) بثلاث ياءات، فتسقط الأخيرة منه))[1]، وهنا نتلمس دقة جواب يونس لسيبويه وعرضه دقائق المسألة، وبهذا يتبين أنَّ سيبويه عَمد إلى يونس في بعض المسائل اللغوية واتخذه مرجعًا يستدل به على بعض الأحكام اللغوية.

٢-التصغير في جموع التكسير:

وفي موضع آخر يقول سيبويه: ((وزعم يونس أن العرب تقول أيضًا: خَواتِيمْ ودَوانِيْق وطَوَابِيْق على فاعلٍ، كما قالوا: تابَلٌ وتَوابِلُ، ولو قلت: خُوَيْتِيمٌ وَدُوَيْنِيقٌ لقولك:خَوَاتِيْمُ و دَوَانِيْقُ، لقلت في أُثْفِيَّةُ أُثَيْفِيَّة فَخَفَّفتها؛ لأنك تقول: أثافٍ، ولكنَّك تحقّرها على تكسيرها على القياس))[2]، قال السيرافي: ((فلو صغرنا هذه الأسماء [...] على ما يوجبه قياس الجمع لا على هذا الجمع الشاذ، وهذا معنى قوله: لا على التكسير للجمع على غيره أي على القياس))[3]، وقوى ذلك أيضًا بما ذكر عن يونس أن العرب تقول:((خَوَاتِم، وطَوَابِق، ودَوَانِق على فَوَاعِل، كما قالوا تَابل و تَوابِل))[4]، فهذه الأَسئلة التي يتداولها هؤلاء العلماء هي مرجع لغوي لسيبويه ولغيره ممن يتقصى اللغة ومسائلها العميقة.

---

[1]() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٤/١٩٩-٢٠٠.

٢() كتاب سيبويه: ٣/٤٢٥.

٣() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٤/١٧٣.

٤() المصدر نفسه: ٤/١٧٣.

٣- حذف أواخر الأسماء عند الوقف:

أستند سيبويه إلى رأي يونس في هذه المسألة وعدَّه هو الرأي الأَقوى عند تعليله لها، يقول سيبويه: ((و أمَّا يونس فقال: يا قاضْ، وقول يونس أقوى؛ لأنَّه لما كان من كلامهم أن يحذفوا في غير النداء كانوا في النداء أجدر، لأنَّ النداء موضع حذفٍ، يحذفون التنوين ويقولون: يا حار، ويا صاحِ، ويا غلامُ أقبل))[١]، عرض سيبويه هذه المسألة في كتابه في باب ما يحذف من أواخر الأَسماء في الوقف وهي الياءات، حيث بيّن سيبويه أنَّ من العرب من يحذف الياء عند الوقف؛ لأنَّهم شبهوه بما ليس فيه الف ولام؛ لأن بدون (ألف واللام) تذهب الياء عند الوصل في حال التنوين،وفعلوا هذا للثقل الحاصل عند اجتماع الياء مع الكسرة، وذكر السيرافي أنَّ سيبويه اختار قول يونس في هذه المسألة[٢]، وبذلك يكون سيبويه قد عَمَدَ إلى ركنٍ وثيق من مراجعه اللغوية وهو ما يعزز مكانة يونس عند سيبويه في المسائل اللغوية، وغيرها كثير من الأَمثلة التي تدلل على أنَّ سيبويه استعان بآراء يونس النحوية ليَعْضُدَ ما جاد به من مسائل لغوية[٣].

ثالثًا: أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)

١() كتاب سيبويه: ١٨٤/٤.

٢() ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ٥٦/٥.

٣() ينظر: كتاب سيبويه، على سبيل التمثيل: ٢٢٦/١، ٢٣٨/١، ٣٤٦/١، ٢٧/٢، ٧٧/٢، ١٧٠/٢، ٨٣/٣، ١١٣/٣، ١٩٧/٣، ٥١/٣، ٨٣/٤.

يُعدُّ أبو عمرو بن العلاء من العلماء الذين اطّلعوا على لغات العرب، يدلنا على ذلك مقولته الشهيرة:((ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلَّا أقلّه ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم كثير))[١]، وقال عنه ابن جني: ((كان ممن نظروا في النحو و التصريف وتدبروا وقاسوا))[٢]، لهذا ذكره سيبويه (ثلاث وستين) مرة في كتابه[٣]،وكانت آراؤهُ النحوية مرجعً لغويًا لسيبويه أثبتها في كتابه، وسنتعرض إلى عدد من الأمثلة التي تدلل على ذلك.

١-التنبيه في ((يا ويلٌ لك)):

ذهب أبو عمرو بن العلاء إلى أنَّ هذه العبارة (يا ويلٌ لك)، تكون للتنبيه فكأنَّ المتكلم عندما قال هذه العبارة قد نبَّه المتلقي بداية، ومن ثَمَّ قال له: (ويلٌ لك)، يقول سيبويه: ((وعلى ذلك قال أبو عمرو: يا ويْلٌ لكَ ويا ويحٌ لكَ كأنّه نبّه إنسانًا ثم جعل الوَيل له وعلى ذلك قول قيس بن ذريح:

فياَ للناسِ للّواشي المُطاعِ يا لِقومي لِفرقَةِ الأحبابِ))[٤].

١() نزهة الألباء في طبقات الادباء: ١٧.

٢() أبو عمرو بن العلاء اللغوي النحوي ومكانته العلمية، عبد الله محمد الاسطي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط١، ١٩٧٦: ٢.

٣() ينظر: كتاب سيبويه: على سبيل التمثيل: ٣٨٧/١، ٤١٧/١، ٣٨٩/١، ٤٠٥/١، ١٨٦/٢، ٢١٩/٢، ١٦١/٢، ٢١٠/٢، ٤٠/٣، ٩٨/٣، ٢٥٣/٣، ٢٢٥/٣، ٦٣/٤، ١٨٦/٤، ٤٥٩/٤.

٤() كتاب سيبويه: ٢١٩/٢، البيت لقيس بن ذريح ، ينظر: شرح أبيات سيبويه: ٥٣١/١.

فهنا استدل سيبويه بقول أبي عمرو بن العلاء بدلالة (يا) في قوله (يا ويلٌ لك)، حيث دلت عنده على التنبيه، واستشهد لذلك بقول الشاعر قيس بن ذريح في البيت الشعري، وبذلك جعل سيبويه من رأي أبي عمرو في هذه المسألة مرجعًا لغويًا في كتابه.

٢-جواز التوحيد في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة:

استدل سيبويه بقراءة أبي عمرو بن العلاء على جواز توحيد أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة، قال سيبويه ((واعلم أن ما كان يجمع بغير الواو والنون نحو حَسَنٍ وحِسان، فإن الأجود فيه أن تقول: مررْتُ برجلِ حِسان قومُه، وما كان يجمع بالواو والنون نحو منطلق ومنطلقين، فإن الأجود فيه أن يجعل بمنزلة الفعل المتقدم، فتقول: مررْتُ برجلِ منطلِق قومُه، واعلم أنه من قال ذهب نساؤك قال:أذاهبٌ نساؤك، ومن قال: ﴿ **فَمَن جَاءه مَوْعظة من ربه**﴾، قال: أجائيٌّ موعظةٌ، تذهب الهاء ها هنا كما تذهب التاء في الفعل، وكان أبو عمرو يقرأ "**خاشِعاً أبصارُهم**"))[1]، وهذه القراءة هي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي (خاشعًا) بفتح الخاء و ألف بعدها وكسر الشين مخففة بالإفراد، وقرأ الباقون (خُشَّعًا) بضم

١() المصدر نفسه: ٤٣/٢.

الخاء وفتح الشين مشددة من غير ألف[1]، وبهذا يكون سيبويه قد استند إلى قراءة أبي عمرو بن العلاء في بيان مسألة نحوية أوضحها في كتابه.

٣-جواز إدغام اللام في الثاء:

وفي موضع آخر من مواضع اعتماد سيبويه على أبي عمرو بن العلاء مرجعًا لغويًا هو استدلاله على جواز إدغام اللام في الثاء يقول سيبويه: ((وقرأ أبو عمرو ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ﴾، يريد (هل ثُوِّبَ الكُفَّار) فأدغم في الثاء))[2]، واستدلال سيبويه على جواز إدغام لام (هل) في (الثاء) في قراءة أبي عمرو دليل على مرجعيته اللغوية لهؤلاء العلماء.

رابعًا- أَبو الخطاب الأَخفش الأكبر(ت ١٧٧ هـ):

لَزِمَهُ سيبويه وتَلمذ له، وأخذ عنه، وروى عنه في كتابه، لذا هو من مراجع سيبويه اللغوية، الذين ثبتت آراؤهم اللغوية في المسائل النحوية في كتاب سيبويه، ذكره سيبويه في كتابه (ستًا وخمسين) مرة[3]، وسأعرض عددًا من الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر.

١() ينظر: النشر في القراءات العشر: ٣٨/٢.

٢() كتاب سيبويه: ٤٥٩/٤.

٣() ينظر: كتاب سيبويه: على سبيل التمثيل: ٧٩/١، ٨٠/١، ١٢٤/١، ١٢٦/١، ٨٣/٢، ١١١/٢، ٣٥٤/٢، ٢٥٥/٢، ٣٢٩/٢، ٢٣٠/٣، ٢٩٤/٣، ٣٠١، ٢٠/٤، ١٦٠/٤، ١٨١/٤، ١٨٣/٤، ٤١٢/٤، ٤٤٠/٤.

١- جواز جمع فِعَال على فِعَال:

ذهب سيبويه إلى إمكانية جمع فِعَال على فِعَال، لأستواء فَعِيل و فِعال؛ لأنَّه يجري مجراه، قال سيبويه: ((وزعم أبو الخطاب أنهم يجعلون الشِّمال جميعًا، فهذا نظيره، وقالوا شَمَائِل كما قالوا: هَجَائِن، وقالوا: دِرعٌ، دِلاصٌ، و أَدْرعٌ، دلاصٌ، كأنّه كجَواد وجِيَادٍ وقالوا دُلْصٌ كقولهم: هُجْنٌ، ويدُّلك على أن دِلاصًا وهِجانًا جمع لدِلاَّصٍ وهِجَّانٍ وأنَّه كجَوادٍ وجِياد، وليس كجُنُب، قولهم: هِجانان و دِلاصان فالتثنية دليل في هذا النحو))[١]، وقد أوضح السيرافي هذه القاعدة بقوله: ((اعلم أن "هِجَاناً" يستعمل للواحد والجمع فيه مذهبان، وذكر سيبويه أحدهما دون الآخر فأما الأول منهما وهو الذي ذكره سيبويه أنه يقال (هذا هَجان) ومعناه كريم خالص و (هذان هِجانان) و (هؤلاء هُجان)، وذلك أن هِجاناً الواحد هو فِعال، وفِعَال يجري مجرى فَعيل فمن حيث جاز أن يجمع فَعِيْل على فِعَال، وقد ظهر من مذهب سيبويه أنَّ دِلَاص وهِجَان إذا كان للجمع فهو جمع مكسر لدِلاص وهِجان إذا كان للواحد و أنه ليس فيه مذهب غير ذلك، وشبهه بجِوَاد وجِيَاد لينكشف لك قصده فيه؛ لأن الجَوَاد الذي هو واحد لفظه خلاف لفظ جِياد الذي هو جمع))[٢]، وبذلك يكون سيبويه اعتمد تفسير الأخفش واتخذه مرجعًا لغويًا في هذه المسألة اللغوية، ومن

١() كتاب سيبويه: ٣/٦٣٩-٦٤٠.

٢() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٤/٣٨٤.

الجدير بالذكر أنَّ هنالك مذهباً آخر في هذه المسألة، على غير المذهب الذي جاء به سيبويه والأخفش.

٢- إقامة (حيهل) مقام اسم الفعل:

يقول سيبويه: ((و زعم أبو الخطاب أن بعض العرب يقول: حيهل الصلاة، فهذا اسم ائت الصلاة، أي ائتوا الثريد و آتوا الصلاة))[١]، قال السيرافي: ((جعلوا حي وهل بمنزلة شيء واحد، و فتحوها و أقاموها مقام اسم الفعل فلم تثن ولم تجمع، وجعلوا (حي هل للثريد) بمنزلة ائتوا الثريد؛ وربما اكتفت العرب ب (حي) فعدوه بحرف الجر قالو: حَيَّ على الصلاة، وربما اكتفوا بهل، قال النابغة الجعدي :ألا حيّيا ليلى وقولا لها هلا))[٢]، استدل سيبويه بقول الأَخفش على أنَّ (حيهل) ليست منفصلة بل هي كالشيء الواحد، ومعناها ائت، فحين تقول: حيهل الصلاة، هو بمعنى ائتوا الصلاة، وقد نابت مناب اسم الفعل لذلك فلا تثنية ولا جمع فيها، وهنا أيضًا استند سيبويه إلى رأي الأخفش في هذه المسألة اللغوية.

خامسًا: أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ): يعد أبو زيد الأنصاري عالمًا بالنحو واللغة ثقة من أهل البصرة، وكان سيبويه إذا قال (سمعت الثقة) يريد أبا زيد الأنصاري[٣]

(١) كتاب سيبويه: ٢٤١/٣.

٢() شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ١٤٢/٢-١٤٣، البيت للنابغة الجعدي، ينظر: ديوانه: ١٠٢-١٠٣.

٣() ينظر: نزهة الألباء في طبقات الادباء : ١٠١.

ذكره سيبويه في (ثمانية وعشرين) موضعًا تصريحًا وتلميحً في كتابه[١]، وسوف نستعرض–على سبيل التمثيل لا الحصر– ما يدلل على أنَّ سيبويه جعل منه مرجعًا لغويًا أثبت آراءه اللغوية في كتابه.

١– إلزام صفة النكرة نكرة، والزام صفة المعرفة معرفة:

ذهب أغلب النحاة ومنهم سيبويه إلى إلزام صفة النكرة نكرة، وصفة المعرفة معرفة؛ لأنهم أرادوا جعل حال النكرة فيما يكون من اسمها، معنى ما يكون صفة لها[٢]، وجاء هذا في باب ما لا يكون الاسم فيه إلَّا نكرة، قال سيبويه: ((وزعم من نثق به أنه سمع رؤبة يقول: هذا غلامٌ لك مقبلًا، جعله حالًا ولم يجعله من اسم الأول، واعلم أن ما كان صفة للمعرفة لا يكون حالًا ينتصب انتصاب النكرة؛ وذلك لأنه لا يحسن لك أن تقول: هذا زيد الطويلَ، ولا هذا زيد أخاك من قبل أنه من قال هذا فينبغي له أن يجعله صفة للنكرة، فيقول: هذا رجل أخوك))[٣]، علّق السيرافي بقوله: ((الحال من المعرفة كالحال من النكرة، فيما يوجبه العامل، غير أن الحال من النكرة تنوب عن معناها الصفة، والصفة مشاكلة للفظ الأول، فيكون أولى من الحال المخالفة للفظ الأول، وذلك قولك: جاءني رجل راكب، في حال مجيئه، ولست

١() ينظر: كتاب سيبويه: على سبيل التمثيل: ٥٣/١، ٢٣٠/١، ٢٥٥/١، ٣١٦/١، ١٤٠/٢، ٢٤٤/٢، ١٥٢/٣، ٢١٣/٣، ٣٣٦/٣، ١٣٩/٤، ١٧٢/٤، ٢١٦/٤، ٤٧٢/٤.

٢() ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٤٤١/٢.

٣() كتاب سيبويه: ١١٣/٢.

تريد بيان رجل في حال إخبارك، وإذا قلت: جاءني رجل راكبًا، فذلك المعنى تريده فكرهوا العدول عن لفظ مشاكل للفظ الاول إلى لفظ يخالفه لغير خلاف في المعنى فلذلك آثروا الصفة في النكرة على الحال))[١]، يُلاحظ أنّ سيبويه استند إلى رأي أبي زيد الانصاري في هذه المسألة النحوية، وجاء هنا تلميحًا باسمه وليس تصريحًا، وذلك قوله (من نثق به)، وهذا العالم الجليل يُضاف إلى مرجعيات سيبويه اللغوية في كتابه.

٢-تأنيث الجملة في قولنا (اجتمعت أهل اليمامة):

وفي موضع آخر من مواضع اعتماد سيبويه على أبي زيد الانصاري مرجعًا من مرجعياته اللغوية الرصينة، هو إثبات تاء التأنيث في الفعل عند قوله اجتمعت أهل اليمامة يقول سيبويه: ((وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق: اجتمعت أهل اليمامة؛ لأنه يقول في كلامه اجتمعت اليمامة، والمعنى أهل اليمامة، فأنث الفعل إذ جعله في اللفظ لليمامة، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام))[٢]، وأوضح السيرافي ذلك بقوله: ((يعني ترك لفظ التأنيث في قولك:اجتمعت أهل اليمامة على قوله: اجتمعت اليمامة، وقال الفراء: لو كنّيت عن المؤنث في هذا الباب لم يجز تأنيث فعل المذكر الذي أضيف إليه، لو قلت إن

١() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٢/٤٤١-٤٤٢.

٢() كتاب سيبويه: ١/٥٣.

الرياح آذنتني هبوبها، لم يجز أن تؤنث((آذنتني)) إذا جعلت الفعل للهبوب، واحتج بأنا إذا قلنا: آذنتني هبوب الرياح فكأنا قلنا: آذنتني الرياح، وجعل الهبوب لغًوا، وإذا قلنا: آذنتني هبوبها، لم يصلح أن يجعل الهبوب لغًوا؛ لأن الكناية لا تقول بنفسها فتجعل الهبوب لغًوا، والصحيح عندنا جوازه، وذلك أن التأنيث الذي ذكرناه، إنما أجزناه؛ لأنه تجوز العبارة عنه))[1]، أوضح السيرافي عند شرحه لهذه المسألة النحوية، المُراد من كلام سيبويه، جواز تأنيث الجملة إذا كان المضاف إليه مؤنثًا وهذا يدلل على صحة رأي أبي زيد الأنصاري الذي استند إليه سيبويه كمرجعية لغوية .

٦-عيسى بن عمر الثقفي(ت١٤٩هـ):

يعد عيسى بن عمر عالمًا بالعربية والنحو والقراءة، وهو من الثقاة الذين أثبت عنهم سيبويه بعض المسائل اللغوية في كتابه[2]، ذكره سيبويه في كتابه(عشرين) مرة[3]، ومن مواضع ذكر سيبويه لهذا العالم في كتابه هو ما سنذكره على سبيل التمثيل لا الحصر.

١() شرح كتاب سيبويه: السيرافي، ٣١٦/١.

٢() ينظر: نزهة الألباء في طبقات الادباء: ٣٠.

٣() ينظر: كتاب سيبويه: ١٦٩/١، ٢٧١/١، ٣٩٨/١، ٢١/٢، ١١٢/٢، ٣١٩/٢، ١٤٣/٣، ٢٨١/٣، ٣٤٣/٣، ١٥٩/٤.

١- حرف الجواب إذن:

ومن هذه المواضع: ((وزعم عيسى بن عمر أن ناسًا من العرب يقولون: إذن أفعل ذاك، في الجواب))[١]، وتَحدَّث السيرافي عن الوقوف عليها يكون بالتنوين أم بالنون: (("إذن" إذا وقف عليها فعامة النحويين المتقدمين يرون الوقف عليها بالألف وليست باسم منصوب منون، ولا بفعل لحقته النون الخفيفة وقبلها فتحة، وإنما فعلوا ذلك؛ لأنها قد تصرفت فأعملت و ألغيت، ووقعت لما لم يأت، ولما هو في الحال وتقدمت وتوسطت وتأخرت، فلما كثر تصرفها وانفتح ما قبل نونها ضارعوا بها التنوين والنون الخفيفة في الفعل إذا انفتح ما قبلها))[٢]، و ذكر المبرد: أنَّ الوقف عليها بالألف ممكن، ولكنه يرى أن الوقوف عليها بالنون أجود على الأصل في مثلها من الحروف[٣]، وغيرها الكثير من الآراء التي قيلت في هذه المسألة، والذي يهمنا هو إثبات استدلالات سيبويه اللغوية ومن ثم إثبات مرجعياته اللغوية التي تمثلت ههنا بهؤلاء العلماء الذين أثبتهم سيبويه في كتابه.

١() كتاب سيبويه: ١٦/٣.

٢() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٢٠٤/٣-٢٠٥.

٣() ينظر: المقتضب، المبرد: ١٧/٣.

٢- **ضمير الفصل(هم):**

تحدَّث سيبويه عن ضمير الفصل (هُم) في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]، فقال: ((وقد جعل ناس كثير من العرب هو و أخواتها في هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ وما بعده مبني عليه، فكأنك تقول: أظن زيداً أبوه خيرٌ منه، ووجدت عمراً أخوه خيرٌ منه، فمن ذلك أنَّه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيداً هو خيرٌ منك، وحدثنا عيسى أنَّ ناسًا كثيرًا يقرؤنها: ﴿**وَمَا ظَلَمناهُم ولكن كَانُوا هُمُ الظَّالمون** ﴾))[٢]، ومحل الشاهد في هذه القراءة هو ضمير الفصل(هم)، وهو مبتدأ وما بعده مبنيٌّ عليه، وفي هذا الصدد أوضح الرماني أنَّه ((لا يجوز الفصل إلّا بين معرفتين أو ما قاربَ المعرفة من النكرة؛ لأنه للإيذان بأنَ الذي بعده مُعتمدُ الفائدة، لا على جهة الصفة ولا على غير ذلك))[٣]، يُلاحظ أنَّ سيبويه استدل بقراءة عيسى لإثبات الحكم النحوي بوصفه مرجعًا لغويًا وثيقًا من مراجع سيبويه اللغوية.

١() سورة الزخرف:٧٦ .

٢() كتاب سيبويه: ٢/٣٩٢-٣٩٣.

٣() شرح كتاب سيبويه: الرماني: ٦٨٧.

سابعًا: عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ). وأمّا ابن أبي إسحاق فهو إمامٌ بالعربية والقراءة، ذكره سيبويه (سبع) مرات في كتابه[١]، كان شديد التجريد للقياس، ويقال: إنَّه كان أشد تجريدًا للقياس من أبي عمرو بن العلاء[٢]، وقد رجع إليه سيبويه في مسائل مسبقة، وسنتعرض لهذه الأحكام في بعض المسائل .

١-نصب الفعل المضارع بعد الواو:

تحدَّث سيبويه عن نصب الفعل المضارع بعد الواو فقال: ((ومن النصب في هذا الباب قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣]وقد قرأها بعضهم (ويعلمُ الصابرين)[...] فالرفع على وجهين: فأحدِهما أن يشرك الآخر الأول، والآخر على قولك: دعني ولا أعودُ، أي فإني ممن لا يعود، فإنما يسأل الترك وقد أوجب على نفسه أن لا عودة له البتة ترك أو لم يترك، ولم يرد أن يسأل أن يجتمع له الترك و أن لا يعود، و أما عبد الله بن أبي إسحاق فكان ينصب هذه الآية))[٤] وأوضح أبو علي الفارسي ذلك أيضًا، فقال: ((فالمعنى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يجتمع العلم بالمجاهدين والعلم بالصابرين، فتقدير الكلام جملة

١() كتاب سيبويه، على سبيل التمثيل: ٢٧٩/١، ٧٧/٢، ٣٤١/٢، ٢٤٢/٣، ١٢١/٤، ٤٤٣/٤.

٢() ينظر: نزهة الألباء في طبقات الادباء: ٢٧.

٣() كتاب سيبويه: ٤٤/٣، سورة آل عمران من آية: ١٤٢.

٤() كتاب سيبويه: ٤٤/٣.

واحدة))[1]، واستأنف التوضيح ذاكراً: إنَّ من نصب فالنصب في المعنى كالرفع عند سيبويه في الوجه الاول،والجامع بينهما هو مضمون التمني، والمعنى على هذا يكون (يا ليتنا يكون لنا رد وامتناع من التكذيب ونكون من المؤمنين، وهذا موافق للوجه الاول في المعنى، مخالف في اللفظ، أمّا في حالة النصب فيكون الكلام جملة واحدة على عكس ما نجده في حالة الرفع[2]، قال السيرافي: ((الناصب بعد الواو أن، كما أن الناصب بعد الفاء أن، ومعناهما مختلف، كما أن معاني ما بعد الفاء مختلفة، وإن كان الناصب فيها كلها واحدًا، ومعنى (الواو) في كل أحوال نصبها: الجمع))[3]، وخلاصة القاعدة النحوية هي أنَّ الواو تنصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء[4]، وبهذا تتضح قاعدة النصب التي ذهب إليها الحضرمي في هذه الآية الكريمة، والتي بنى عليها سيبويه حكم النصب في هذا الموضع، والذي هو الأجود بموجب ما اطَّلعت عليه في أغلب القرآن الكريم لهذه الآية[5].

١() التعليقة على كتاب سيبويه: الحسن بن أحمد عبد الغفار الملقب أبو علي الفارسي، تحقيق: د-عوض بن حمد، الطبعة الاولى، ١٩٩٠م :١٦١.

٢() ينظر: التعليقة: ١٦٢/٢.

٣() شرح كتاب سيبويه: السيرافي:٢٣٨/٣.

٤() ينظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك: ١٥٩/٣.

٥() ينظر: إعراب القرآن ، علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ، وإعراب القراءات السبع وعللها: الحين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م: ٣٩٦.

٢-الممنوع من الصرف:

تحدّث سيبويه في هذا الموضع عن تسمية المؤنث بالمذكر، و هل يجوز الصرف من عدمه، فقال:((فالنكرة تُعَرَّف بالألف واللام والإضافة، وبأن يكون علمًا، والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير، كما يخرج المنكور إلى المعرفة، فإن سميت المؤنث بعمرو أو زيد لم يجز الصرف، هذا قول ابن أَبي إِسحاق و أبي عمرو))[١]، قال السيرافي: ((إن سميت امرأة بشيء من ذلك فهي تجري مجرى الرجل في الإعراب والتغيير، غير أنها تخالف الرجل في منع الصرف))[٢]، يتبين أنَّ العلة في منع الصرف هو أننا إذا سمَّينا المؤنث بالمذكر نكون قد سَمَّينا الشيء بما لا يلائمه، فأُشبه بالأعجمي[٣]، بدا لي في هذا الموضع أن سيبويه عرض المسألة النحوية و أجاد فيها كونها جاءت على القياس، كانت إلى تقوية المسألة بذكره لرأي علمين بارزين من علماء اللغة هما (ابن أَبي إِسحاق وأبي عمرو)، وبهذا يكون قد اثبت المسألة وعضّدها بوساطة مراجعه اللغوية الرصينة.

١() كتاب سيبويه: ٢٤٢/٣.

٢() شرح كتاب سيبويه: السيرافي: ٤٨/٤.

٣() ينظر: شرح الفية ابن مالك ، الشاطبي: ٦٣٢/٥.

كلام العرب:

أدرك سيبويه أنَّ الأحكام النحوية وغيرها بُنيت على كلام العرب قال أبو علي الفارسيّ في تعريف النحو: ((عِلمٌ بالمقاييس المُستَنْبَطَة من استقراءِ كلامِ العربِ))[١] وقد سَجّل سيبويه في كتابه عبارات تؤكد ذلك، ومن هذه العبارات((وهذه كلمة تكلم بها العرب))[٢]، ((ومن العرب من ينصب))[٣]، ((وليس من العرب أحد إلَّا يقول))[٤] ((فهذا لم تقله العرب وليس له نظيرٌ في كلامها))[٥]، ((فقد اجتمعت العرب على تخفيفه))[٦]، وغيرها الكثير وهذا يدل على انَّه استقرى معظم لغات العرب، واستمد منها مرجعياته اللغوية في كتابه، وسأعرض بعض الاستدلالات التي تدل على ذلك، على سبيل التمثيل لا الحصر.

١-معنى (رُبَّ و كَمْ).

ومن مواضع استناد سيبويه إلى كلام العرب، هو ما أورده عن استعمالات (رُبَّ وكَمْ) في كلامهم وما يجوز فيهما من أحكام وما لا يجوز، ومن ذلك قوله:((واعلم أنَّ "كم" في الخبر لا تعمل إلَّا فيما تعمل فيه (رُبَّ)؛ لأنَّ المعنى واحدٌ إلَّا أن(كم) اسم،

---

(١) التّكملة: ١٨١.

٢() كتاب سيبويه: ١٥٠/٣.

٣() المصدر نفسه: ٣٢٩/١.

٤() المصدر نفسه: ١٢٦/٢.

٥() المصدر نفسه: ١٥٧/٢.

٦() المصدر نفسه: ٥٤٦/٣.

و (رُبَّ) غير اسم بمنزلة "مَنْ"، والدليل عليه أن العرب تقول " كم رجلٍ أفضلُ منك" تجعله خبر " كَمْ"))[1]، ذكر الرماني أنَّ (كم) في الخبر لا يعمل إلَّا فيما يعمل فيه "رُبَّ" لأنَّها نقيضها، فـ"رُبَّ" للتقليل، و " كَمْ" للتكثير، وما يوجب لها، وإنما لم يجز أن تعمل (رُبَّ)؛ إلَّا في النكرة؛ لأن تقليل جماعة كل واحد منهم له مثل اسم الذي دخلت عليه، فلا يكون إلَّا نكرة لهذه العلة، وكذلك "كَمْ"[2].

و أكَّد هذا المعنى سيبويه فذكر أَنَّ دليل ذلك قول العرب " كم رجلٍ أفضلُ منك" ولا يجوز عندهم "رُبَّ رجلٍ أفضلُ منك [3]، وبهذا استدل سيبويه في كلام العرب بوصفه مرجعًا لغويًا له، على الاستعمالات الجائزة في (كم) و (رب) وما يجوز في موضع منهما ويمتنع من الآخر.

٢-مسألة في (لَهِنَّك بمعنى إنَّ):

وفي موضع آخر من مواضع استشهاد سيبويه بكلام العرب، وتحصيل القاعدة اللغوية بواسطتها مستندًا إلى أقوال العرب كمرجعٍ لغويٍ، هو استعمال (لَهِنَّك بمعنى إنَّ)، وفي ذلك يقول: ((وهذه كلمةٌ تكلم بها العرب في حال اليمين وليس كل العرب تتكلم بها، تقول: " لَهِنَّكَ لَرَجُلُ صِدقٍ" فهي" إنَّ" ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الألف، كقوله "هَرَقْتُ"، ولحقت هذه اللام "إنَّ" كما لحقت "ما" حين قلت: إنَّ زيدًا لينطلقَنَّ، فلحقت

١() كتاب سيبويه: ١٦١/٢.

٢() ينظر: شرح كتاب سيبويه: الرماني: ٣٤٢-٣٤٣.

٣() ينظر: كتاب سيبويه: ١٦١/٢.

"إنَّ" اللام في اليمين كما لحقت "ما" فاللام الأولى في "لَهِنَّكَ" لام اليمين، والثانية لام "إنَّ" وفي "لَمَا لَينطلقنَّ" اللام الأولى لـ(أنَّ)، والثانية لليمين، والدليل على ذلك "النون" التي معها، كما أنَّ اللام الثانية في قولك(إنَّ زيداً لما ليفعلنَّ) لام اليمين))[١]، وبَيَّن السيرافي أنَّ في "لَهِنَّك" ثلاثة أقوال ومنها ما ذكره سيبويه بقوله: إنَّ أصلها (أنَّ) أبدلوا همزتها هاء، كما أبدلوا الهاء من "هرقت" مكان ألف "أرقت"، ولحقت اللام التي قبل (الهاء) لليمين، كما لحقت "ما" حين قلت "إن زيداً لما لَينطلقَنَّ" فلحقت "إنَّ" اللام لليمين كما لحقت بعد "ما" فاللام الاولى في "لهنَّك" لام اليمين، واللام الثانية "لام إنَّ" وفي "لما ينطلقنَّ" اللام الاولى لـ(إنَّ) والثانية لليمين، والدليل على ذلك النون التي معها[٢]، وأكّد الرضي (ت٦٨٦هـ) ذلك بقوله: ((ان الجمع بين اللام و أنَّ، فيها ثلاثة مذاهب، أحدها لسيبويه وهو أن الهاء بدل من همزة "إنَّ"))[٣]، وهنا يتبين أثر المرجعية اللغوية بشكلٍ واضح مستدلًا على كلام العرب لإثباتها والاخذ بها سواء أكانت في حكم نحوي أم في مسألة لغوية.

١() كتاب سيبويه: ١٥٠/٣.

٢() ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٣٧٩/٣.

٣() شرح الكافية، رضي الدين الاسترابادي ، تحقيق: يوسف حسن عمر، يونس، ليبيا، ١٩٧٨م ٤ /٣٦٢.

٣- جَعْل كاف الخطاب بمنزلة الاسم:

لم يُجَوِّز سيبويه جعل كاف الخطاب اسماً مستنداً بذلك إلى كلام العرب، ممثلاً لها بقوله: ((ومما يدلك على أنَّه ليس باسم قولُ العرب: أرأيتك فلاناً ما حاله، فالتاء علامة المضمر المخاطب المرفوع ولو لم تلحق الكاف كنتَ مستغنيًا كاستغنائك حين كان المخاطب مقبلًا عليك عن قولك: يا زيد، ولحاق الكاف كقولك: يا زيد لمَنْ لو لم تقل له يا زيد استغنيت، فإنما جاءت الكاف في أرأيتَ والنداء في هذا الموضع توكيداً، وما يجيء في الكلام توكيدًا لو طرح كان مستغنىً عنه كثير))[١] وفي هذا الصدد تحدَّث السيرافي مفصلًا في مسألة الكاف من رويدك و أنها لا موضع لها من الإعراب فقال: ((ثم استدل على بطلان قول من يقول: أن الكاف اسم لها موضع بما تقدم، ثم احتج سيبويه على أن الكاف لا موضع لها بقول العرب هاء وهاءك في معنى تناول؛ فزاد الكاف على هاء للخطاب وفيه لغات))[٢]، و أوضح السيرافي في الصدد نفسه أنَّ ما ذكره سيبويه صحيح[٣]، ثم قال: ((وسقوط الكاف مع صحة المعنى الذي يكون بوجودها دلالة على أنَّ لا موضع لها، ولو كانت الكاف في موضع رفع كما قالوا لوجب ألّا تسقط؛ لأن ضمير الفاعل لا يسقط من

١() كتاب سيبويه١/٢٤٥.

٢() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٢/١٤٧.

٣() ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٤٧.

الفعل أبداً))[1]، وبهذا تتبين المرجعية اللغوية عند سيبويه في هذا الموضع كما غيره مستدلًا بقول العرب كمرجعية لغوية أثبتها في كتابه.

٤-النداء في (يا إياك):

لم يُجوِّز سيبويه النداء على الفعل، واستدل على ذلك بقول العرب (يا إياك أعني)، فقال: ((ومما يدلك على أنَّه ينتصب على الفعل و أن (يا) صارت بدلًا من اللفظ بالفعل قولُ العرب: (يا إياك) إنما قلت: يا إياك أعني، ولكنهم حذفوا الفعل وصار (يا) و (أيا) و (أي) بدلًا من اللفظ بالفعل))[2]، وهذا يعني أنَّ المنادى المنصوب يُقدّر نصبه بفعل ينوب عنه حرف النداء، وهو، يا كأنه قال:أدعو عبد الله، وأنادي عبد الله، و أريد عبد الله، والمفرد هو المضموم، فالذي ذكره سيبويه أنَّ إياك مضاف، لأنا رأينا العرب إذا كنوا عن المنادى قالوا: يا أنت، ويا إياك، فأنت مفرد لم يُنصب كما لم ينصب يا زيد، و إياك مضاف نُصِبَ كما نُصب يا عبد الله، والذي أراد سيبويه بيانه أنَّ (يا) النداء لا تلي الأفعال، مستندًا إلى هذا الحكم النحوي بقول العرب بوصفه مرجعًا لغويًا من مرجعياته الثابتة في كتابه.

١() شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ١٤٧/٢.

٢() كتاب سيبويه: ١/ ٢٩١.

٥-قُبْح القياس إذا لم تتكلم به العرب:

استدل سيبويه على عدم جواز قولك (أعطاكني) و (قد أعطاهوني) وقد وصفه بالقبح لعدم استعمال العرب له، فقال: ((فهو قبيح لا تُكلّم به العرب))[١]، ذكر ذلك في باب إضمار المفعولين اللذين تعدى إليهما فعل الفاعل وعلل قبحه بأن العرب تكره أن تبدأ بالضمير الأبعد قبل الضمير الأقرب؛ ولأنَّ كلامهم في هذا الموضع استعمال الضمير(أيَّا) فيقولون: (أعطاك إياي) و (أعطاه إياي) وضمير المتكلم أقرب من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أقرب من ضمير الغائب فلم يرتضِ سيبويه هذا الحكم لقبحه-بحسب سيبويه- وهذا ما أكَّده السيرافي بقوله:((هذا ترتيب سيبويه وحكايته عن العرب، وحكى عن النحويين قياسًا لم يرتضه))[٢]، وبعد ذلك قَدَّم سيبويه ردّه على من قاسَ من النحويين فقال:((وأما قول النحويين(قد أعطاهوك) و (أعطاهوني) فإنما هو شيء قاسوه، لم تكلم به العرب، ووضعوا الحروف في غير موضعها، وكان قياس هذا لو تكلم به هيناً))[٣]، وقال في إبطال قياسهم: ((ويدخل على من قال هذا أن يقول الرجل إذا منحته نفسي(منحتنيني) ألا ترى أن القياس قد قبُح إذا وضعت (ني) في غير موضعها، فإذا ذكرت مفعولين كلاهما غائب فقلت (أعطاهوها) و (أعطاهاه) جاز

١() كتاب سيبويه: ٣٦٣/٢.

٢() شرح كتاب سيبويه: ١٢٧/٣.

٣() كتاب سيبويه: ٣٦٥/٢.

وهو عربي، ولا عليك بأيهما بدأت، من قبل أنهما كلاهما غائب، وهذا أيضًا ليس بالكثير في كلامهم، والأَكثر في كلامهم" أعطاه إياه"))[1]، وبهذا المثال وتفصيلاته وبيان الحكم وسببه، تتضح المرجعية اللغوية التي استدل بها سيبويه في كتابه والمتمثلة في كلام العرب.

١() المصدر نفسه: ٢/٣٦٥.

نتائج البحث

بعد أن قطعت هذه الرحلة الشاقة التي استمرت ما يزيد على عامين كاملين مع كتاب سيبويه، وبعد أن تتبعت ما ورد في هذا المصنّف الجليل من تأصيل لقواعد النحو العربي رغبة في تعليم الدارسين كنه هذه اللغة الشريفة، ليلحق بها من يريد تعلمها ويقوّم لسانه ويصونه عن الخطأ، فالحمد لله الذي يسَّر بفضلهِ وعونهِ إتمامَ هذا البحث وها أنا ذا أخلص إلى ثماره التي وصلتُ إليها في ما يخص المرجعيات الفكرية عند سيبويه في كتابه فكانت على النحو الآتي:

١-النتيجة الأهم والأبرز في هذه الاطروحة والتي أثبتها بوساطة نصوص الكتاب هي أنَّ عند سيبويه في كتابه مرجعيات ثلاثة(عقلية، دينية، لغوية).

٢-لم يكن الكتاب من الأمالي، فقد لاحظت أن الكتاب أُعِدّ له إعداد باحث علمي يدلنا على ذلك مصطلحات معينة كـ(الدليل والحجة)، قياسه وتعليله، محاوراته مع شيوخه ومعاصريه، الخطاب القصدي في تعليلاته للمسائل اللغوية.

٣- لم تخلُ المسائل الصوتية والصرفية من سلطة العقل عند سيبويه في كتابه، وتبينت ذلك بوساطة تعليلاته الصرفية ومنها (التعليل عند قلب الواو ياء في ديار ونحوها)، ومن النتائج التي لا تُغفل في هذه الأطروحة ما تمخض عن دراسة سيبويه للأصوات في ضوء الأعضاء النطقية المشاركة في إنتاج

الأصوات، أو في ضوء الحركة اللسانية المرافقة لكل صوت، فنجده قد اعتمد الملاحظة المباشرة لحركة أعضاء النطق وتسجيل ما نتج عنها من مظاهر صوتية.

٤-غلبت النزعة العقلية في أغلب نصوص سيبويه وعباراته في الكتاب، وانماز التعليل والتأويل بالمنطقية والعقلية في أغلب مسائل الكتاب، لذلك شغل الفصل الاول-المرجعية العقلية- الحيز الأكبر في هذه الاطروحة.

٥- تبين أَنَّ منهج الترتيب الذي اعتمده سيبويه في تبويب كتابه، أشبه بسلسلة ذات حلقات متتابعة متصلة إحداها بالأخرى، لا يمكن تقديم حلقة على أخرى أو استبدال غيرها بها أو الاستغناء عنها، فكانت الأبواب متسلسلة وموضوعة على أَساس منطقي.

٦-اتسم موقف سيبويه من القراءات القرآنية بالموضوعية والهدوء، إذ إنه لم يُخَطِّئ قراءة أو يَردُّها؛ لأنها عنده سُنّة متبعة، ومن ثم فإنَّ هذا يدل على التزامه الديني.

٧-كان استشهاد سيبويه بالحديث النبوي الشريف محطَّ عناية الباحثين العرب عمومًا وتبين لي أنَّهُ استدلَّ بالاحاديث النبوية الشريفة كمرجعية لغوية، إلَّا أنَّ الواعز الديني كان هو الدافع وراء عدم نسبة تلك الأحاديث إلى الرسول

محمد[صلى الله عليه وآله]، لخشيته من الكذب على الرسول والوقوع في الخطأ.

٨- استدل سيبويه بكلام الفصحاء والعلماء العرب، وأظهر حرصه وأمانته عند نقله عن شيوخه، فيذكر كلامهم ويعقب ويضيف في المواضع التي تستوجب ذلك، وهنا تتجلَّى المرجعية اللغوية بوساطة المنابع التي استقى سيبويه منها مسائله، والتي منها شيوخه وعلى رأسهم أستاذه الخليل (٥٥٢ مرة)، ويأتي بعد ذلك باقي أساتذته كيونس بن حبيب(٢٠٠مرة) وأبي عمرو بن العلاء(٤٤مرة) وأبي الخطاب الأخفش(٤٧مرة) وعيسى بن عمر(٢٢مرة)، عبد الله بن أبي اسحاق (٧مرات)، و أبي زيد الأنصاري(٩ مرات)، وهارون بن موسى البصري (٥ مرات) وغيرهم .

٩-هيمنة آراء الخليل النحوية على معظم كتاب سيبويه، بوصفه مرجعًا رئيسًا للكتاب، وهذا يدل على رصانة ما خُطّ في الكتاب.

١٠-سيبويه على وعي تامّ حين يضرب أمثلته النحويّة، ويعرف جيّداً ما يريد، ولا يمكنه إلا متابعة العرب في أقوالهم، وهذا ما أثبتناه في عموم الاطروحة.

١١-سلك سيبويه سبيل الدقّة والتمحيص عند إيراد الشواهد الشعريّة، وقد بذل جهوداً مضنية في تحصيلها، وانتقاء الأصلح منها، والتثبّت من رواياتها، وذلك باستشارة شيوخه؛ فضلاً عن أخذ أكثرها منهم، وكان يكثر من إيراد هذه الشواهد حين يقرّر قاعدة ما .

Summary:

This research studied the intellectual references in the book of Sibawayh, and the study was in three references, detailing the saying in each reference separately and supporting it with examples that proved those references in the book of Sibawayh, and I tried to prove the largest possible number of examples to clarify what we are referning to the reference, and I pointed to some of these for those who want to delve into it, the study included an introduction and a preface, then three chapters. Both first and third chapters were divided into three topics, whereas second chapter, was consisted of two topics, followed by the conclusion, then the sources and references that I depended, and the research presented in the first chapter mental evidences that support the mental reference including analogy, reasoning, and Sibawayh's discussions, which indicate to his unique mentality and a great scientific ability to analyze speech with his fervent thought, and I tried to express intentionality in Sibawayh's speech, and the effect of the mind on grammatical subjects and other issues, and worked to clarify the mental reference in phonetic and morphological issues, (The sound outputs, loudness, whispering, attenuation, the location of the sound, leaving or dispensing, kinetic satisfaction,

and the response to the original). concerning the second chapter, it is the doctrinal reference, it consisted of two topics The frequent citation of the noble Qur'anic verses, his citation of the Qur'anic readings and their inability to error, his citation of the honorable prophetic hadiths, his scientific honesty and sincerity in his work, the reliance of scholars of jurisprudenc and fundamentals on his opinions) and the second topic is characterized by doctrinal issues in the book, including (on the origin of the word "Allah", the word the majesty "Allah" is the most knowledgeable, the indication of "perhaps" in the Holy Qur'an at Sibawayh), the indication of "woe" in the Holy Qur'an, Sibawayh's preference for reading the Qur'an with the raising in the word "so it becomes", reading the noun and accusative in "and his wife", and the Almighty's saying "if you go astray one of the other. At the end , the third chapter came under the title of the linguistic reference, and it divided into topics, namely: (The Holy Qur'an, readings, the noble Prophet's hadith, poetry, proverbs, and the words of the Arabs, what he heard from scholars and eloquent people), and the research concluded with the most important results that it reached, and a list of sources and references that depended.

.

المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم.**

- ابن جني النحوي آراؤه ومذهبه، د. فاضل صالح السامرائي، دار النذير للطبع والنشر والتوزيع، بغداد، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه د. خديجة الحديثي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط٣ ، ٢٠٠٣م .
- أبو عثمان المازنيُّ ومذهبه في الصرف والنحو: رشيد عبد الرحمن العبيديُّ، مطبعة سلمان الأعظميّ ، بغداد، ١٩٦٩م.
- أبو عمرو بن العلاء اللغوي النحوي ومكانته العلمية، عبد الله محمد الاسطي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط١، (د–ت).
- اتحاف فضلاء البشر في قراءات الاربعة عشر، أحمد بن محمد الدمياطي ابن البناء، (ت١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م.
- أثر كلام العرب في التوجيه النحوي للأداة: دراسة في كتب حروف المعاني العامة، بكر عبد الله خورشيد، ط١، ٢٠١٤م.
- الأحكام التقويمية في النحو العربي، دراسة تحليلية، نزار بنيان، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠١م.
- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سيد سعيد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- أخبار النحويين البصريين: أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، نشر فرنسيس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ،١٩٣٦م.

- ارتكاز الفكر النحوي على الحديث والأثر في كتاب سيبويه، الدكتور محمود فجال، الرياض، الطبعة الاولى، ١٤٣٠هـ.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- أساس الاقتباس في المنطق. نصير الدين الطوسي ت ٦٧٢هـ. تحقيق حسن الشافعي ومحمد سعيد جمال الدين. نشر المجلس الأعلى للثقافة. مصر، (د–ط، د–ت).
- أساس البلاغة، جارالله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .
- أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم، أحمد مختار البز، دراسة تحليلية، طبع في مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٥م.
- الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته و أنماطه، محمد بن حجر، جامعة سعد دحلب بالبليدة، كلية اللغات والآداب، قسم اللغة العربية و آدابها، ط١، ٢٠١٣م.
- الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا و محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .
- استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، هيثم سرحان، الناشر: نادي تراث الإمارات، الطبعة الاولى، ٢٠١٢ م.
- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٩٩٨م.

- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- الأصوات اللغوية: د- ابراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.
- أُصول النحو العربي، محمد خير الحلواني، الناشر: الأطلسي، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- الاصوات العضوية رؤية عضوية ونطقية و فيزيائية، دكتور سمير شريف إستيتية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، دار وائل للنشر الاردن، ط١، ٢٠٠٣م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
- إعراب القراءات السبع وعللها: الحسن بن أحمد بن خالويه، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- إعراب القرآن ، علي بن الحسين الاصفهاني الباقولي، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، تح: د-زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين درويش، الناشر: دار اليمامة، دار الإرشاد، ط٣، ١٩٩٢م.
- أعلام الفكر اللغوي: روي هاريس وتولبت جي تيلر. ج١. تعريب أحمد شاكر الكلابي، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، ليبيا ٢٠٠٤م.

- الإغراب في جدل الإعراب: ابن الأنباري (المتوفى ٥٧٧هـ) تحقيق: سعيد الأفغاني منشورات الجامعة السورية ، الطبعة الاولى، ١٩٥٨م.
- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،١٤١٨هـ.
- أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، تح: محمد ابراهيم البنا، مطبعة السعادة.(د–م، د–ط، د–ت).
- انباهُ الرواة على أنباهِ النحاة، أبو الحسن القفطي (ت٦٤٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري (٦٨٣هـ) دار الكتاب العربي بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ) ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة ،الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٣م.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تح: مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
- البحث اللغوي، الدكتور: محمد فهمي حجازي، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، الطبعة الاولى،١٩٩٤م.

- البحر المحيط في أَصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: عبد القادر العاني، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر–بيروت، ١٤٢٠م .
- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزي(ت٧٥١هـ)، ضبطه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، لبنان–بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ.
- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، الطبعة الاولى، قطر، ١٣٩٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت –لبنان، ١٣٩١هـ.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي، عبيد الله بن أحمد ابن أبي الربيع القرشي (٦٨٨هـ)، تحقيق: دكتور: عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٦م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د–ت)
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تح:عبد الستار أحمد فراج، من اصدارات وزارة الارشاد والأنباء الكويت، ١٩٦٥م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٤٠م.

- تاريخ بغداد، ابو بكر مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢م.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر العرب في علم مجازات العرب الأعلم الشنتمريّ (ت٤٧٦هـ)، تح: دكتور زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الاولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م.
- تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الدكتور محمد العمري،الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الاولى،١٩٩٠م.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية د. عُمر بلخير، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م.
- التحليل النحوي، أَصوله وأدلته، الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الاولى، مصر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- التداولية من أوستن إلى غولدمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، الطبعة الأولى، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م.
- التذييل والتكميل، أبو حيان الاندلسي(ت٧٤٥هـ): تحقيق: دكتور حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الاولى، ١٩٩٧م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، الدكتور سلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.
- تطور الدرس النحوي، الدكتور حسن عون، الطبعة الاولى، مصر، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م.
- التعليقة على كتاب سيبويه: الحسن بن أحمد عبد الغفار الملقب أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د-عوض بن حمد، الطبعة الاولى، ١٩٩٠م .

- تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي الشيحي المعروف بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٧٩م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، ط١، بيروت، دار الفكر،(د–ت).
- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- التكملة: أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق ودراسة كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.
- التكملة، محمد بن عبد الله البلنسي ابن الأبّار، تحقيق: عبد السلام الهراس، الناشر: دار الفكر للطباعة– لبنان، ١٩٩٥م.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين محمد بن يوسف تحقيق: دكتور علي فاخر، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأَولى،٢٠٠٧م.
- تنقيح اللباب في شرح غوامض الكتاب، أبو الحسن بن خروف، تحقيق: خليفة بديري، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، الطبعة الاولى، ١٩٩٥.
- التوابع في كتاب سيبويه ،عدنان محمد سلمان ،ساعدت على نشره جامعة بغداد ،مطابع التعليم العالي ،الموصل ،١٩٩١م.
- التوجيه النحوي لوجوه القراءات القرآنية المشكلة في كتاب سيبويه: الدكتور: سليمان خاطر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الاولى، ١٤٣٠هـ.

- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، جامعة الشارقة، الامارات، ط١، ٢٠٠٧م.
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (د–ت).
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، (د–ت).
- الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ط٣، ١٩٩٥.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكريّ، دار الفكر، لبنان، بيروت، (د–ت).
- الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين بن عليّ المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٢م
- حاشية الصَّبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك، محمد بن علي العرفان الصّبان، تحقيق: محمد بن الجميل، مكتبة الصفا القاهرة، الطبعة الاولى، (د–ت).
- الحجة في بيان المحجة، إسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني، تحقيق: محمد عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الدكتور محمد ضاري حمادي، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣م.

- الحديث النبوي في النحو العربي، للدكتور محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، (د–ت).
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢م.
- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية: د.عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة علوم اللسان عند العرب، الجزائر،٢٠١٢م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٦٠م.
- الدُرَّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبيّ (ت:٧٥٦ هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد محمّد الخراط ، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى, ١٩٨٧م.
- الدراسات النحوية واللغوية ومنهجها التعليمي في البصرة الى القرن الثالث الهجري، المؤلف: عبود جاسم محسن، مطبعة النعمان١٩٧٣م.
- دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٩٧٨م.
- دراسات في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار غريب للطباعة، القاهرة، د. ت.

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمّد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م .
- دروس التصريف، القسم الأول في المقدمات وتصريف الأفعال ، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٣ ، ١٩٥٨م.
- دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد الأصبهاني(ت٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ديوان ذي الرمَّة: أحمد بن حاتم الباهلي(ت٢٣١هـ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط١، ١٩٨٢م.
- ديوان امرئ القيس، عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤.
- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: د-عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.
- الرمّانيّ النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، الدكتور مازن المبارك، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٣م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: الدكتور محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨١.
- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، د-عبد الرحمن صالح، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م.

- سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)، المطبعة الأنصارية، الهند، (د–ت)،١٣٢٣هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الضحَّاك الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٩٣٠م.
- السنن الكبرى، أحمد بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م.
- سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر ١٩٥٣م.
- سيبويه حياته وكتابه، الدكتورة خديجة الحديثي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م.
- سِيْبَوَيْه معتزليًا حفريات في متيافيزيقا النحو العربي: د. إدريس مقبول، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط١، ٢٠١٥م .
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين بن أحمد الذهبي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، (د–ت).
- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م.
- شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي، تحقيق: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.

- شرح أبيات سيبويه، أبو محمد بن المرزبان ابن السيرافي، تحقيق: د- محمد الريح هاشم، بيروت، دار الجيل، الطبعة الاولى، ١٩٩٦م.
- شرح التسهيل: محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، (د-ت).
- شرح الرضي على الكافية ،رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت٦٨٦هـ) ،تحقيق: يوسف حسن عمر ،منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي-ليبيا ،١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- شرح السنة للبغوي، الحسين بن الفراء البغوي(ت٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الاسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧م.
- شرح الكافية الشافية ابن مالك جمال الدين، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠١٠م.
- شرح المفصّل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي(ت٦٤٣هـ) ،ادارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت.
- شرح المقدمة الكافية في علم الاعراب، ابن الحاجب، تحقيق: جمال عبد العاطي أحمد، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٩٩٧.
- شرح كتاب سيبويه: علي بن عيسى الرماني، تحقيق: الدكتور متولي رمضان ، مطبعة التضامن: ١٩٨٨م.

- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيّد علي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت– لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- شرف العقل وماهيته، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- شواذ القراءات، محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق، د–شمران العجلي، مؤسسة البلاغ ، بيروت، لبنان، د–ت، د–ط.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، محمد بن عبد الله جمال الدين (ت٦٧٢هـ) تحقيق: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٥هـ.
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، د– خالد عبد الكريم جمعة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط٣، ٢٠٠٥م.
- الشواهد والاستشهاد في النحو ، د. عبد الجبار علوان النايلة ، مطبعة الزهراء،ط١ ، بغداد ١٩٧٦.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، احمد ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تح: احمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أحمد بن رفعت حلمي و محمد شكري الأنقروي، دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤هـ.

- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب، الناشر: دار بن كثير، دمشق، ط٥، ١٩٩٣م.
- الصرف الواضح ، د. عبد الجبار علوان النايلة ، بغداد ، د. ط ، ١٩٨٨م.
- ضوابط الفكر النحوي: د-محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- طبقات القرّاء، شمس الدين بن عثمان الذهبي، تحقيق: أحمد خان، ط١، ١٩٩٧م.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، (د-ت).
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية (د-ت).
- العقل والمعايير: أندريه لالند، تحقيق دكتور نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.
- العلة النحوية، نشأتها وتطورها، د-مازن المبارك، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٤م.
- علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله ابن الوراق(ت٣٨١هـ) ،تحقيق: محمود جاسم الدرويش، بيت الحكمة، بغداد ،٢٠٠٢م.
- علم اللغة الاجتماعي، الدكتور هدسن، ترجمة الدكتور محمود عبد الغني، مراجعة الدكتور عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.

- علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ت: د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- غاية النهاية في طبقات القرّاء، محمد بن محمد بن علي الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تحقيق أبي عمرو عماد زكي البارون، المكتبة التوفيقية، مصر، (د–ط، د–ت).
- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، الناشر: نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- الفلسفة النقدية، إبراهيم زكريا، القاهرة (بدون تاريخ).
- المعجم الفلسفي: ابراهيم مدكور، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٧م.
- فهارس كتاب سيبويه : محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الاولى، ١٣٩٥هـ.
- الفهرست، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ) ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت)، تحقيق: محمد عوني، و ايمان السعيد جلال، الهيأة المصرية لقصور الثقافة، د–ط، ٢٠٠٦م.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٤م.

- في تحليل الخطاب: د. حاتم عبيد، دار ورد الأردنية للنشر و التوزيع، ط١، ٢٠١٣م.
- الفينومينولوجيا عند هوسرل، سماح رافع، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م.
- القراءات الشّاذة وتوجهها النَّحوي : د. محمود أحمد الصغير دار الفكر المعاصر ، بيروت–لبنان ، ط١، ١٩٩٩م.
- قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن يوسف بن هشام النحوي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.
- كتاب التعريفات. السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني. الطبعة الأولى. دار إحياء التراث العربي. بيروت– لبنان ٢٠٠٣م.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (المتوفى:١٧٥هـ)،تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية، ١٩٨٥م.
- كتاب المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني، (ت٤٧١هـ)، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٧م.
- كتاب لله الأسماء الحسنى، عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، الأردن.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د–ت).

- الكشف و البيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠٠٢م.
- الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت (د–ت، د–ط).
- اللباب في علل البناء والإعراب، عبد الله بن الحسين أبو البقاء العكبري(ت٦١٦)، تحقيق: غازي مختار، والدكتور عبد الإله نبهان دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٩٩٨م، ط١.
- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر– بيروت،ط٣، ١٤١٤ هـ– ١٩٩٤م.
- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب :حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو،ط٢، ٢٠١٢م.
- اللغة العربية مبناها ومعناها، اللغة العربي؛ معناها ومبناها، الدكتور تمّام حسّان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٧٩ م .
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.
- لمع الادلة في اصول النحو : ابو البركات بن الانباري ، تحقيق : سعيد الافغاني ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت ١٩٧١م.

- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحيّ، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦م.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، د. غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة . بغداد ، د. ط، ١٩٧٨م.
- مباحث التفسير: أحمد بن محمد المظفر الرازي، تحقيق: حاتم القرشي، كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٩م.
- مجالس ثعلب: أحمد بن يحيى الشيباني المعروف بثعلب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، (د–ط، د–ت).
- مجمع الأمثال، الميدانيّ أحمد بن محمّد (ت٥١٨هـ) ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٩م.
- مجموع الفتاوى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار الفكر، بيروت، د–ت.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ)، تح : د. علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د.عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث، القاهرة ، ٢٠٠٤م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م.
- المحكم والمحيط الاعظم: ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠م.

- المدارس النحوية: د. شوقي ضيف، دار المعارف ،١٩٦٨م.
- المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي، ط٢، مطبعة جامعة بغداد، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، انطوان خوري، دار التنوير، الطبعة الاولى، ١٩٨٤م.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ط١. الدار العربية للعلوم. بيروت- لبنان ٢٠٠٨م.
- مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، عبد الرحمن السيد، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٨.
- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، مطبعة نهضة مصر، د.ت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط٤، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ -١٩٥٨م .
- المستشرقون في التراث النحو العربي: د. عبد المنعم السيد أحمد، كنوز المعرفة،ط١، ٢٠١٦م.
- المستقصي في أمثال العرب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام: أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.
- مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

- مصادر سيبويه في كتابه جدوره وموارده، إ–د–سليمان عودة أبو صعيليك، جامعة الملك سعود، ، دار المستقبل للنشر والتوزيع، الاردن، الطبعة الاولى، ٢٠٢٢م.
- المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، بوطارت محمد الهادي وآخرون، دار الكتاب الحديث ، ١٤٣١ هـ– ٢٠١٠ م.
- المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، تحقيق: د–أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت–لبنان، ١٩٨٧م.
- المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية : رشيد الراضي ، المركز الثقافي العربي، ط١،٢٠١٤م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١ (د–ت).
- معاني القرآن واعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: دكتور: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١.
- معاني القرآن لأبي الحسنْ سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) قدّم لهُ وعلّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين.
- معجم الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى:١٧٥هـ)،تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام – الجمهورية ،١٩٨٥م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية. جميل صليبا. دار الكتاب اللبناني. بيروت– لبنان ١٩٨٢م.

- معجم اللسانيات: بإشراف جورج مونان : ترجمة جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت – لبنان، ٢٠١٢ م.
- المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ،حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة، ١٩٧٢م
- معجم في المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.
- معجم مقاييس اللغة، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ت).
- معنى لا إله إلا الله، للزركشي: تحقيق: علي محيي الدين، دار الاعتصام، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ .
- المغني في أبواب التوحيد والعدل: المغني في أبواب التوحيد والعدل(خلق القرآن) :القاضي عبد الجبّار، تحقيق طه حسين وإبراهيم مدكور، مصر ، ط١٩٦٠،١م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، راجعه وقدم له وائل أحمد عبد الرحمن، د. ت. المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق الشاطبي، منشورات جامعة ام القرى، ط١، ٢٠٠٧م .
- المقتصد في شرح الإيضاح ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق: كاظم بحر المرجان ،المطبعة الوطنية ،عمّان ،نشر دار الرشيد ،بغداد ،١٩٨٢م.

- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، اعتناء ودراسة: أحمد الزغبي، دار الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت.
- ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح للعيني، تح : عبد الستار جواد، القسم الثالث: مجلة المورد، مج: ٥ ، ع ٢ ، ١٩٧٦م.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ)، د. فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط٥ ، ١٩٨٣م .
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط٧، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- من أعلام البصرة سيبويه– هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه، د. صاحب جعفر أبو جناح، جامعة البصرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م.
- من ملامح المنهج العلمي عند علماء العربية، ماهر عبد القادر محمد علي، الناشر: ندوة الثقافة والعلوم، دبي.
- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.
- المنجد في اللغة علي بن الحسن الهنائي، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور ضاحي عبد الباقي، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، ط٢.
- المنجد: لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ط٧، بيروت، ١٩٤٦م.

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطيّ ، والشيخ احمد محمد شاكر، مكتبة القدس الأزهرية ، ١٣٥٠هـ .
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٩٩٤م.
- منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم ومآخذ بعض المحدثين عليه، دراسة نقدية تحليلية نحوية وصرفية ، الدكتور: سليمان يوسف الخاطر، جامعة ام درمان، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٠م.
- منهج كتاب سِيْبَوَيْه في التقويم النَّحوي: د. محمد كاظم البَكاء، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد –العراق، ط١، ١٩٨٩م.
- الموافقات إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- الموافقات في أصول الشريعة، ابراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، ط١ .
- مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الحطاب الرعيني)، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم السهيليّ (ت:٥٨١ هـ) ، حقّقه وعلق عليه: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م.
- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية. ابن سينا. الطبعة الثانية. مصر ١٩٣٨م.

- نحو التيسير: أحمد عبد الستار الجواريّ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤.
- النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة، الناشر: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٩٠م.
- النحويون والقرآن الكريم، خليل بنيان الحسون ،مكتبة الرسالة الحديثة ،عمّان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م: الدكتور خليل بنيَّان.
- نزهة الألباء في طبقات الادباء لأبي البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للصفوري، تحقيق: عبد الرحيم ماردِيني، دار المحبة – بيروت ، دار آية – دمشق ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، ط٣، دار المعارف ، ٢٠٠٥م.
- النشر في القراءات العشر، محمد الدمشقي ابن الجوزي، قدّم له الأستاذ علي الضباع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ م.
- نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د– مصطفى جطل، جامعة حلب، سوريا ، كلية الآداب ، د–ت.
- نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د. حسن خميس الملخ ، دار الشروق ، عمان . الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، هشام عبد الله خليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، ط١ ،٢٠٠٧م.

- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: د. نهاد الموسى، بيروت، ١٩٨٠م.
- نظرية النص الأدبي: د. عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٠م.
- نظرية علم النص(رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د- حسام أحمد فرج، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٧.
- نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، للدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه ، يوسف بن الحجاج المعروف بالأعلم الشنتمري (ت٤٧١هـ) ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٧م.
- نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: بغداد، مكتبة الثمن، ١٩٦٥م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة، مؤسسة إسماعليان، قم، ط٤، ١٣٦٤هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر(د-ت).
- الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٣م.

البحوث والرسائل والاطاريح:

- من قضايا الدلالة والنحو في كتاب سيبويه : د.عدنان آجانة ،بحث منشور في مركزية سِيبَوَيْهِ في الثقافة العربية، إشراف د. عبد الرحمن بودرع ، محمد الحافظ الروسي ، مطبعة الهداية ، تطوان ، ط١، ١٤٣٨هـ -٢٠١٧.
- الأُسس المعرفية للنظرية اللسانية العربية (بحث في الأصول) إعداد الطالب :حيدر سعيد عباس، بإشراف الاستاذ الدكتور مالك يوسف المطلبي، الجامعة المُستنصرية- كلية التربية ، قسم اللغة العربية العام الجامعي ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- البعد الديني عند سيبويه، مظاهره وأثره، د- عبد الله النغيمشي: (بحث) ،جامعة القصيم، قسم اللغة العربية وآدابها، المملكة العربية السعودية.
- التأصيل النظري لمصطلح (المرجعية)في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة: الأستاذة سلاف بعزيز ،جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي-،بحث منشور في مجلة علوم اللغة وآدابها.
- التعليل في الدرس النحوي نظرة في اصول اللغة، د-حسن عبد الغني الأسدي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد السابع، العدد الرابع، ٢٠٠٩م.
- التقاء الساكنين والتخلص منه في ضوء الدرس الصوتي الحديث، صباح عطيوي عبود، دار الكتب و الوثائق العراقية، ط١، ١٩٩٨م.
- الحدود في النحو: لأبي الحسن الرماني، (بحث) منشور في مجلة المورد، مجلد ٢، عدد١، ١٩٩٥م.
- سلطة الكلام وقوة الكلمات (بحث)، أبو بكر العزاوي، مجلة المناهل، العدد(٦٢)، منشورات وزارة الثقافة المغربية .

- سيبويه أوَّل من جرَّأ النَّحويين على العزوف عن الاحتجاج بالحديث النَّبويّ، د. سعدون أحمد علي الرَّبَعِيّ، بحث منشور في مجلّة العميد، العدد الخامس ، ربيع الثاني ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، محمد ابراهيم مصطفى عبادة، اطروحة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.
- اللهجات العربية في كتاب سيبويه ، رسالة ماجستير، رافد مطشر سعيدان، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، (د-ت).
- مذهب الكسائي في اللغة والنحو : جعفر هادي الكريم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٦٩م .
- المشابهة في النحو العربي: نعمان عنبر الابراهيمي: رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة البصرة ٢٠٠٢م .
- مفهوم الإحالة عند سيبويه أبعاده وضوابطه : د. لطيفة إبراهيم النجار، بحث منشور في المجلة الأردنية للغة العربية وآدابها، المجلد(٣)، العدد(١)،١٤٣٧هـ -٢٠٠٧م.
- منهج سيبويه في ترتيب الأبواب النحوية في الكتاب، نوفل اسماعيل صالح، بحث منشور في مجلة جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية ، العدد ٦٨، ٢٠١٥م
- وجوه من الدرس الصوتي في كتاب سيبويه،(رسالة ماجستير)، أحمد طالب علي الخلوف، جامعة مؤتة، الأردن، كلية الآداب، قسم اللغة العربية و آدابها، ٢٠٠١م .

- مراعاة المُخاطَب في الاحكام النَّحوية في كتاب سيبويه: د. كريم حسين ناصح، بحث منشور في مجلة المورد، العدد٣٠، العدد الثالث ،٢٠٠٢م.

- مرجعيات الفكر اللغوي عند سيبويه في كتابه: الدكتور فالح الأسدي، بحث منشور في مجلة International Journal of Innovation, Creativity and change

ISSN: ٢٢٠١-١٣١٥/E-ISSN:٢٢٠١-١٣٢٣

Scopus Indexation

URL:https://www.scopus.com/sourceid/٢١١٠٠٨١٩٦١٠

E-mail:publication.service@ijicc.net

شبكة الانترنيت:

- العقل في القرآن الكريم، دكتور فهمي قطب الدين، مقال أُضيف في ٢٠١٤/١/١٥، على الموقع الالكتروني :https://www.alukah.net/sharia/٠/٦٥٢٣٥.

- العقل والذاتية في فلسفة الحداثة من ديكارت الى كانط: الطيب بوعزة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم العلوم الانسانية والفلسفة، مقال منشور في شبكة الانترنيت: www.mominoun.com